

الجبلة

دراسة أنثروولوجية لقربة فى أهوار العراق

تألف

الدكتور شاكراً مصطفى سليم

المدرس بكلية الآداب والعلوم ببغداد

الاطروحة التى قدمها المؤلف لجامعة لندن ونال
بها درجة الدكتوراه فى الفلسفة عام ١٩٥٥

الجزء الأول

البيئة الطبيعية والنظام الاجتماعى والتبأسى

2274
.79975
.325
v.1

2274.79975.325
Salim
Chibāyish

v.1

v.1

ISSUED TO

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library



32101 074322718



سأعدت وزارة المعارف العراقية على نشره

الجيش

دراسة أنثروپولوجية لقرية في أهوار العراق

تأليف

الدكتور شاكراً مصطفى سليم

المدرس بكلية الآداب والعلوم ببغداد

الاطروحة التي قدمها المؤلف لجامعة لندن ونال
بها درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٥٥

الجزء الأول

البيئة الطبيعية والنظام الاجتماعي والسياسي

مطبعة الرابطة - بغداد

١٩٥٦



11-13-16

11-13-16

11-13-16

11-13-16



محتويات الجزء الاول

هـ - ي

ك

ل

مقدمة

اعتراف بالجميل

ملاحظات

٦٨ - ١

القسم الاول - مقدمة

الفصل الاول

١٧ - ٣

ظروف وميادين الدراسة

٣

١ - لماذا اخترت قرية الجبايش

٤

٢ - ظروف الدراسة

٩

٣ - المخبرون

١٢

٤ - اساليب جمع المعلومات

١٥

٥ - الرحلات في مناطق الاهوار

١٦

٦ - ميدان الدراسة ومراميها

الفصل الثاني

٤١ - ١٨

سكان الاهوار في العراق

١٩

١ - الموقع والتوزيع

٢٢

٢ - معلومات بشرية

٢٤

٣ - التاريخ والنسب

٢٧

٤ - البيئة الطبيعية

٢٩

٥ - الاساليب الاقتصادية المختلفة

٣٣

٦ - القرابة والخلافة

٣٤

٧ - النظام السياسي

٣٦

٨ - المعتقدات والطقوس الدينية

٣٨

٩ - الاتصال بالمدن والهجرة اليها

٤٠

١٠ - التمثيل الحكومي

(١)

2274

.79975

.325

الفصل الثالث

٤٢ - ٦٨	الجبايش وبيتها	١ - الموقع
٤٢		٢ - نهر الفرات
٤٤		٣ - الهور
٤٩		٤ - الفيضان والرى
٥٤		٥ - الطرق والمواصلات المائية
٥٦		٦ - الطقس
٥٨		٧ - الحياة الحيوانية والنباتية
٦١		٨ - السكان وتوزيعهم
٦٥		٩ - وصف القرية

القسم الثانى - القرابة والمجتمع المحل ٦٩ - ١٩٤

الفصل الرابع

٧١ - ١١٤	العائلة والقرابة والزواج	١ - العائلة
٧١		١ - القرابة
٨٣		٣ - الزواج
٩٧		

الفصل الخامس

١١٥ - ١٤٨	الفخذ والحمولة والعشيرة	١ - الفخذ
١١٥		٢ - الحملولة
١٢٧		٣ - العشيرة
١٣٣		٤ - (الكتبة) و (الفصل)
١٣٧		

الفصل السادس

١٤٩ - ١٧٢	الطبقات الاجتماعية	١ - السادة و (الموامنة)
١٥٠		٢ - آل خيون
١٥٥		٣ - (السراكيل) و (المخاتير) و (اجاويد الطايفة)
١٦١		٤ - العوام
١٦٢		٥ - العبيد
١٦٣		٦ - (الصبة)
١٦٨		٧ - التقسيم الطبقي بين أهل الجبايش
١٧٠		

(ب)

الفصل السابع

١٧٣ - ١٩٤

المضيف

١٧٣

١ - ملك وبناء المضيف

١٨٤

٢ - دور المضيف فى المجتمع

١٨٨

٣ - آداب المضيف

١٩٥ - ٢٥٩

القسم الثالث - النظام السياسى

الفصل الثامن

١٩٧ - ٢٢٨

النظام السياسى فى الجبايش

١٩٧

١ - المشيخة الاقطاعية القديمة

٢١٣

٢ - النظام الجديد

٢١٧

٣ - (السركال) و (المختار)

٢٢٤

٤ - (سركال) حمولة آل الشيخ

الفصل التاسع

٢٢٩ - ٢٥٩

الحكومة المركزية والجبايش

٢٢٩

١ - تاريخ الادارة فى الجبايش

٢٣٦

٢ - حكومة الجبايش اليوم

٢٤٥

٣ - سلطة الحكومة واعتبارها

الجدول

٥٦

١ - احجام الزوارق الـ (بلام)

٧٤

٢ - تكوين ثلاثين عائلة متحدة

٨٩

٣ - نعوت القرابة فى الجبايش

٩٥

٤ - نعوت القرابة الموسعة

١٢٥

٥ - تكوين فخذ آل حجبى سارى

١٢٨

٦ - تكوين فخذ أبو مخيور

١٢٩

٧ - حمايل وافخاذ الجبايش وسكانها

١٣٦

٨ - مواطن بنى اسد

٩ - التطورات السياسية والتنقلات والحياة الاقتصادية

٢١١

لبنى أسد .

- ٢٣٥ - تاريخ الادارة فى الجبايش
- ١١ - عدد طلاب وطالبات مدرسة القرية للسنوات
٢٣٩ (١٩٥٣ - ١٩٥٠) .
- ١٢ - خريجو مدرسة القرية للسنوات من ٩٣٦-٩٣٧
٢٤١ الى ٩٥٢-٩٥٣ والاعمال التى يزاولونها .
- ١٣ - الرسائل والرزم الصادرة والواردة من والى دائرة
٢٣٤ بريد القرية .

المخططات

- ٧٠ ١ - العائلة المتحدة والعائلة المركبة
- ٨٧ ٢ - العم والخال
- ٩٣ ٣ - نعتان من نعت القراية فى الجبايش
- ١٥٨ ٤ - حمولة آل خيون مقابل صفحة

مقدمة

فى العراق اليوم حاجة ملحة للقيام بدراسات اجتماعية بين العدد الكبير من المجتمعات والشعوب المتأخرة التى يزخر بها القطر • وهذه الحاجة ماسة ليس لتيسير مهمة السلطات المسؤولة عن مستوى المعيشة لتلك المجتمعات وتحسين أحوالها الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل لتوجيه اهتمام المثقفين فى البلد الى تلك المجتمعات والشعوب التى تكون الاغلبية العظمى من سكان العراق • فأكثر المثقفين فى بلادنا يجهلون الشئ الكثير عن نظم وحياة المجتمعات المتأخرة فى العراق بل وبعضهم يجهل أبسط الحقائق فى ذلك الصدد • ونشر المعلومات الدقيقة المفصلة عن أى موضوع هى احدى الوسائل الفعالة فى إثارة الاهتمام به • وعندى أن قد آن الوقت أن يحظى الريف والهور وسكانهما فى العراق باهتمام المثقفين عامة وقادة الفكر بصورة خاصة • فبدون هذا الاهتمام ان تستطيع الحكومة وحدها ، مهما صدقت نيتها وبلغت مجهوداتها ، ان تقوم بالاعباء الضخمة التى يستلزمها الإصلاح المنشود •

ومن حسن الحظ ان المدارس الحديثة فى الانثروبولوجى ، وبصورة خاصة المدرسة الانكليزية ، تشترط على الدارس الاجتماعى اقامة دراسة Fieldwork لمدة لا تقل فى العادة عن سنة واحدة وقد تطول الى اثنتين أو أكثر ، يقضيها بين الشعب أو المجتمع الذى ينوى دراسته ، فيندمج فيه ويتفهم أسسه ومقوماته ويلمس مشاكله ومعضلاته • فيصبح بحكم هذه الإقامة والدراسة قادرا على تعيين علل ذلك المجتمع ووصف الدواء الناجع له •

وحين اتيح لى التخصص فى الانثروبولوجى حرصت ان تكون أول اقامة دراسية لى بين مجتمع عراقى ، كما حرصت ان أختار ذلك من بين المجتمعات التى لا تمثل نفسها فحسب ، بل ولحد كبير مجتمعات أخرى مماثلة . وكان سكان الاهوار فى جنوب العراق يستحذون منذ أمد طويل على اهتمامى ويثرون بى حماسا شديدا لدراستهم . وهم ، وعددهم يقرب من اربعمائة الف نسمة ، لا يختلف بعضهم بصورة عامة عن بعض الاقليات جدا ، سواء أكان ذلك فى العادات أو التقاليد أو اللغة أو طراز المعيشة . ولذا فكان من اليسور اختيار قرية من قراهم ودراستها كنموذج لهم كافة . فاخترت الجبايش لاسباب أوضحتها فى الفصل الاول من هذا الكتاب .

ولكن قرية الجبايش تنفرد ، بالاضافة الى الصفات العامة التى تشترك فيها مع بقية مجتمعات الهور فى العراق ، بصفات خاصة بها . فهى تختلف فى حياتها الاقتصادية اختلافا اساسيا عن بقية قرى الاهوار فى العراق . فسكانها يعتمدون فى الجزء الاكبر من موارد حياتهم على جمع القصب وحياسة الحصر التى يصدرونها خارج قريتهم ، وهم بذلك يختلفون عن الاغلبية الساحقة من سكان الاهوار الذين يعيشون على الزراعة ورعى الجاموس وتربية المواشى .

والجبايش هى القرية الوحيدة فى الاهوار التى يعيش كافة سكانها ، وعددهم حوالى أحد عشر الف نسمة ، على جزر اصطناعية صغيرة منتشرة فى الهور ومستحدثة اصلا من فرش طبقات من القصب والبردى والتراب . وهى بهذا تختلف عن كافة قرى ومجتمعات الهور التى تسكن السهول وضاف الانهار والترع وفى الجزر الكبيرة فى الهور .

وتنفرد الجبايش فى وضع سياسى خاص . فقبل أكثر من ثلاثين عاما ألغيت (المشيخة) فيها فأصبحت العشيرة التى تقطنها تحت الحكم المباشر للحكومة المركزية ، ووزعت نتيجة لذلك الالغاء أراضى الشيخ وسلطته بين

عدد من رؤوس الحمايل • فأصبح الاتصال مع الحكومة المركزية والعالم الخارجى نتيجة لذلك الوضع السياسى الفريد أشد مما هو عليه فى أية منطقة من الاهوار • فظهرت الفرصة لاصلاحات شاملة واسعة • ورغم أن كثيرا من ثمار ذلك الاتصال قد ضيعت لعدم كفاية الجهاز الحكومى وفساده فى القرية فلقد استفاد منه أهلها فى كثير من نواحي حياتهم •

لقد كان فى الجياش قبل عام ١٩١٥ تناسب بين الطبقات الاجتماعية والامتيازات الاقتصادية ، فكانت الطبقات الاجتماعية العليا تتمتع بأوفر حظ من الامتيازات الاقتصادية بينما تتحمل الطبقات السفلى الضغط والاستغلال المادى • ولكن ادخال الادارة ، أجنبية وعراقية ، وما تبعه من اتصال بالعالم الخارجى ، وبصورة خاصة تعرف أهل القرية على الاساليب الاقتصادية الحديثة ، أدى الى احلال الاقتصاد الحضرى الحديث القائم على التجارة والسوق مكان الاقتصاد القبلى القديم القائم على الزراعة وتربية الماشية • وبينما ظلّ نظام الطبقات الاجتماعية قائما لم يتغير ، ظهرت فى القرية طبقات اقتصادية جديدة فأنعدم الاتساق والتناسب بين ذينك النوعين من الطبقات • كما أن هذه التبدلات أمكنت قيام نوعين من المثل والقيم المتباينة فى طبيعتها جنبا الى جنب فى نفس المجتمع ، وهى المثل والقيم القبلية والتجارية • ولان الحياة التجارية والانغماس فى الاعمال المشابهة تختلف اختلافا اساسيا عن الحياة العشائرية ومثلها فان المشاركة فى التجارة والجري وراء الكسب المادى يفقد الاعتبار الاجتماعى فيترتب على ذلك ان يصبح من غير الميسور على الفرد فى الجياش ان يشارك فى الاعمال التجارية وأن يظل بعين الوقت محافظا على التقاليد والعرف العشائرى ويتمتع بمركز سام فى العشيرة •

ورغم مرور أربعين عاما على اتصال القرية بالعالم الخارجى فلا تزال التقاليد القبلية تؤثر تأثيرا بالغا على الحياة الاقتصادية لاهل الجياش • فهى

تحرم مثلا بيع منتجات الالبان ، وهى العنصر الثمين فى غذاء أهل القرية .
فيضطر الكثير ممن لا يملكون ماشية منهم ان يصرفوا جزء كبيرا من دخلهم
فى شراء هذه المنتجات من النساء (المعدان) اللواتى يأتين القرية للتجار .
فى حين تضطر العوائل التى يفيض اللبن الذى تنتجه ماشيتها عن حاجتها الى
تبذيره ولا تستطيع الاستفادة منه ببيعه . وكذا الامر بصدد صيد السمك .
فهو كثير فوق العادة فى الجبايش ، فى النهر والهور ، ولكن التقاليد تمنع
صيده خاصة ان كان ذلك لغرض البيع . وبما انه جزء أساسى فى غذاء
أهل القرية فان مبالغ كبيرة من دخلهم تصرف كل يوم فى شرائه من
(المعدان) الذين يجلبونه الى الجبايش بكميات وافرة . فلو أمكن صيد
السمك بشكل منتظم وبصورة اجماعية لاصبح موردا مربحا للغاية . وهناك
فعاليات اقتصادية أخرى ممنوعة بحكم هذه التقاليد . لذا فان أهل الجبايش
يعانون صعبا كبيرة لتمسكهم بمثل وتقاليد تعوقهم عن سلوك سبل مناسبة
لاستغلال بيئتهم القاسية ورفع مستوى حياتهم .

ان الطريف فى قرية الجبايش هو بقاء المجتمع العشائرى بنظمه غير
القابلة للتطور رغم التبدل الاساسى الذى طرأ على اقتصاديات سكان القرية .
فالمجتمع العشائرى موجود مائل ولكنه فقد القوة على التطور الذى قاد حركته
فى القرية رجال موسرون وتجار ظهوروا على مسرح الحياة نتيجة الاتصال
بالعالم الخارجى والاساليب التجارية الحديثة . ولكن هؤلاء الاثرياء والتجار
لا يملكون أى اعتبار فى المجتمع . فالاعتبار الاجتماعى فى الطبقات المختلفة
لمجتمع الجبايش يقوم على عدة أسس ليس المال أو الغنى واحدا منها .
فهو فى حالة طبقة السادة مستمد من كونهم يدعون نسباً للرسول محمد ،
وفى حالة آل خيون ، بيت الرئاسة فى العشيرة ، يستند على زعامتهم
السياسية والعسكرية فى الماضى . وفى حالة (السراكيل) و (المخاير)
يتأنى من كون هؤلاء الرجال يسيطرون على (حمايلهم) و (افخاذهم) .

اما الفرد العادى فى العشيرة فانه يستطيع ان يتمتع بالمركز والاعتبار فى المجتمع ان كان عضوا فى (فخذ) كبير محترم وكان متحليا بصفات معينة ويملك مضيئا . وهذا هو سبب الصراع فى المجتمع القديم تماسكه القوى وبين الطبقة التى تروم الكسب وجمع الثروة بفرديتها العصرية . فالاعتبار الاجتماعى ما زال يعتمد على أسس من الضمان القبلى وليس على الفعاليات الاقتصادية .

ويكاد ان يكون هذا الوضع نموذجا لما يجرى فى العراق كله . فالعراق بلد ذو مجتمعات قديمة محافظة تقوم اقتصادياتها على أسس بدائية . ولقد تعرضت هذه المجتمعات منذ مطلع القرن الحالى الى اتصال شديد بالحضارة الاوربية ودخلت اليها بعض الصناعات والاساليب الحديثة . فتطورت الاسس الاقتصادية فى حين ظل الكيان الاجتماعى لحد كبير ثابتا . فالقيادة الاجتماعية ما زالت بيد الشيوخ ورؤساء العشائر والقبائل فى شمال العراق وجنوبه ، وما زال التنظيم الاجتماعى قائما على اسس قبلية بحتة . وكنتيجة لضغط ذلك الاتصال الشديد ولانتشار الثقافة الحديثة اضحت المثل والقيم القبلية القديمة محاطة بنظائر لها اوروبية عصرية ، وترتب على ذلك بصورة حتمية ظهور صراع شديد فى كل ناحية من نواحي الحياة فى العراق بين ذينك الصنفين من القيم والمثل .

والجبايش ، بالإضافة الى انها مسرح لهذا الصراع الذى أشرنا اليه ، مثل من أمثلة الفقر المدقع والظروف المؤلمة التى يعيش فيها كافة سكان الاهوار والارياض ولحد كبير الاغلبية من سكان العراق كله . وهى لهذا تحتاج حاجة ماسة الى اصلاح عاجل وشامل يهدف لرفع مستوى معيشة أهلها . فالقرية بحاجة شديدة لمشاريع رى ومشاريع سيطرة على المياه تصير الزراعة التى تعذر تماما فى الشتاء ولا تحدث الا عرضا فى الصيف بسبب الفيضانات ، ممكنة ومضمونة صيفا وشتاء . وهى بحاجة ملحة لفتح المواصلات

المائية بينها وبين المدن الاخرى الواقعة على نهر الفرات ، كما انها تفتقر الى مدارس أكثر وخدمات طبية وبلدية أعم وانفع . وفي رأي أن الذي أخر تحقيق رغبات أهل الجبايش في مثل هذه الامور الحيوية انعدام الصلة بينهم وبين السلطات العليا المسؤولة عن وضع الخطط وتنفيذها لتحسين أحوالهم ورفع مستوى معيشتهم . وعندى ان احدى المضلات الكبرى في العراق هى ايجاد هذه الصلة بين السكان عامة ، وسكان الارياف والاهوار وبقية المجتمعات المتأخرة بصورة خاصة ، من جهة وبين الحكومة المركزية من جهة أخرى .

ويملك العراق الآن موارد مادية ضخمة تخوله القيام بكافة المشاريع الاساسية التى تقلب الاوضاع الاقتصادية فى البلاد مهما بلغت كلفتها . ولكن السؤال الذى يهم كل عراقى الآن هو كيف يمكن ان تستعمل هذه الموارد الضخمة بحيث تؤدى بأقصر وأصلح السبل الى تطوير هذه المجتمعات المتأخرة وتحسين أحوالها الاجتماعية .

شاكر مصطفى سليم

كلية الآداب والعلوم

آذار ، ١٩٥٦

اعتراف بالمجميل

أود أن أعبر عن شكرى الصادق وامتنانى العميق لعدد من الاصدقاء الذين بذلوا لى عوناً كريماً فى الجبايش ، فيسروا مهمتى العلمية ومكنونى من بلوغ ما هدفت اليه . وليس من السهل ذكر اسمائهم كافة فلقد كانوا كثيرين جداً ، موظفين وأهلين .

ولكن طبيعة عملى واقامتى فى القرية حتمت على أن أختص بعدد معين من الاخوان وأن ألجا لهم اكثر من غيرهم . فالى هؤلاء ، وأخص بالذكر منهم الحاج عبد المطلب قطان مدير ناحية الجبايش السابق ، والاستاذ ثعبان آل خيون ، وكزار آل طاهر ، والحاج جاسم آل محمد ، والسيد سالم عبد الرزاق كاتب ناحية الجبايش السابق ، والسيد قيس آل خيون مأمور نفوسهما ، والمفوض عبد القادر جابر ، أقدم شكراً خاصاً .

ودينى عظيم للغاية لرجلين هما المرحوم عبد الهادى آل جايد آل خيون (سر كمال) حمولة آل الشيخ السابق وولده طارق آل عبد الهادى آل خيون رئيس بلدية الجبايش . فبدون العون الحقيقى والمساعدات القيمة التى قدمها لى هذان الرجلان بكل اخلاص وحماس ما كان ميسوراً لى ان ابلغ ما أردت فى القرية . فرغم اعتلال صحة المرحوم عبد الهادى آل خيون أبان اقامتى فى الجبايش ، ورغم جسيم مسؤولياته تجاه الحكومة والعشيرة وتجاه أهل بيته ، فقد تبنى عملى وساندنى مساندة فعالة ووضع تحت تصرفى معلوماته الثمينة والمامة الشامل فى الشؤون العشائرية وبذل قصارى جهده لتسهيل مهمتى .

ولازمنى طارق آل خيون مدة بقائى فى القرية وعمل معى . فأسندنى بصداقته التى أعزز بها كثيراً ، وبنفوذته الذى مهد لى كل طريق سلكته فى اقامتى الدراسية فى الجبايش . وكان طارق آل خيون يفهم طبيعة عملى ومراميه فقدم لى بسبب هذا الفهم معاونة لا تقدر . ولقد تيسر لى الجزء الاعظم من المعلومات التى جمعتها فى الجبايش بسبب تعاونه الفعال المخلص معى وادراكه الصحيح للحياة القبلية ومقدرته على مقارنتها ومعارضتها بالحياة الحضرية . فاليه بصورة خاصة أقدم امتنانى العميق وشكرى الجزيل وتقديرى البالغ .

ش . م . س

ملاحظات

- ١ - ان هذا الكتاب دراسة انثروبولوجية مكتوب طبقا لطريقة المدرسة الانثروبولوجية المعروفة باسم The British Functional School of Anthropology ولذا فيجب ان ينظر لكل ما يرد فيه على هذا الاساس
- ٢ - كل ما يرد في هذا الكتاب من معلومات وحقائق يخص قرية الجبايش فقط الا اذا نص على خلاف ذلك .
- ٣ - ان كافة اسماء الاشخاص والاماكن ونعوت القرابة وكافة اسماء الاشياء مادية كانت أو معنوية سترد في هذا المؤلف طبقا للنطق والمعنى المستعمل في قرية الجبايش الا اذا نص على غير ذلك . كما أن كثيرا من الكلمات المحلية ذات المعاني الخاصة مثل (السركال) و (الحمولة) و (الكرمة) و (الاجاويد) وكثيرا اشباهها استعملت كما هي دون أن تستبدل بالفاظ عربية فصيحة محافظة على معانيها الدقيقة .



القسم الاول

مقدمة

الفصل الأول

ظروف وميادين الدراسة

في الجبايش

تتناول هذه الدراسة النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لمجتمع من سكان أهوار الفرات وقد وضعت على أساس إقامة دراسة Fieldwork في قرية الجبايش من الثاني لشهر كانون الثاني عام ١٩٥٣ حتى نهاية شهر ايلول من نفس السنة .

١ - لماذا اختيرت قرية الجبايش ؟

الجبایش أكبر قرية في الهورین العظیمین الدائمین ، هور الحمار وهور الحویزة . ولکونها واقعة فی منتصف منطقة الاهوار ، فهي مرکز مناسب يمكن ان يقوم الدارس منه بزيارات لقرى ومجتمعات الاهوار الاخرى المجاورة . ولان سكان الجبايش يعتمدون فی اقتصادياتهم على جمع القصب ولانهم لهذا السبب مرتبطین بالهور ، فهم يمثلون تمثیلا قويا سكان الاهوار . وللجبایش ، بعد هذا كله ، ميزات وخواص تنفرد بها وتكون اسبابا قوية تدعو لاستخدامها كمركز للدراسة . فالفاء المشیخة عام ١٩٢٤ خلق فی القرية وضعا سياسيا طریفا وأدى الى تغلغل نفوذ الحكومة المركزية الى تلك المنطقة ، وتمثیلها فی القرية تمثیلا قويا بصورة نسبية . ولقد مهد هذا الوضع لدراسة الاحتكاك بین الادارة الحديثة التي ادخلتها الحكومة المركزية والنظم السياسية القبلية القائمة فی القرية كما انه أعطى فكرة عن مجهودات الحكومة للعمل على تقدم مجتمع بدائی متأخر . ولقد ضمن تمثیل الحكومة المركزية تمثیلا قويا فی القرية وتمتعها باعتبار كبير ، اذا ما قيس بما لها من

اعتبار فى بقية قرى الاهوار ، ظروفًا دراسية ملائمة فى بعض النواحي •
فلا يوجد اليوم فى الجبايش شيخ يضع العراقيل فى وجه الدارس حين
يريد الاخير أن يقوم بدراسة مفصلة للحياة القبلية ، العمل الذى لا يتفق
ورغبات الشيوخ خاصة اذا ما تناولت تلك الدراسة العلاقة بين الشيخ واتباعه •
وأخيرا ، فأهل الجبايش أناس معروفون بوداعتهم ومسالمتهم وبأنهم ذوو
شهامة ونخوة • هذه كلها عوامل مشجعة جعلتني أفضل هذه القرية كمركز
دراسي على غيرها •

٢ - ظروف الدراسة

ان الصعوبات التى واجهتها فى اقامتى الدراسية فى الجبايش تجعلني
اشارك الاستاذ ايفانس برچرد رأيه فى كتابه The Nuer حين قال^(١) « يجب
أن يحكم المرؤ على أعماله بالعقبات التى تغلب عليها وبالصعاب التى تحملها •
واذا ما طبق هذا المقياس على عملي فلن أخجل من النتائج التى توصلت لها » •
فأول مشكلة واجهتها كانت مشكلة السكنى • فالقرية مكونة من
قسمين منفصلين يسكن احدهما أهل الجبايش وفى ذلك القسم طبعاً أردت
أن أقيم • ولكن لم يوافق أهل الجبايش ولا مدير الناحية على ذلك • فلقد
أشار الاخير بانه ما دامت مهمتى فى القرية لم تزل غامضة بالنسبة لأهل
الجبايش وان كثيرا من الشكوك والافاويل قد أثرت بمجرد وصولي القرية
فمن المستحسن أن أوجل فكرة السكنى بين أهل الجبايش ذاتهم لفترة من
الزمن • ولقد اقترح بان فى استطاعتى أن اسكن مؤقتا فى القسم الثانى من
القرية مع مفوض الشرطة الذى كان يشغل أحد الدور المبنية بالآجر •
ولم استطع الانتقال الى السكنى بين أهل الجبايش الا فى الثامن عشر
من شهر شباط ١٩٥٣ ، بعد أن رضى صاحب جزيرة من الجزر الفارغة
أن يؤجرها لى • فهدمت الكوخ القديم الذى كان مشادا عليها ودفنت أرضها

(1) Evans-Pritchard, E. E., "The Nuer", Oxford, 1940, p. 9.

بشكل حسبه يقى من الفيضان ثم أشدت عليها كوخا جديدا وأحطته بسياج
من قصب •

كانت اقامتى فى بيت مفوض الشرطة غير مرضية من وجوه عدة •
فالبيت كان اشبه ما يكون بنادى ليلى يجتمع فيه عدد من المعلمين وموظفى
الحكومة كل مساء يلعبون القمار ويسمرون • وكنت أعانى صعوبات أساسية
فى الاتصال بأهل القرية بحكم كونى أعيش منفصلا عنهم ، وبيت مفوض
الشرطة لا تتراده الا طبقة خاصة جدا من أهل الجبايش •

لقد أحاطتنى الشكوك ساعة ان وطأت قدماى أرض القرية • فلقد
حاول أهل الجبايش أن يعرفوا شيئا عنى من موظفى الحكومة • وبعد أيام
قلائل بدأ الناس يسألوننى عن مهمتى فى القرية ، فكانت أجوبتى توحى
بان الحكومة قد شعرت بالحاجة الملحة للقيام ببعض الاصلاحات الهامة خاصة
فى بعض المناطق المتأخرة فى بلادنا • وما دامت هذه الاصلاحات لا تنجح
وتؤتى ثمراتها الا اذا رسمت لها خطط مبنية على أساس دراسة مفصلة
للمنطقة التى يراد اصلاح شؤونها ، فان الحكومة أرادت أن تدرس الاحوال
الراهنة فى مثل هذه المناطق تمهيدا لاصلاحها • وهى لهذا الغرض ارسلت
موظفين الى أقسام مختلفة من القطر ولقد وقع الاختيار على لاقوم بهذه
المهمة فى الجبايش • فواجبى اذن أن أمكث فى القرية قرابة سنة ادرس
خلالها طرق معيشة أهلها وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية وأقدم بذلك
تقريرا للحكومة •

وبعد حوالى شهر اعتاد الناس وجودى فى القرية وتلاشت حدة فضولهم
وانقطعوا عن التساؤل عنى وعن عملى •

وكان من المضلات الاخرى التى واجهتها الحصول على خادم ونوتى
لزورقى • فرغم اعلان استعدادى لدفع أجور طيبة فلقد كان من الصعب
الحصول على خادم أو نوتى وذلك لعدم اتفاق مثل هذه الاعمال مع التقاليد
القبلية التى تستكر الخدمة والعمل بأجرة • وكان من تيسر الحصول عليهم

من نوع غير مرض ، فكنت استوظف الخادم والنوتى تلو الاخر طلبا لواحد يتفق وما أريد ، ولكننى لم أبلغ ما اردت الا بعد ان فزت بثقة سر كمال حمولة آل الشيخ وولده الثانى طارق آل خيون حيث اختار لى الاخير رجلا عمل معى كخادم ونوتى حتى غادرت الجبايش .

وبما ان المواصلات المائية هى طرق المواصلات الوحيدة فى مناطق الهور الشاسعة ، فلقد قمت بعدة محاولات للحصول على زورق بخارى . فطرقت أبواب مديرية الموانىء فى البصرة بدون جدوى . ولم يكن الزورق الصغير الذى ابتعته فى الجبايش مأمونا فى موسم علو الماء ولا صالحا للقيام برحلات طويلة ولذا فكان لزاما عليّ ان اعتمد على زوارق كبيرة وزوارق تجارية تستأجر لهذا الغرض . وكان زورق عبدالهادى آل خيون الكبير الفخم موضوعا تحت تصرفى فى المناسبات .

وكان الطعام معضلا آخر لانه كان من المتعذر واقعا أن استوظف طبّاخا محليا أو ان أجلب واحدا من مدينة مجاورة . فكان لزاما عليّ أن اعتمد على الطعام الذى يمكن الحصول عليه فى الجبايش ذاتها . فاتفقت مع فراش المدرسة الذى كان يقدم وجبات طعام لبعض مدرسى المدرسة أن يقدم لى الطعام بنفس الطريقة . ولقد قاسيت صعوبة كبيرة فى التعود على الطعام الذى كان يقدم لى بموجب اعتبارات كثيرة لا يعد مزاجى واحدا منها . وكنت اعتمد فى أغلب الاحيان على الخبز والسمك المشوى والرز واللبن الرائب .

وكانت الظروف الطبيعية فى القرية فى بعض أوقات السنة لا تطاق لان الحر والفيضان يحلان فى وقت واحد تقريبا ومعهما يصبح البعوض كثيرا كثرة غير اعتيادية . فالفيضان الذى يستمر من مارت حتى آب يصير الحركة حتى فى داخل الجزيرة التى يقيم فيها الساكن غير ممكنة الا بزورق . ويصبح السير على الاقدام فى موسم اشتداد الفيضان عملا لا يمكن مزاولته . ويتعذر فى هذا الفصل على المرء أن يمكث خارج الناموسية بعد غياب

الشمس ، خاصة ان لم تكن هناك ريح تدفع غائلة غيوم البعوض التى تبدأ فى التساقط من السماء مع حلول الظلمة . وكنت أحارب ذلك البعوض النهم بطرق عدة أغلبها غير مجدية ، وكم تمنيت على الدهر لو ملكت مائة يد بدل اثنين لاحمى جسمى من تلك الحشرات المؤذية ! وتكرر الافاعى فى هذه الفترة وتنشط فتزيد هى وبقية الزواحف والحشرات كثيرا من الازعاج الذى يواجهه الانسان فى موسم الحر .

كان الصيف الذى أمضيته فى الجبايش مرهقا لحد كبير جدا . فلقد استمر الحر شديدا ستة أشهر . وفى شهر حزيران وتموز وآب كانت درجة الحرارة ترتفع فى الظل الى ما بين ٩٠ و ١١٠ درجة فهرنهايت . وفى شهرى تموز وآب كانت كثيرا ما تتجاوز ال ١١٠ درجات فهرنهايت وفى عدد من الايام فى ذينك الشهرين بلغت ال ١٢٠ درجة . ولم يكن لى واقيا من لهب الشمس المحرق فى ذلك الفصل غير سقف كوخى المكون من حصيرتين خفيفتين من القصب .

وكانت المساعدة من جانب الحكومة معدومة انعداما تاما سواء أكان ذلك فيما يتعلق بجمع المعلومات أو فيما يتعلق بتسهيل مهمتى . لقد ظلت كمية كبيرة من المعلومات مدفونة فى ملفات الحكومة رغم محاولاتي المتكررة ومجهوداتي الطويلة فى بغداد للحصول عليها . فلقد أدعى أن ما طلبت الاطلاع عليه من معلومات تعتبر سرية للغاية وانها تتعلق بأشخاص أحياء وبأحداث ما زالت ماثلة فى الازهار . وفى رحلتى لمناطق أهوار العمارة فى ربيع عام ١٩٥٣ منعت من الذهاب الى منطقة معينة بسبب اضطرابات ومصادمات كانت قد وقعت مؤخرا هناك بين الفلاحين والشيخ . وادعت السلطات المختصة ان مرورى هناك قد يترتب عليه نتائج غير محمودة . ولكى أحصل مثلا على عدد أشجار النخيل فى قرية الجبايش اضطررت أن أراجع جمعية التمور فى البصرة أربع مرات ولم أنل بغيرتى الا بعد الاتصال بمعاون المدير العام . وعندئذ فقط قرأ لى الموظف المختص الرقم من محفظة قرية التناول .

وكان المعضل الاساسى الذى لاقته فى الشهور الثلاثة الاولى من اقامتى فى الجبايش انعدام ثقة الاهلين بى وصعوبة اختلاطى بهم . فلقد طرقت سبلا عدة لتوفير تلك الثقة الضرورية جدا لعملى . فلقد دأبت على زيارة الشخصيات البارزة فى القرية كسر كمال حمولة آل الشيخ وابنه الثانى وابن الشيخ السابق للعشيرة وغيرهم . واعلنت استعدادى لمساعدة أهل القرية فى معاملاتهم مع الحكومة بكتابة رسائل التوصية الى بغداد وغيرها . وكنت اكتب الرسائل الخاصة لمن يريد أن يكتب لاهله واصدقائه خارج القرية . وكان كوخى مفتوحا دائما لاي شخص يروم زيارتى . وكنت أقدم فيه للزائرين السجائر والشاي . وساعدت زياراتى للبارزين من أهل الجبايش وأحاديثى فى المضايقات والمقاهى وتقديم بعض الهدايا الصغيرة لبعض الاهلين من حين لآخر على خلق جو مناسب للعمل .

وبعد ثلاثة شهور بدأت أشعر اننى قد نلت ثقة أهل الجبايش فبدأ المجتمع يفتح نفسه لى . ولم يكن فى وسعى حينئذ ان أحصل على عدد من مخبرين متطوعين Voluntary informants فحسب ، بل ان المضايقات كلها فتحت أبوابها لى فأضحت علاقتى بكل الناس علاقة ود بعيدة عن التكلف والمجاملات . وبعد ما يقرب من ستة شهور بدأ أهل الجبايش يتحدثون عنى كـ (واحد من عدنه) و (واحد من بنى أسد)^(١) . وبذل كل من سر كمال حمولة آل الشيخ المرحوم عبد الهادى آل خيون وولده طارق آل خيون قصارى جهدهما لتيسير مهمتى . وكنت أذهب لهما فى مشاكلنا فكانا يهتبلان كل فرصة ليظهر لاهل الجبايش باننى كنت موطن ثقتهم وموضع عنايتهم وانهما كانا يبذلان كل ما فى وسعهما لمعاونتى فى عملى . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا السلوك ان صار أهل القرية يتبارون فى تقليد رئيسهم وولده فى معاونتى وتسهيل عملى .

(١) العشيرة التى تقطن الجبايش .

ولكن رغم هذا كله فلقد تصرمت خمسة شهور على وصولي الى الجبايش قبل أن احصل على مخبرين دائمين Regular Informants . ففي الشهرين الاولين لم أحاول الحصول على مخبرين لانه اتضح لي من الجو الذي كنت أعمل فيه أن محاولة من هذا القبيل قد تسبب رد فعل غير محمود . فأهل الجبايش ما كانوا يرغبون أن يسألوا عن طراز حياتهم وأحوالهم وكانوا يعتقدون أن تقديم معلومات عن هذه الامور نوع من الخيانة للعشيرة . ولذا فقد كنت اقتصر في هذه الفترة لغرض جمع المعلومات المطلوبة على خادمي وعلى النوتي الذي كان يعمل عندي وفي حالات خاصة على بعض موظفي الحكومة .

وبدأت بصورة تدريجية استفيد من بعض الرجال الذين أظهروا فهما لطبيعة عملي كمخبرين بين آونة وأخرى . وكان أول هؤلاء طارق آل خيون ، الابن الثاني لسركال حمولة آل الشيخ ، الذي يأتي بعد والده في الاهمية السياسية في القرية ويتمتع بنفوذ قوى جدا فيها . وهو ممن تخرجوا في المدارس الثانوية وله معلومات عامة واسعة ويكن اعجابا شديدا للمدينة العصرية مع تقدير كبير لفوائد الثقافة . ولقد كان طارق آل خيون خير المخبرين بشكل لا يقبل المقارنة ولا القياس ، لانه كان يفهم اسلتي فيقدم لي أجوبة كاملة مضبوطة . وكانت المزية العظمى في عمله كمخبر لي كونه اصبح بعد مضي اشهر قليلة صديقي المقرب فكنا نتحدث بحرية وكنت لا اتردد أن أساله أى سؤال حتى لو كان يتعلق بعائلته وشؤونه الخاصة . ولقد استمر منذ البداية يقدم لي المعلومات وبقي كذلك ، يعمل معي أحيانا في مقابلات يومية طويلة حتى غادرت الجبايش . وفي الفترة التي تصرمت بين تركي الجبايش وبين اتمام كتابة هذه الاطروحة في شهر نيسان عام ١٩٥٥ كان طارق آل خيون يدأب على احاطتي علما بكل جديد مهم في القرية عن

طريق المراسلة • وكنت بدورى أسأله أسئلة عن بعض أمور غامضة فيجيب عليها بالتفصيل بنفس الطريقة •

وبمساعدة طارق آل خيون كان بوسعى ان احصل على عدد من المخبرين غير الدائمين Irregular Informants • فمدير الناحية الذى كان يشغل منصبه لمدة خمس سنوات متصلات فى الجياش فحصل بذلك على معلومات غزيرة عن القرية وأهلها ، ورجل مسن من آل خيون كان معروفا بسعة اطلاعه فى تاريخ العشيرة ، ووجه من وجوه حمولة آل غريج ذو اطلاع واسع فى القضاء العشائرى ، كل هؤلاء وآخرون غيرهم كانوا من بين المخبرين الذين استعنت بهم فى بعض الحالات • واستطاع طارق آل خيون فى الوقت المناسب ان يقنع والده الذى كان طاعنا فى السن معتل الصحة بأن يقدم لى بعض المعلومات فكان السركال يرسل عليّ من وقت لآخر لتناقش فى بعض الموضوعات الخاصة كالتقاليد العشائرية والقانون العشائرى ، وهى الموضوعات التى يثقها خيرا من أى فرد من أفراد العشيرة وبشكل لا يدانيه فيه أحد • وعلى مر الايام بدأ يحب السركال تلك المناقشات فكان كلما عاد الى الجياش ، وكان كثير الاسفار ، وكلما سمحت صحته بذلك ، لا يضع يوما يمه دون أن يرسل فى طلبى مع وصيته الكريمة المعتادة « جيب دفترك » • ولولا اعتلال صحة عبدالهادى آل خيون وتعذر تطمين مقابلات طويلة متعددة معه لغرض المناقشة والبحث لكان من المستطاع الاستفادة منه كمخبر نافع جدا لسعة معلوماته بالتاريخ العشائرى ودقة رواياته وأخباره • وكان بالاضافة الى هذا كثير الاسفار يترك الجياش لفترات طويلة وحين يعود للقرية يكون موزع الوقت والجهد فى تدبير أمور عائلته وحمولته • ولكن رغم هذا كله فقد زودنى عبدالهادى آل خيون بكثير من المعلومات الثمينة عن القانون العشائرى •

وحين اتممت رحلتى فى منطقة الاهوار فى نهاية نيسان عام ١٩٥٣ ، اتفقت انا وطارق بان الوقت قد حان لايجاد مخبرين دائمين • فاختار لى

طارق ثلاثة رجال مسنين من حمولة آل الشيخ وطلب اليهم أن يأتوا بانتظام الى كوخى للمناقشة وللإجابة عن أسئلتى • فوافق اثنان منهم فقط على القيام بهذه المهمة • ولقد اتفقنا الا تدفع أجور لهذين المخبرين لان فكرة « بيع المعلومات » كانت بغیضة لاهل الجبایش ، والمستحسن ان يستعاض عن ذلك بالهدايا • ولكن واحدا من المخبرين فقط وهو غرار آل طاهر واضب على الحضور الى كوخى كل صباح حتى غادرت الجبایش • ولقد كان غرار مخبرى الدائم الوحيد بجانب السركال وولده طارق • ولقد كان الرجل الوحيد الذى قبل فكرة العمل بهذه الصفة ولكنه كان يبدى عدم ارتياحه لما قد يظنه الناس به لقبوله هذا العمل •

لقد كان غرار آل طاهر يختلف من نواح عدة عن رفاقه شيوخ العشيرة والا لرفض العمل كمخبر كما فعل كثيرون • فكان قد أمضى قرابة ثلاثين عاما من حياته خارج العشيرة يعمل تاجرا وعاملا وأمضى قسما من تلك الاعوام فى المدن • وحين عاد الى الجبایش بعد تلك الغيبة الطويلة لم يدأب على كسب عيشه من الزراعة أو حياكة الحصر وهما الطريقتان الاعتياديتان لكسب العيش فى القرية ، ولكنه كان يعتاش من مورد دكان فى زورق صغير تجوب به زوجته أرجاء القرية تبیع مواد وأدوات الزينة لنساء القرية ، ومن اعانات مالية يرسلها له كل شهر ولداه الجنديان من خارج الجبایش • ولم يكن غرار يعد فى القرية بين « أجاوید الطایفة » الطبقة التى تتمتع باعتبار واحترام عظیمين لاسباب عدة لا مجال لذكرها هنا • لم يفهم غرار آل طاهر فى البداية طبيعة الاسئلة التى كنت أوجهها له • ولكننى دأبت على تمرينه وتدريبه ، وبعد مضى ما يقرب من اسبوعين اصبح غرار مخبرا ممتازا • فلقد كان صاحب معلومات واسعة ولقد صيرت منه خبرته الطويلة فى بيئات وأعمال مختلفة منبعاً من المعلومات والاخبار • وكان يوشك ان يكون متفرغا تمام التفرغ للمقابلات اليومية Interviews

لانه كان بلا عمل وكان على استعداد لان يطيل المقابلة بقدر ما ارغب انا
فى ذلك •

لقد لاقيت صعوبة كبرى فى الحصول على امرأة مخبرة لتعيننى على
فهم الموضوعات التى لها مساس بالشؤون النسائية وشؤون الاطفال • ولقد
قمت انا وطارق بمحاولات متكررة للحصول على مخبرة من هذا القبيل
ولكن كان من المتعذر اقناع امرأة كى تأتى بشكل منتظم لكوخى فتجيب
على اسئلتى ولتتناقش معى فى موضوعات نسائية • فلقد كانت النسوة فى الجبايش
يعتقدن بأن من الخزى كشف اسرارهن وشؤونهن لرجل غريب • وكان
يظن ان امرأة واحدة ، هى أخت فراش المدرسة الذى كان يقوم بتقديم
الطعام الي قد تقبل مثل هذا العمل لو كانت موجودة فى القرية • ولذا
فقد اقنعت انا وطارق ذلك الفراش أن يرسل فى طلب أخته الى الجبايش •
وبدأت تلك المرأة واسمها نجدية آل مخور العمل معى اعتبارا من الحادى
عشر من شهر آب • وكانت لنجدية خبرة طويلة فى القبالة ورعاية الاطفال
وتربيتهم • وهى مثل كزار ذات مركز خاص فى العشيرة سمح لها بقبول
ما رفضته كثير من نسوة القرية • فلقد كانت سابقا عبده من عبيد آل خيون ،
والعبيد ذوو مركز اجتماعى وضعى جدا فى العشيرة • وكانت تعمل عدة
سنوات كخادمة فى بيوت بعض الموظفين فى القرية فاعتادت بذلك الاتصال
بالغرباء والعمل لهم •

يختلف المخبرون ، طبعا ، فى معلوماتهم حسب ثقافتهم وتجاربهم •
فبعد ان عرفت المخبرين الذين كنت أعمل معهم صرت استفيد من ميولهم
وسعة اطلاع كل منهم فى نواحي خاصة فكنت أحصر مناقشاتى مع كل
واحد منهم فى الموضوعات التى يلم بها أكثر من البقية •

٤ - اساليب جمع المعلومات

كنت أحصل على المعلومات التى ابتغيها فى عدد من الاساليب •

فالمشاهدة أو الملاحظة المباشرة Direct Observation كانت المورد الاساسى لمعلوماتى ، وكنت استعملها للحصول على معلومات عن حياة الحصر وصيد السمك وبناء وتصليح الزوارق وجمع القصب من الهور والعناية بالحيوانات وبالشؤون المنزلية مثل الطبخ والخبز والغسل وما الى ذلك من فعاليات كانت تراقب وتشاهد بعناية وتكرار . وكنت أقوم بزيارات صباحية رتيبة لمضيف عبدالهady آل خيون حيث كانت القهوة تقدم للمضيف كل صباح وحيث كان يلثم عقد عدد من رجال العشيرة ليتحدثوا ساعات عن موضوعات وشؤون مختلفة . فكنت اشترك فى الاحاديث واتعمد اثاره موضوعات تؤدى الى نقاش واختلافات فى الرأى . وكنت أزور مضاييف أخرى كمضيف ثعبان آل خيون وغيره .

وكنت اشارك مشاركة تامة ، كلما تيسر لى ذلك ، فى حياة القرية . فحين بنى عبد الهady آل خيون مضيفه الجديد شاركت فى كافة مراحل البناء . وفى العيدين وشهر رمضان ومحرم كنت أشارك فى الفعاليات المحلية كما يفعل أى فرد من أفراد العشيرة .

وكنت أزور دار الحكومة فى القرية كل يوم لاستقى المعلومات والاخبار عن الشكاوى التى ترفع وعن الاحداث التى تقع . وكنت أجمع بزياراتى تلك معلومات عامة من الموظفين وفى أبان ذلك درست عددا ضخما جدا من ملفات دار الحكومة . وبالإضافة لكل هذا درست مجموعة ثمينة من أوراق خاصة بعبدالهady آل خيون قدمها لى ولده طارق وكانت تحوى وثائق ومستندات طريفة عن العهد العثمانى والشؤون العشائرية وبعض الاحداث السياسية الهامة . وكنت أقوم بجولات يومية فى زورقى فى أرجاء القرية لارقب الناس والتقى بهم ابان قيامهم باعمالهم اليومية المعتادة .

ولقد جمعت تواريخ حياة Life histories أولا من خدمى ونوتيتى ثم من بعض الاهلين . واتصلت بالطلبة الكبار فى المدرسة وطلبت لبعضهم أن

يكتبوا تاريخ حياتهم • وجمعت مرة زمرة منهم ووجهت لهم اسئلة معينة
أجابوا عنها تحريريا •

كانت وسيلة جمع المعلومات هي الاسئلة Questionnaire والمناقشة
Discussion . وكانت الاسئلة توضع طبقا للمنهج العام الموضوع في كتاب
Notes and Queries on Anthropology⁽¹⁾.

مع التغيرات التي كان يقتضيها الموضوع • وكانت المناقشات والتعليقات
تستعمل دائما كطريقة أساسية لتوضيح المعلومات المطلوبة • وكنت أسجل كل ما
يطرق سمعي من قصص وأخبار وأشاعات مهما تفهت قيمتها •

وكانت المعلومات المهمة تدقق بصبر وأناة • فلقد كان من الاجراءات
التي اتبعتها حين كنت استقصى موضوعا بالغ الاهمية أن أسأل أكثر من مخبر
واحد نفس الاسئلة وأقارن النتائج • ولقد حصلت على كثير من النتائج
الطريفة باتباع هذه الطريقة • ولم اسمح مطلقا لمخبر أن يكشف ان ما يقدمه
الى من معلومات تدقق مع مخبر آخر •

وأعددت استمارة خاصة لتكون أساسا لجمع معلومات بشرية
Demographic واقتصادية • وحت تلك الاستمارة اسئلة مفصلة عن
المعلومات البشرية والثروة ورأس المال وطرق كسب العيش والامية والزواج
والطلاق والامراض وما الى ذلك • وطبعت من هذه الاستمارة مائتي نسخة
ولكن تعذر عليّ في النهاية املاء كل تلك النسخ لاسباب عديدة أهمها
سعة القرية التي تجاوزت الثلاثة أميال طولا مع عدم توفر واسطة نقل غير
الزورق البطيء ، وصعوبة فهم أهل الجياش للاسئلة التي تضمنتها الاستمارة
وصعوبة الحصول على معلومات مضبوطة عنها • فلم أكمل املاء غير مائة
وعشرين استمارة استعملت في هذه الاطروحة كأساس للإحصاء والامثلة
التصويرية • ولم تقتصر فائدة تلك الاستمارات على ما حوته من معلومات

(1) Royal Anthropological Institute, 6th Ed., London, 1951.

احصائية بل تعدته الى فرص الاتصال الوثيق بسكان القرية التي هيأها املاء تلك الاستثمارات هذا بالاضافة الى أن الاجوبة عن الاسئلة المضمنة بالاستمارة كانت غالبا تقدم مع كثير من القصص والتعليقات والاشارات التي تكون بمجموعها معلومات ثمينة للغاية .

ولقد استقيت كثيرا من المعلومات خارج الجياش خاصة في البصرة وبغداد ولحد ما في سوق الشيوخ والناصرية . فلقد زرت في البصرة مكابس التمور حيث يعمل عدد كبير من عوائل الجياش ما يقرب من شهرين كل عام . فأقضيت اسبوعا في تلك المكابس وقمت بدراسة مفصلة لهجرة العمل الموسمية هذه . ودرست في بغداد بعض المواد المطبوعة بالاضافة الى القليل من الاحصائيات والمعلومات الرسمية التي حصلت عليها من الدوائر الرسمية . وزت عدة مرات الشيخ سالم آل خيون شيخ بنى أسد السابق في بغداد حيث يقيم ، فتحدثنا طويلا عن الجياش وعن بنى أسد ، واستسخت تاريخ حياته الموضوع في حوالى سبع عشرة الف كلمة في اللغة العربية^(١) . وفي سوق الشيوخ والناصرية اطلعت على بعض الوثائق الرسمية وناقشت بعض موظفي الادارة في بعض أمور ذات خطر .

٥ - الرحلات في مناطق الاهوار

لقد قمت بنوعين من الرحلات في الاهوار ؛ رحلات الى المناطق القريبة من أهوار الفرات كالعبد وابو سيابة وlishan والحمار وبنى مشرف وعبادة وسوق الشيوخ . وكنت أقوم بمثل هذه الرحلات في مناسبات عدة لقرب هذه الاماكن والقرى ولان مثل هذه الرحلات يمكن ان تتم في يوم أو اثنين . وبالإضافة لهذا قمت برحلة طويلة في الربيع في هور الحمار وأهوار دجلة ، استغرقت شهرا كاملا .

(١) مخطوط ، تأليف محمد هادي الدفتر ، بغداد ١٩٤٩ .

كانت رحلة الربيع فى موسم ارتفاع المياه ، فبدأتها فى الثانى من شهر نيسان وانتهت فى اليوم الاول من شهر مايس . وخصص القسم الاول من هذه الرحلة لهور الحمار واستغرق خمسة أيام جبت فيها الهور العظيم طولا وعرضا وزرت خلالها كافة القرى والمجتمعات المنبئة على طول حافته الجنوبية وفى سلسلة الجزر النائية فى وسطه . وخصص القسم الثانى من هذه الرحلة الى أهوار دجلة ودام سبعة عشر يوما . ولقد زرت كل ما يمكن الوصول اليه من القرى والمجتمعات فى أهوار دجلة الثلاثة الكسارية والعظيم والحويزة .

لقد مكنتنى هذه الرحلات أن أكوّن فكرة عامة عن سكان الاهوار وتوزيعهم وان اتعرف على الاهوار والحياة فيها . وكانت تلك الرحلات بالغة الاهمية والنفع للمقارنة بين سكان الجبايش ومجتمعات الهور الاخرى .

٦ - ميدان الدراسة ومراميها

ان ميدان هذه الدراسة هو وصف وتحليل بعض نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى قرية الجبايش . ولقد قسمت الدراسة الى اربعة أقسام ، الاول ، وهو مقدمة ، يحتوى على تعريف بظروف الدراسة فى القرية وتعريف عام مقتضب بسكان الاهوار فى العراق ثم وصف لقرية الجبايش وبيئتها الطبيعية . والدراسة ذاتها تتكون من ثلاثة أقسام يدرس الاول الكيان الاجتماعى ويبحث الثانى عن النظام السياسى والثالث النظام الاقتصادى . وفى القسم الاول درست المكونات المهمة فقط للبناء الاجتماعى فى القرية كالعشيرة والحمولة والفخذ والعائلة والقرابة والطبقات الاجتماعية والمضيف وأثره فى المجتمع . وفى القسم الثانى تناولت تطور النظام السياسى فى القرية والمشيمة القديمة ثم النظام السياسى المعاصر فيها مع دراسة للحكومة ومؤسساتها كما وجدتها عام ١٩٥٣ . وفى القسم الرابع الذى يدرس الحياة الاقتصادية سنتناول الاراضى وشؤونها ثم المكونين

الرئيسيين في حياة القرية الاقتصادية وهما الزراعة وتجارة وحياسة القصب والحصر • وستتم الصورة الاقتصادية دراسة الفعاليات الاقتصادية الاخرى كهجرات العمل الموسمية والمصادر الاقتصادية الثانوية كترية الماشية وصيد السمك والطيور • وهناك فصل خاص يدرس السوق والتجارة والمقايضة والتصدير والاستيراد • أما الاحتكاك بين الفعاليات الاقتصادية والبناء الاجتماعي فستصور في الفصل الختامي من هذا القسم •

هذه أول دراسة في الانثروبولوجي الاجتماعية في العراق والذي نرجوه هو أن تحفز الهمم لدراسات انثروبولوجية مماثلة في قطر يحتاج حاجة ماسة لمثل هذه الدراسات لانه يضم بين حدوده عددا كبيرا من المجتمعات المتأخرة • والمتوقع أن تلفت هذه الدراسة اهتمام ذوي الشأن للمنطقة المدروسة فتحظى بحاجتها من الاصلاح •



الفصل الثاني

سكان الاهوار في العراق

ان الغرض من هذا الفصل هو تقديم فكرة موجزة عن سكان الاهوار في العراق كأساس لدراسة بعض النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لسكان الاهوار في الجبايش .

هناك ثلاثة تعابير تستعمل في معرض الحديث عن سكان الاهوار في جنوب العراق ؛ « سكان الاهوار » Marshdwellers « وعرب الاهوار » Marsh Arabs « والمعدان » Ma'dan . وما دام سكان الاهوار ذوي أصل مخلوط ، فيبدو أن من الانسب استعمال التعبير العام « سكان الاهوار » Marshdwellers ليضم الاصناف الثلاثة . وسأستعمل هذا التعبير في هذا المؤلف قاصدا به كل سكان الاهوار في جنوب العراق كما سيعرفون أدناه بغض النظر عن أصلهم أو طراز حياتهم الاقتصادي .

والتعبير الثالث « المعدان » كان ولا يزال يستعمل بكثير من الغموض . فسكان المدن في العراق يستعملونه في معاني مختلفة ، اما للتدليل على سكان الاهوار عامة بلا تمييز أو لوصف الشخص المنعوت بهذا التعبير بالغلظة أو عدم الانتظام سواء أكان المنعوت من سكان المدن أو الاهوار أو الارياف . وكثيرا ما يطلق هذا التعبير في الكتابات الانكليزية على سكان الاهوار بصورة عامة . وانا أرى ان كلمة « معدان » يجب أن يقصد بها قسم واحد من سكان الاهوار فحسب وهم رعاة الجاموس الرحل الذين يكونون قسما صغيرا من سكان الاهوار ، واني سأستعمل هذه الكلمة في هذا المؤلف بهذا المعنى فقط .

وسكان الاهوار أنفسهم يستعملون كلمة معدان بهذا المعنى • ولعل من الطريف أن نذكر بهذه المناسبة ان سكان الاهوار من غير المعدان يعتبرون نعتهم بهذا الاسم اهانة ما داموا يعتقدون ان المعدان أقل منهم درجة في سلم الحضارة وأشد سكان الاهوار تأخرا •

١ - الموقع والتوزيع

يقطن سكان الاهوار الاراضي الواطئة في الحوض الجنوبي للنهرين التوأمين دجلة والفرات • ويقع مسكنهم بصورة تقريبية في حدود خط مار بالبصرة جنوبا وبالكوت والكفل في الشمال الشرقي والشمال الغربي على التابع • ويمتد هذا المسكن بين خطي العرض 30° و 50° شمالا ، من الشمال الى الجنوب وبين خطي الطول 44° و 48° شرقا ، من الشرق الى الغرب • ومن المهم أن نذكر بان هذه المنطقة ليست مسكونة كلها بسكان الاهوار ولا هي هور متصل • فقسم كبير من سكان هذه المنطقة يتكون اما من أهل المدن أو من سكان الارياف القاطنين في عدد كبير جدا من القرى على ضفاف دجلة والفرات وفروعهما أو بدو رحل يرعون ابلهم وأغنامهم في السهول الواقعة بين العمارة والكوت أو في أحد الامتدادين الصحراويين الواقعين بين أهوار دجلة ونهر الفرات وبين نهري الغراف والفرات ، أو في الصحراء الواقعة غرب نهر الفرات بين الناصرية والحلة • ان حدود منطقة الاهوار في العراق هي مدينتي الكوت والكفل في الشمال ومدينة البصرة في الجنوب وفي الشرق الحدود الايرانية التي تمر لمسافة طويلة ، خاصة شرق العمارة ، في الاهوار ذاتها ، وغربا نهر الفرات بين مدينتي الحلة وسوق الشيوخ والحافة الجنوبية لهور الحمار بين سوق الشيوخ والبصرة •

ليس من المستطاع تصنيف سكان الاهوار على أساس لغوي لان لغة بعضهم لا تختلف عن لغة البعض الآخر الا قليلا • فالجماعات المختلفة من

سكان الاهوار يتكلمون كافة لغة واحدة مع اختلافات طفيفة في اللهجة • وتصنيفهم - كما يفعل ذلك بعض الباحثين - على أساس تقسيمهم الى بدو ومعدان غير صحيح أيضا ، لان كثيرا من القبائل البدوية التي هاجرت من الجزيرة العربية الى العراق اتخذت الاهوار ملجأ ورعى الجاموس وسيلة للعيش ، فترتب على هذا انقطاع الصلة بينها وبين الحياة البدوية لعدة مئات من السنين • ولكن رغم هذا كله فان صفات بدوية ، طبيعية وحضارية يمكن ان تلاحظ بوضوح في سكان أهوار منطقة الفرات نتيجة الاتصال بالجزيرة العربية عن طريق الهجرة والتزاوج • وتكاد هذه الصفات ان تقسم سكان الاهوار ولو بصورة غير واضحة ، الى مجموعتين : المجموعة الشرقية التي تقطن أهوار دجلة ، والمجموعة الغربية التي تقطن أهوار الفرات •

ولذا ، فيبدو من الاصلح أن نصنف سكان الاهوار على أساس اقتصادي بحث • وبهذا المقياس يمكن تقسيمهم ثلاثة أقسام : المزارعون Cultivators ، وجماعو القصب Reed-Gatherers ، ورعاة الجاموس Buffalo-Breeders • ورغم وجود مجموعات من هذه الاقسام الثلاثة في كل منطقة فان من المستطاع ان نعتبرهم موزعين بصورة عامة على الوجه التالي :

القسم	المسكن
١ - المزارعون	
أ - ابو محمد	أهوار دجلة من العمارة الى الكسارة وعلى نهر المجر الكبير •
ب - آل ازيرج	بين لواءى العمارة والمنتفك في أهوار المجر الصغير •
ج - السودان	الشمال الشرقي لمدينة العمارة على نهر الكحلاء •
د - السواعد	هور لعظيم •

هـ - بنى لام (جزء من العشيرة) الشمال والشمال الغربى لمدينة العمارة
(وبصورة رئيسية فى هور عودة وهو السنية)

- | | |
|------------------------------------|--------------------------|
| • الاقسام السفلى لنهر الغراف | و - خفاجة |
| • الاقسام السفلى لنهر الغراف | ز - ابو صالح |
| منطقة سوق الشيوخ ؟ غرب نهو الفرات | ح - المجرة |
| • والحدود الشمالية للجياش | |
| • منطقة سوق الشيوخ شرق نهر الفرات | ط - بنى خيگان |
| • منطقتا الجياش والمدينة | ى - الجزاير |
| • منطقة القرنة | ك - بنى منصور |
| • على الفرات بين الشنافية والدراجى | ل - بنى حجام |
| • بين فرعى الفرات الحلة والهندية | م - خزاعل وجبور وآل فتلة |

٢ - جماعو القصب

- أ - بنى أسد قرية الجياش والخرفية على بعد بضعة أميال
• جنوب شرقى الجياش

- ب - ابو محمد (حمائل البطاطة والنوافل وآل ارذيل والبو غنام والشدة) • هور الكسارة

٣ - رعاة الجاموس

- أ - ابو محمد (حمائل بيت نصرالله والبو غنام) • هور الحويزة
- ب - البنده هور لعظيم
- ج - عگیل الجدول فى الاقسام السفلى من نهر الغراف
- د - الفرطوس هور العبد

٢ - معلومات بشرية

ليس لدينا لسوء الحظ أية معلومات رسمية عن السكان وكثافتهم في مناطق الاهوار . فاحصاء النفوس الاخير الذي جرى في العراق عام ١٩٤٧ ، وهو أول احصاء يجرى على أساس علمي منظم ، قد وضع على أساس الاقسام الادارية ؛ الاولوية والاقضية والنواحي ولم يحو أية احصائيات عن العشائر ولا عن توزيعها واقسامها . ولذا فنحن مضطرون اما أن نأخذ بالتخمين أو بتقديرات الموظفين الاداريين التي هي ليست أصلح من التخمين الا قليلا .

وعلى هذه الاسس ، التخمين وتقديرات الموظفين الاداريين ، قدر سكان الاهوار بثلاثمائة الف نسمة ، ولكنني اعتقد انهم قد يقاربون الاربعمائة الف . وأكثر صعوبة من تقدير عدد النفوس العام لسكان الاهوار اعطاء أرقام لعدد الاقسام من مزارعين وجماعي قصب ورعاة جاموس كما أن مجال الخطأ هنا أوسع . ولكنني استطيع أن أقول بشيء من الجزم ان المزارعين يكونون الاغلبية الساحقة وقد يصلون الى ثلاثمائة وخمسين الف نسمة وان كلا من جماعي القصب ورعاة الجاموس لا يجاوزون الخمس وعشرين الف نسمة .

ان كثافة السكان في الاهوار غير معروفة ولكن كثافة سكان الاولوية التي تقع فيها منطقة الاهوار وهي البصرة والعمارة والمتفك والديوانية والحلة والكوت هي كما يأتي^(١) :

(١) المجموعة الاحصائية ١٩٥٠ ، دائرة الاحصاء ، وزارة الاقتصاد ، بغداد ١٩٥٢ .

الكثافة بالكيلومتر المربع	اللسواء
٢٨٠٦	البصرة
١٦٠٤	العمارة
٢٦٠١	المنتفك
٢٥٠٧	الديوانية
٤٩٠٥	الحلة
١٤٠٠	الكوت

هناك اربعة أصناف من المساكن Forms of settlement فى مناطق

الاهوار :

١ - (السلف) (ويدعى احيانا وبصورة خاصة فى أهوار الفرات النزل) ، ويمكن ان نطلق عليه اسم قرية وهو كثير الوجود فى المناطق المزدهمة بالسكان ويتكون من بيوت^(١) يتراوح عددها بين مائة وثلاثمائة كوخ حسب كثافة السكان والموقع . ويوجد فى السلف عادة مضيف أو أكثر ودكان . والسلف عادة مقسم الى أقسام يقطن كل قسم فخذ Lineage وتتشر هذه القرى بين المسالك والترع المائية وبين المزارع .

٢ - (الايشان) وهو جزيرة فى الاهوار العميقة الدائمة^(٢) يقطنها عادة اما جماعو القصب أو رعاة الجاموس . وفى كل من أهوار الحمار والكسارة والحويزة العميقة الدائمة يوجد عدد من هذه (الاشن)^(٣) التى يعتقد انها مواقع مدن أثرية قديمة . يتكون (الايشان) عادة من عدد من الاكواخ المبنية بشكل بسيط جدا من القصب أو البردى ، ويتراوح عددها بين الثلاثين والاربعين فوق (الاشن) الصغيرة ولكنه قد يصل الخمسمائة

(١) ان لفظة بيت قد تعنى كوخ أو (صريفة) كما قد يقصد بها عائلة .

(٢) اننا نقسم الاهوار الى عميقة أو دائمية Permanent marshes

وموسمية تجف فى موسم هبوط الماء Seasonal marshes

(٣) جمع (ايشان) .

كوخ فى (الاشن) الكبيرة • ويوجد على الأقل دكان واحد فى كل (ايشان) ولكن المضاف قليلة بل نادرة • ويقطن الايشان الواحد عادة ، ولكن ليس دائما ، فخذ أو عدد من الافخاذ ، وفى بعض الاحيان مجموعات من (حمائل) مختلفة •

٣ - (الدبون) فى موسم الفيضان يصنع رعاة الجاموس مصاطب عائمة Floating Platforms أو Rafts من القصب والبردى والتراب وروث الجاموس ، تتسع الواحدة منها لكوخ أو لعدد من الجاموس ويمكن دفعها ونقلها فى الماء من مكان لآخر واستعمالها كمسكن مؤقت ، كما يمكن جمع عدد من المصاطب العائمة فتكون فى بعض الاحيان قرية صغيرة ، لها فى بعض الحالات دكانها الخاص • وتوجد (الدبون) فى هور الحمار وهور الحويزة فقط وفى اعداد محدودة •

٤ - (جبايش)^(١) : تستحدث بعض الجزر أو يرفع سطح الواطئة منها خاصة فى المناطق الهورية التى يكثر فيها القصب بفرش طبقات من القصب والبردى والتراب فى موسم الفيضان لضمان عدم غمر الماء للجزيرة ولإمكان استمرار استعمالها كمسكن فى ذلك الموسم • وهذا النوع من المسكن هو طراز السكنى الخاص بقرية الجبايش • فالجبايش كما سنرى من الفصول القادمة قرية سكانها يقربون من أحد عشر ألف نسمة يقطنون ما يقرب من ألف وستمائة جزيرة صغيرة وفيها ما يقرب من ستمائة مضيف ومائة دكان ودوائر حكومية تضم مدرسة للبنين ومستوصفا • وقرية الجبايش هى القرية الوحيدة فى أهوار العراق التى يقطن سكانها جبايش مستحدثة من البردى والقصب والتراب •

٣ - التاريخ والنسب

ان كافة العشائر الكبيرة فى الاهوار تدعى انتسابا لواحدة من القبائل

(١) ومفردها (جباشة) وهى مأخوذة من الاصل العربى كبس •

العربية القديمة المعروفة ، وتدعى أن القبيلة الام هاجرت كلا أو جزءا الى العراق فى وقت من الاوقات فيما بين الاحتلال الاسلامى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧ ميلادية وبين عهد قد يتأخر الى ما قبل مائتى عام فقط . وهذا يتعارض ، كما سيظهر من البحث ، مع وجهات نظر علماء الانثروبولوجى والآركيولوجى . ولعل من المفيد الآن ان نلقى نظرة على النظريات الخاصة بأصل سكان الاهوار فى العراق .

فيقول هنرى فيلد^(١) انه حين مر فى منطقة الاهوار ورغب أن يعرف الصلة بين سكان الاهوار والعرب المحيطين بهم استعاد لذاكرته « النظرية القائلة ان سكان الاهوار هم النسل المباشر للسومريين الذين عاشوا فى العراق قرابة خمسة آلاف عام خلت ، وانهم قد دفعوا للحياة فى الاهوار لغرض الحماية » . أما اين سمع هنرى فيلد بهذه النظرية فانه لا يفصح عن ذلك ، كما اننا لا ندرى ما يقصده بالضبط بكلمة سكان الاهوار Marshdwellers .

ويعتقد هنرى فرنكفورت^(٢) بان منطقة الاهوار فى العراق كانت مأهولة منذ الالف الخامس والرابع قبل الميلاد . وبينما كان « فلاحو السهول الشمالية المتكونة من الفيضانات فى العراق » التى كانت « قد تكونت قبل عدد من القرون » فى مرحلتهم الحضارية الثالثة « دخل رجال من الهضبة الايرانية الاهوار الجنوبية . ويبدو غير مقبول تحت الظروف الحاضرة ان يختار رجال الهضاب هذا السيل أو حتى انهم يستطيعون البقاء والعيش لو انهم فعلوا ذلك . ولكن الهضبة الايرانية ما كانت قد تحولت بعد الى صحراء رملية فى الالفين الخامس والرابع قبل الميلاد . فكثير من الانهار المنحدرة من الجبال المحيطة بالهضبة تصب فى بحار فى المرتفعات مع فروع وروافد تطوقها المستنقعات . وحتى هذا اليوم ، نجد سكان أهوار يعيشون فى شرق ايران على ضفاف بحيرة نهر هامون العظيمة . وهم كسكان الاهوار فى

(1) Field, Henry : Marsh Arabs of Iraq, Asia, 1916.

(2) Frankfort, Henry; The Birth of Civilization in the Near East, London, 1951, p. 44.

جنوب العراق ينون زوارقهم وبيوتهم من قصب^(١) ويصيدون السمك ويربون الماشية والجاموس » •

ان رأى فرانكفورت مبنى على أساس ما توصل له علم الآثار Archaeology ، لان « الاواني الفخارية Pottery التي صنعها سكان جنوب العراق القدماء تظهر انهم جاءوا من ايران »^(٢) •

وهناك عالم آركيولوجى آخر وهو سيتن لويدي يعتقد^(٣) بان « من خطل رأى ان يتصور الانسان بان كافة مزارعى جنوب العراق قد تكونوا من استيطان العرب الرحل بصورة تدريجية • فان اى عالم أنثروپولوجى راقب فلاحا عراقيا ذا رأس مدورة Brachycephalic يشق حقله بصبر وأناة فى مسحاته العامودية التي تظهر رسومها فى آثار الآشوريين ، أو يحمل على كتفيه وهو يعود الى كوخه فدانه الخشبي البدائي الذي لا يختلف عما يظهر فى المخططات السومرية ، لابد وان يظهر له ان لهذا العراقي أصولا وجذورا تمتد على أقل تقدير الى ما قبل العهد العربى فى البلاد » •

وفى مؤلف آخر^(٤) يقدم سيتن لويدي أدلة أخرى على رأيه • فحين يتحدث عن سكان الاهوار يقرر أن « حياتهم وظروفهم تشابه لحد بعيد حياة اولئك الاقوام القدماء الذين استوطنوا الدلتا التي كانت فى دور الجفاف فى عصور ما قبل التاريخ ، وان مضاف شيوخهم الجميلة المدورة التي تشبه بناء الكنائس والمبنة كلها من القصب والطين تقرب لحد كبير جدا من ما يمثل الهياكل الاصلية للمعابد السومرية فى الالف الرابع قبل الميلاد » •

ان ثلاث نقاط جوهرية لابد وأن تؤخذ بنظر الاعتبار عند مناقشة

(١) لا يصنع سكان الاهوار فى جنوب العراق الآن زوارق من قصب ولم اسمع مطلقا رغم كثرة استقصائى هذه الحقيقة فى مناطق عديدة من الاهوار بان مثل هذه الزوارق كانت تصنع قبلا •

(٢) نفس المرجع صفحة ٤٥ •

(3) Seton Llyod: Iraq, Oxford Pamphlets on Indian Affairs, No. 13, Bombay, 1934, pp. 17 — 18.

(4) Foundation in the Dust, Oxford, 1947, p. 20.

النظريات الخاصة بأصل سكان الأهوار في العراق : الأولى ان من المهم أن نفرق عنصريا Racially وحضاريا Culturally بين « المجموعة الشرقية » من سكان الأهوار ، كالمعدان والبو محمد وغيرهم من عشائر أهوار دجلة من جهة ، وبين « المجموعة الغربية » من سكان الأهوار غير المعدان من جهة أخرى . ثانيا ، يبدو ان لا خطر في الادعاء بان عشائر سكان أهوار دجلة ، أى المجموعة الشرقية ، كانوا منذ أزمنة بعيدة على اتصال وثيق مع جيرانهم الشرقيين ؛ سكان ايران ، عن طريق الهجرات والتزاوج . وعلى نفس المنوال كان سكان أهوار الفرات ، أى المجموعة الغربية ، على اتصال مع جيرانهم البدو . والنقطة الثالثة ان كافة سهول الدلتا المنبسطة في جنوب العراق التي يكوّن موطن سكان الأهوار جزء منها كانت موطن الامبراطوريات البابلية والسومرية القديمة .

وهكذا ، يبدو معقولا أن نعتقد ان قسما من سكان أهوار العراق تحددوا عن أصول بابلية وسومرية وتعرضوا لكثير من الاختلاط المسبب عن الهجرات والتزاوج مع الايرانيين في القسم الشرقي من منطقة الأهوار ومع بدو الجزيرة العربية في القسم الغربي ، والقسم الآخر هاجر ولجأ الى الأهوار جماعات وعشائر من ايران ومن الجزيرة العربية فتأقلم وفقد الكثير من صفاته الاصلية .

ان مثل هذه النظرية تأخذ بنظر الاعتبار وجهات نظر كل من علماء الانثروپولوجى والآركيولوجى وفي الوقت ذاته تفسر الفوارق الحضارية والعنصرية بين المجموعتين المتميزتين من سكان الأهوار كما هما في الوقت الحاضر .

٤ - البيئة الطبيعية

ربما كانت منطقة الأهوار في العراق من أوسع مناطق الأهوار في العالم . فقدّر^(١) مساحتها مع الامتدادات الصحراوية التي تتخللها بما يساوى

(1) Dimmock, L. The Waterways of Iraq. Journal of the Royal Central Asian Society, 1945.

عشرين الف كيلو متر مربع • فمن العمارة وهى المدينة الرئيسية فى منطقة أهوار دجلة الى القرنة يجرى نهر دجلة باتجاه جنوبى والى شرقه تمتد الاهوار الى ما وراء الحدود الايرانية • ويجرى الفرات فى اتجاه جنوبى من الكفل الى الناصرية ثم باتجاه شرقى الى القرنة والى جنوبه بين سوق الشيوخ والبصرة يقع هور الحمار البالغ طوله حوالى السبعين ميلا •

وهناك ثلاث مجموعات من الاهوار فى جنوب العراق • مجموعة أهوار دجلة التى تمتد على وجه التقريب من البصرة الى الكوت بين دجلة والحدود الايرانية • وأهم أهوار هذه المجموعة هى أهوار الحوزة والسنية ولعظيم وعودة • ومجموعة أهوار الحمار التى تمتد من گرمة على التى تقع على بعد خمسة أميال شمال البصرة ، الى سوق الشيوخ والبو صالح والشطرة حول نهاية نهر الغراف • وأهم أهوار هذه المجموعة هو هور الحمار • والمجموعة الثالثة هى أهوار الفرات التى تمتد من الخضر الى الكفل وهى تتألف من عدد من أهوار صغيرة بين فرعى الفرات : الحلة والهندية •

وهناك امتدادان صحراويان يتخللان هذه المجموعات الثلاث من الاهوار : الاول يقع بين نهري دجلة والغراف والثانى بين نهري الغراف والفرات •

لقد تكونت منطقة الاهوار كلها فوق سطح البحر القديم من الغرين الذى رسبه النهران التوأمان • ورغم ان كافة السهول فى هذه المنطقة شديدة الخصب جدا فان الكثير من هذه السهول الغنية لا يمكن زرعه لاحتوائه على مقادير كبيرة من الملوحة • والارض شديدة الانسباط لا يرى فيها من المرتفعات غير تلال واطئة هنا وهناك يعتقد ان أغلبها مواقع مدن أثرية قديمة •

ولقد قدر انه من شهر مارت الى تموز حين تعلو المياه فى نهري دجلة والفرات يغطى الماء فى منطقة الهور مساحة لا تقل عن اربعة آلاف ميل مربع تضم الاهوار العميقة الدائمة وتصل بينها وتحيط بها مسافات من المستنقعات

الضحلة المغطاة بنمو كثيف من القصب والبردى • وحين ينحسر الماء في
النهرين تتحول المستنقعات الضحلة الى ارض يابسة وأما الاهوار العميقة فيقل
الماء أو يجف في أقسامها القليلة الغور في حين تبقى أقسامها العميقة كبرك
وبحيرات دائمة •

وتغطي وجه ماء الاهوار في أغلب أقسامها باستثناء العميقة منها امتدادات
واسعة من القصب والبردى • فبين نقطة قرب العمارة وأخرى قرب الحويزة
يمتد نمو متصل من القصب والبردى الى ما يقرب من ثمانين ميلا •
ان عمق الماء في أغلب اجزاء الاهوار يتراوح بين اربعة وخمسة أقدام
ولكنه يكون أكثر عمقا في مناطق معينة • فلقد سجل في بقعة معينة في هور
الحويزة عمق يقرب من عشرين قدما •

ان من المحتمل الا تتجاوز مساحة الاهوار الدائمة ثلاثة ارباع مساحة
الاهوار ابان موسم الفيضان • وتنتج الارض المحادة للهور والتي تعرض
للانغمار بالماء كل سنة بشكل منتظم أكثر كميات الارز والذرة التي ينتجها
العراق ، في حين ينمو البردى وخاصة الفصيلة المعروفة باسم Typha
latipholia على الاقسام التي لا تزرع من هذه الاراضي المحادة للاهوار • اما
النبات الاخر الكثير النمو في الهور فهو القصب Phragmites karka Trin
الذي ينحصر نموه في الاهوار الدائمة • ويغطي قعر الهور وسطح مائه في
كثير من المناطق نمو كثيف من نباتات مائية عائمة •

٥ - الاساليب الاقتصادية المختلفة

يمكننا ان نقسم سكان الاهوار باعتبار اساليب حياتهم الاقتصادية الى رجل
Nomads وجماعي قصب Reed-gatherers ومزارعين Cultivators .
فالرجل ، وهم المعدان يتكونون من قسمين ، القسم الشرقي الذي يقطن هور
الحويزة وهم فصائل من (حمايل) مختلفة من عشيرة البو محمد^(١) تنتقل
(١) عشيرة كبيرة تقدر نفوسها بعشرين الف نسمة اغلبهم مزارعون
يسكنون مساحة واسعة على ضفاف نهري دجلة والمجر الكبير في لواء العمارة •

بين الكسّارة والعمارة ، والقسم الغربى القاطن فى هور الحمار الذين هم فى أغلب الاحوال نواشى وعكيل وسريحات وعميرة يتنقلون فى هور الحمار بين الجباش وكرمة على وسوق الشيوخ . ويجب ان نضيف الى هذين القسمين عشيرة الفرطوس وهم اصلا حمولة من حمايل عشيرة ابو محمد انفصلت عنها مؤخرا وكونت عشيرة مستقلة تنقل بين هور العبد والجباش وقد اتخذت ، فى السنين الاخيرة ، العويديّة والعبد وايشان ابو الصخير مواطن لها .

يعتمد المعدان اقتصاديا على قطعان الجاموس التى يملكونها . فالعائلة الثرية تملك اعتياديا بين سبع جاموسات وعشر والمتوسطة الثراء بين ثلاث وخمس والفقيرة بين ثلاث جاموسات وجاموسة واحدة . وقيمة الجاموس فى البانّه . فهو لا يذبح أو يباع خاصة اذا كان كامل النمو أو منتجاً . ونادرا ما يذبح فحل الجاموس البالغ من العمر سنة واحدة أو ما يقرب منها . ويستهلك قليل من (البياض)^(١) اصحاب الجاموس أنفسهم . فهو عادة يحول الى زبد أو دهن ويباع الى دكاكين متنقلة على زوارق تجوب الاهوار ، أو يأخذه اصحابه الى المدن والقرى المجاورة ليبيع فى أسواقها .

ويبتاع المعدان أغلب طعامهم من أسواق القرى والمدن الواقعة فى الاهوار أو على أطرافها . ويحصلون بعضا على الجبوب اما بمقايضة البانهم مع جيرانهم المزارعين أو بالعمل فى المزارع القريبة فى موسم الحصاد فى أجور عينية تدفع جبوبا .

لا تزال عوائل المعدان الثرية عملا غير تربية جاموسها ورعايته . ولا يوجد معضل فيما يتعلق بتوفير العلف للجاموس ما دامت هذه الحيوانات تقتات على القصب الاخضر اليافع والبردى وكلاهما ينبتان فى الهور بكثرة . ويشتري المعدان فى فصول معينة من السنة حقوق الرعى فى الحقول التى تم حصاد محاصيلها فى المناطق الزراعية المجاورة فيقطعون سيقان المحاصيل ،

(١) البياض يطلق محليا على الحليب ومشتقاته .

وهي عادة الذرة ، ويخزنونها لعلف حيواناتهم في موسم الشتاء • والعائلة التي تملك عشر جاموسات فأكثر تستطيع أن تدخر مالا بأن تباع عددا من الجاموس الصغار كل عام ومن بيع منتجات الالبان ، بينما تضطر العائلات الفقيرة ان تدعم دخلها عادة بحياكة الحصر أو بالعمل بأجرة ، أو ، وهذا مقصور على معدان هور الحويزة فقط ، بالزراعة بين آن وآخر •

فحياكة الحصر تتخذ موردا اقتصاديا في حالة توفر القصب في أماكن قريبة • وتباع الحصر الى وكلاء أو تجار محليين أو قد تؤخذ في بعض الاحيان مع شيء من القصب غير المحيوك الى المدن والقرى القريبة • ويعمل عدد كبير من المعدان في حقول الارياف المجاورة للاهوار في مواسم الحصاد الشتوى والصيفي بأجرة عينية ولا يباع الطعام المجموع من هذا العمل بل يخزن مؤونة للعائلة • ويذهب بعض المعدان ، وخاصة من يعيش منهم قريبا من البصرة ، للعمل في مكابس التمور لمدد تتراوح بين الثمانية والعشرة اسابيع في الخريف ويكسبون أجورا واطئة طالما ينفقونها أبان اقامتهم في المكابس •

ولابد من التأكيد هنا على أن الموارد الاقتصادية الثانوية التي يحصل عليها المعدان من حياكة الحصر والعمل بأجرة لا تكون الا جزءا يسيرا من اقتصادياتهم • أما صيد السمك فانه يستغل لاغراض الاستهلاك ولا يباع الا قليلا •

اما سكان الاهوار جماعو القصب فيمكن تقسيمهم الى مجموعتين : مجموعة الجياش وهي مكونة بصورة اساسية من عشيرة بنى أسد ومجموعة هور الكسارة وهي مكونة من فصائل من حمائل مختلفة من عشيرة البو محمد •

يجمع القصب من الهور ويحاك حصرا تباع محليا أو تستبدل بالمقايضة بالطحين والقماش والضروريات الاخرى • وتؤخذ الحصر في بعض الاحيان الى المناطق الزراعية لتستبدل بالشعير والذرة •

ولا يستطيع جماعو القصب ان يعتمدوا على جمع القصب وحده كوسيلة اقتصادية ذات كفاية ذاتية • ولذا فهم يدعمون دخلهم بالعمل بأجرة وتربية الماشية وصيد السمك • فمجموعة هور الكسارة يعتمدون على العمل بأجرة في المناطق الزراعية المجاورة لهم في مواسم الحصاد الشتوى والصيفى • وتدفع لهم الاجور عينا في الحاصل الاقل ثمنا كالشعير في حالة الحصاد الشتوى والذرة في الصيفى • وتزود بعض القرى القريبة من مراكز تجارة وشحن الحصر كالطباطبة ونهر أم الجرى المراكز بحمالين وعمال يقومون ببعض الاعمال التى تتطلبها أعمال تلك المراكز • ويربى سكان الاهوار هؤلاء الماشية فتزودهم بالغذاء وقد يباع قسم من البانها • اما صيد السمك وهو يجرى بـ (الفالة)^(١) عادة فانه يستفاد منه لاغراض الاستهلاك العائلى فقط •

ويعتمد أهل الجبايش ، المجموعة الثانية من جماعى القصب ، فى اقتصادياتهم بالاضافة الى تجارة القصب والحصر على زراعة صيفية غير منتظمة ولا مربحة وعلى تربية المواشى • ويستفيد قسم منهم من صيد السمك للاستهلاك فقط ولا تبعه أو تتجر به الاحمولة واحدة فقط هى آل غريج • وتكون الهجرة لمزارع الفرات للعمل فى موسم الحصاد الشتوى والى الايشان ، وهى جزيرة قريبة فى الهور يهاجر اليها بعض سكان الجبايش لكى يكونوا قريبين من القصب فيتضاعف انتاجهم من الحصر فى موسم الشتاء ، والى هور العبد لصيد السمك ، والى مكابس التمر فى البصرة فى موسم الخريف ، كل هذه الفعاليات تكون موارد ثانوية فى اقتصاديات أهل الجبايش^(٢) •

اما المزارعون وهم الاغلبية الساحقة من سكان الاهوار فانهم يعتمدون

- (١) الفالة رمح قصبى أو من خيزران مشدود الى رأسه كف حديدية ذات ثلاثة أو خمسة أصابع مدببة حادة ، يستعمل لصيد السمك فى الاهوار •
(٢) لدراسة مفصلة عن اقتصاديات أهل الجبايش راجع الجزء الثانى ، الفصول ١١ - ١٦ •

بصورة أساسية على الزراعة وبالدرجة الثانية على تربية الماشية • فالزراعة تجرى مرتين فى السنة اذا سمحت بذلك حالة الفيضان ؛ فى الصيف حين يكون المحصولان الاساسيان الارز والذرة ، وفى الشتاء حين يكونان الحنطة والشعير • وتزرع الخضروات فى بعض المناطق على نطاق واسع للاتجار مع أسواق القرى والمدن المجاورة • وتربى الماشية خاصة بين سكان الاهوار المزارعين فى منطقة أهوار دجلة وتباع منتجاتها • فتقوم النساء عادة برحلات يومية الى الاسواق القريبة يأخذن معهن الحليب والزبد والجبن و « المطال » و « الجلة » (وهما نوعان من الوقود مصنوعان من روث الحيوانات) ويعدن بالسكر والشاى والتبغ والقماش والضروريات الاخرى •

٦ - القرابة KINSHIP والخلافة SUCCESSION

ان الارث Inheritance والخلافة Succession والولاء السياسى Political allegiance يحددها مبدأ النسب الابوى Patrilineal descent • فأكبر وحدة سياسية وهى العشيرة Tribe مكونة من عدد من الحمايل Glans تقطن عادة اقليما واحدا • ويوجد عادة جد تقليدى هو فى أغلب الحالات أب خيالى لمؤسسى الحمايل ورؤوسها • ولكن العشيرة ليست وحدة اقليمية ، فقد نجد حمايل أو أفخاذ منها تعيش فى مناطق بعيدة عن موطن العشيرة التقليدى • وتحمل العشيرة بصورة عامة اسم جدها الذى عاش منذ مائتى أو ثلاثمائة سنة خلت • وتتكون الحمولة من أفخاذ Lineages عمرها أربعة أو خمسة أجيال Generations • كل فخذ منها يسكن عادة اقليما واحدا •

ويشعر أعضاء الفخذ الواحد بانهم أخوة مشتركون كافة فى الشار والفصول كما يتحملون متضامين مسؤولية أية جريمة يقترفها أى فرد من أفراد الفخذ • ويشعر أفراد الحمولة الواحدة بأواشج القرى حيال بعضهم البعض ويعرف بعضهم بعضا مهما كبرت الحمولة واتسع الاقليم الذى

تسكنه وهم يتحملون مسؤولية الجرائم التي يقترفها أفراد الحمولة ما عدا الجرائم التي تعرف (بالفسدة) أو (السودة) وهي الجرائم التي تعتبر منكراً أو مخلة بالشرف كقتل فرد من نفس الحمولة أو خطف امرأة أو ما يشبه ذلك مما تقع مسؤوليته على فخذ المجرم أو عائلته فقط وليس على حمولته .

٧ - النظام السياسي

ان الوحدة السياسية بين سكان الاهوار يمكن ان تكون واحدة من ثلاث :

أ - القرية Village التي تتكون عادة من عدة مئات من العوائل تنتسب الى عدد من الافخاذ الابوية Patrilineages . وقد تكون هذه الافخاذ منتسبة الى حمولة واحدة وقد تكون تابعة لعدد مختلف من الحمايل . وتميل الافخاذ المنتسبة لحمولة واحدة ان تقطن على شكل كتلة واحدة والعوائل المنتسبة الى فخذ واحد ان تعيش في مجموعة متراسة Cluster من الاكواخ . وتوجد في كثير من القرى مراكز للشرطة ولبعضها كالجيش مدرسة ومستوصف وموظف اداري .

وفي حالة كون الحكومة المركزية ممثلة برجال الشرطة أو موظف اداري في القرية ، فان ذلك الممثل يشاطر الشيخ أو السركال ومن يعاونهما السلطة السياسية ويتعاون معهم .

ب - (السلف) (ويدعى النزول في مناطق أهوار الفرات) وهو لا يختلف اختلافاً أساسياً عن القرية باستثناء انه أصغر حجماً ويتكون عادة من أفخاذ تنتسب الى حمولة واحدة . ولا يكون السلف عادة مقراً للشيخ وليس له في أغلب الحالات ممثل حكومي .

ج - (لبيوت) وهو عدد من الاكواخ لا تتعدى العشرين أو الثلاثين عدداً ، تكون السلطة فيها لأكبر الرجال سناً وهو اعتيادياً رئيس الفخذ الوحيد

الذى يكون سكانه (ليوت) •
وهناك عدد من ذوى المراكز السياسية فى مناطق الاهوار الذين نود

ان نتعرف على واجباتهم •
فالشيخ هو صاحب^(١) الارض ، وهو الرأس السياسى للعشيرة ويرتقى
لمنصبه عن طريق الوراثة • وللشيخ سلطات واسعة على العشائر التى
يتراسونها فى كثير من الشؤون كتوزيع الارض وحق السكنى ضمن المنطقة
التي يهيمنون عليها وفرض الضرائب وما يشبه ذلك •

وبما أن الشيخ أمى فى أغلب الاحوال فانه يعين (ملّة) يستطيع ان
يقرأ ويكتب ليتولى مراسلاته ومراجعاته القانونية ويدير شؤونه المالية •
ويقوم (الملّة) بتنفيذ أوامر الشيخ وينوب عنه فى كافة الشؤون الهامة •
ويتمتع (الملّة) نتيجة لسيطرته على شؤون الشيخ المالية بنفوذ كبير على
أهل بيت الشيخ ، ويصبح فى بعض الاحوال أكثر هيبة واحتراما من
الشيخ نفسه ، خاصة اذا كان الاخير ممن يمضون جل أوقاتهم فى المدن
بعيدا عن عشائريهم كما يفعل أغلبية الشيوخ الموسرين •

و (السركال) هو رئيس الحملة وهو مسؤول بصورة مباشرة تجاه
الشيخ الذى يعينه • فان لم يوجد شيخ فى المنطقة فالسركال مسؤول نحو
مثل الحكومة المركزية • وتتفق حقوق السركال وواجباته نحو الحملة
مع حقوق وواجبات الشيخ نحو العشيرة •

و (المختار) هو رئيس فخذة وينال تلك الرئاسة بحكم كونه أكبر
الذكور فى الفخذة سنا على ان يقترن ذلك بموافقة السركال والشيخ •
وقد يدعى الشيخ فى مناسبات خاصة المسنين فى السلف أو القرية
ليشاور معهم فى شؤون ذات خطر تهتم المجتمع كله ويدعى أمثال هؤلاء
المسنين (الاجاويد) وهم عادة رجال معروفون بالاخلاق الحسنة والرأى

(١) اننا لا نقصد بهذه الكلمة مالك الارض Land owner
بل المتصرف بها Land holder •

الصائب • وكان (الاجاويد) وكافة مقاتلي العشيرة في الازمنة السابقة يدعون في حالة الحرب ليجمعوا في مجلس حربي ويناقشوا الموقف الراهن وخطط الحرب • وكان يدعى مثل هذا المجلس (العمرة) والذي يحق لكل من يحضره ان يعبر عن رأيه بحرية ولكن القرارات كانت دائما تتخذ من قبل الرئيس •

ويعين بعض الشيوخ ، خاصة شيوخ أهوار دجلة (وكيل) يرسلونه ليقم موقتا في قرية أو سلف لينفذ أوامر معينة • والوكيل عادة فرد من (حوشية)^(١) الشيخ الكبيرة التي تقوم بوظائف عدة كالإشراف على الامن في القرية أو السلف أو إيصال الرسائل الشفوية أو التجذيف في مشاحيف الشيخ أو الخدمة في بيته • وكل هؤلاء يتسلمون رواتب عينية من الشيخ •

٨ - المعتقدات والطقوس الدينية

ان سكان الاهوار في العراق مسلمون من اتباع المذهب الجعفري (شيعة) ولكنهم ليسوا بحال من الاحوال شديدو التمسك بدينهم • ان مدار اعتقادهم الديني هو الامام علي بن أبي طالب وأولاده • ورغم انهم يعتقدون كبقية المسلمين بالله وبرسوله فانهم قد أطرحوا كثيرا من واجبات الاسلام الاساسية وتوجهوا بالكلية ، فيما يخص الاعتقادات والعبادات ، الى الولاء للائمة • فهم يعتقدون ان هذا الولاء هو أساس المعتقدات وان اظهار هذا الولاء هو الفرض الوحيد الواجب اداؤه • وهكذا فهم يؤدون بالاضافة الى الصوم والصلاة ، اللتين يطبقان بندرة ، الطقوس التالية : الحزن على مقتل الامام الحسين ، وزيارة مرقد الائمة في الكاظمية وكربلاء والنجف ومشهد في شمال ايران ، ودفن الموتى في مدينة النجف •

فيعبر عن الحزن على مقتل الامام الحسين ، ثاني أولاد الامام علي ، وأهله واتباعه في موقعة كربلاء ، بـ (قرايات) ، وهي اجتماعات دينية منظمة تستمر عشرة أيام تقرأ فيها فصول من حوادث الموقعة المثيرة بطريقة

(١) من الكلمة الفصحى حاشية •

تلعب بمشاعر المجتمعين ويصحب هذه القراءة بكاء وعويل وفي الايام الثلاثة
الاخيرة يضاف للبكاء اللطم على الصدور • ويبلغ الحماس في اظهار الحزن
أشدّه في الليلة الاخيرة ، ليلة العاشر من محرم وفي صباحه •

ومن الطقوس البالغة التقديس الزيارات لمرقد الامام عليّ بن أبي طالب
في مدينة النجف ومرقدى الامامين الحسين والعباس في مدينة كربلاء ومرقد
الامام موسى الكاظم في الكاظمية والامام عليّ الرضا في مشهد في شمال
ايران • فالفقراء من سكان الاهوار يدخرون المال لكي يقوموا بواحدة من
هذه الزيارات • ويعتبر القائم بمثل هذه الزيارات رجلا صالحا وذا منزلة
دينية خاصة • وعند وصول (الزاير) الى عتبة المرقد يطلب اذن الامام في
دخول المرقد ثم يدور حول الضريح ثلاث مرات ويقبل سياج القبر •
ويصحب هذه الطقوس صلوة وأدعية يقرأها (مزور) ممتن يدعى عادة
انه سيد من نسل الرسول محمد فيسبغ على نفسه قدسية الصلة بالائمة
الذين هم أولاد النبي •

ويعتقد سكان الاهوار انهم يستطيعون ان يضمنوا حماية الامام عليّ
بن ابي طالب في الحياة الآخرة اذا ما دفنوا جواره في أرض مدينة النجف
المقدسة • ولذا فالحجث تجلب من أطراف منطقة الاهوار مهما تأت وصعب
الوصول منها الى مدينة النجف بالزوارق والسيارات والقطارات • فان تعذر
جلب جثة الميت بعد موته توا فان الجثمان يودع كـ « أمانة » في مدفن قريب
لمدة من الزمن حتى يصبح في مقدور عائلة الميت ان تنقل جثمانه الى أرض
النجف المقدسة • ومن الزم واجبات أفراد الجمولة الواحدة ان يساعد
بعضها بعضا في نقل أمواتهم الى النجف ان كانت تلك المساعدة عن طريق
جمع المال أو المشاركة الفعلية في النقل •

يعتقد سكان الاهوار بان المسلم يستطيع ان يضمن الخلود في الجنة
في الحياة الآخرة ان كان قد عبر عن ولائه للائمة وزار واحدا أو أكثر
من مراقدهم المقدسة في حياته ودفن في أرض النجف بعد وفاته •

٩ - الاتصال بالمدن والهجرة اليها

ان أول اتصال على نطاق واسع بين سكان الاهوار والمدن والقرى المجاورة بدأ بعد الحرب العالمية الاولى نتيجة لتوغل الادارة العراقية واستتباب الامن فى ربوع الاهوار .

فلقد بدأ أهل الاهوار يلمسون بان اسواق المدن والقرى القريبة أماكن مربحة يمكن ان تباع فيها منتجات الهور . فبدأت نساؤهم بالقيام بزيارات يومية يحملن الى الاسواق الحصر والقصب والوقود المصنوع من روث الحيوانات والحليب ومنتجاته كـ « الروبة » والزبد والدهن والسمن والطيور وغير ذلك . وحين ظهر لسكان الاهوار ان هذه التجارة مربحة بدأوا يصرفون بعض ما يكسبونه من السوق على أشياء كمالية كالسكر والشاي والتبغ وأنواع معينة من قماش رخيص (جيت) . وازداد الاتصال تدريجياً حتى فتح بعض الرواد من أهل المدن ، ثم بعد زمن فتح أهل الاهوار أنفسهم ، دكاكين فى مناطق الاهوار ، يبيعون فيها السكر والشاي والتبغ أول الامر ثم ازداد الاقبال على الكماليات حتى غدت بعض تلك الدكاكين الكبيرة تباع الآن حتى أقراص الاسبرين وأقلام الرصاص^(١) . وكان الاتجار مع هذه الدكاكين فى البداية وفقاً على المقايضة بالحصر والسمن والحبوب فقط ثم استعملت النقود الى جانب المقايضة بحسب ما تقتضيه مصلحة صاحب الدكان . وبدأت الزوارق التى تستخدم كدكاكين عائمة (دكان ميسر) تجوب الاطراف النائية من الاهوار .

لقد شجعت تلك التجارة وذلك الاتصال مع القرى والمدن سكان الاهوار ان يفكروا بترك الاهوار مؤقتاً أو بصورة دائمية . وكانت العوامل التى أغرتهم أولاً استعداد الحكومة العراقية فى بداية العقد الثالث من هذا

(١) لابد من التنويه بان الدكاكين فى منطقة الاهوار خاضعة للشيوخ يتقاضون عنها ايجارات باهضة جداً ويضطرون سكان الاهوار ان يشتروا حاجياتهم منها فقط .

القرن لان تجند فى الجيش والشرطة المؤسستين حديثا عددا كبيرا من المتطوعين الشباب • لقد كان فى الانضمام للجيش والشرطة فرصة حياة جديدة مملوءة بالامور المثيرة وبالذعة والكسب اذا ما قورنت بالحياة البرمائية لرجال الهور • والعامل الثانى ان النساء والرجال من أهل الاهوار وجدوا أن العمل فى المدن كحمالين وحراس ليلين وعمال بناء وخدم مريح للغاية • ولقد اقترنت هذه العوامل المغرية الجاذبة بعوامل منفرة دافعة حملت بعض سكان الاهوار على هجرها • فأول هذه العوامل الهبوط العام فى أسعار الحبوب فى العالم الذى كان جزء من الوضع الاقتصادى العالمى المتردى فى نهاية العقد الثالث وفى بداية العقد الرابع من هذا القرن والذى استمر عدة سنوات • ولقد حدث هذا بنفس الوقت الذى اضطرت فيه الحكومة لرفع الضرائب على محاصيل الارض مما سبب كثيرا من عدم الارتياح • ولقد أوغل الشيوخ فى ابتزاز الفلاحين والتضييق عليهم بحجة هذه الضرائب المرتفعة ، وصاروا يزدون فى ضغطهم على الفلاحين كلما ازداد ضغط الحكومة عليهم •

وهاجر سكان الاهوار آلافا ، تجذبهم مغريات الكسب فى المدن وتدفعهم قساوة الشيوخ وتردى اسعار المحاصيل الزراعية ، يشدون حياة أفضل • وبلغت حركة الهجرة من الاهوار ذروتها فيما بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٣١ وكانت بعض النتائج الاجتماعية لهذه الهجرة انتشار البغاء بين النساء المهاجرات والسرقا فى المدن التى هاجر اليها سكان الاهوار اولئك • وبعد عام ١٩٣١ حدث البطالة وصعوبة ايجاد عمل لهذا العدد الضخم من المهاجرين فى المدن التى هاجروا اليها من تيار الهجرة ووقوفه عند حده • ولقد بدأت حركة هجرة أخرى فى السنين الاخيرة فى أهوار دجلة بسبب الاستغلال غير الاعتيادى الذى يلجأ اليه أغلب شيوخ تلك المنطقة • فبدأ الوف من الفلاحين يتركون الاهوار الى القرى والمدن المجاورة والى بغداد وحتى الى الكويت خارج القطر العراقى • ولاول مرة فى تاريخ الاهوار حدثت

اصطدامات مسلحة بين الفلاحين وقوات شرطة الحكومة التي تظاهر الشيوخ
وتفرض ارادتهم •

١٠ - التمثيل الحكومي

لقد ظل سكان الاهوار محجوبين تماما عن العالم الخارجى حتى بدء
الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) • وحتى سياسة رجال تركيا
الفتاة الاصلاحية فى العراق لم تمس الاهوار ، ولم تكن الحكومة المركزية
ممثلة هناك فى العهد العثماني ما خلا قليل جدا من مراكز البوليس
فى المدن والقرى الكبيرة المحيطة بمنطقة الاهوار •

وحين انتهت الحرب العالمية الاولى وتكونت الحكومة العراقية حظيت
منطقة الاهوار بكثير من الاهتمام • فانشئت مراكز ادارية فى القرى وأقيمت
مراكز للشرطة فى ارجاء منطقة الاهوار • وفى مطلع العقد الرابع من هذا
القرن أفتحت الحكومة مدارس ريفية فى بعض المناطق فى أكواخ من
القصب كانت تدار كل واحدة منها فى البداية من قبل معلم واحد • وبسبب
التعاون الذى أظهره بعض أهل الهور الذين رغبوا فى ان يستفيد أولادهم
من الثقافة وبسبب معاونة نفر من الشيوخ أنفسهم نجحت هذه المدارس
نجاحا نسبيا مما شجع الحكومة على فتح مدارس جديدة وتوسيع المدارس
القديمة • وفى الوقت المناسب أسست الحكومة مستوصفات فى القرى الكبيرة
وحتى مستوصفات سيارة فى زوارق بخارية ادخلت فى تلك المناطق
لتصل القرى النائية فى قلب الهور • وهكذا ازداد نشاط الحكومة فتحقق
تقدم ملحوظ فى هذا المضمار فى الخمس وثلاثين سنة التى مرت على تأسيس
الحكومة العراقية • واليوم تدخل كافة اجزاء منطقة الاهوار تحت الوحدات
الادارية وللقرى الكبيرة فى الهور موظفون اداريون وصحيون ومفوضو
شرطة ومدارس ومأمورو بريد وفى بعض الحالات موظفو بيطرة ورؤساء
بلدية • وبدأ سكان الاهوار يفقهون ويقدرّون أعمال الحكومة • وخلقت

الخدمات التي تقدمها دوائر الشرطة والمدارس والمستوصفات جوا من الثقة
اذ صار باستطاعة أهل الاهوار ان يشدوا العون والتوجيه من حكومة تهب
أكثر مما تأخذ .

ومن الطبيعي ان ينشأ تصادم قوى بين نفوذ الحكومة بسياستها الرامية
لاسعاد سكان الاهوار والاخذ بيدهم وبين سياسة الشيوخ الذين كانوا منذ
زمن سحيق يستغلون اتباعهم من سكان الاهوار . فعارض الشيوخ الاقوياء
كل توغل من جانب الحكومة في مناطق الاهوار ، وحتى مانع بعضهم انشاء
مدارس ومستوصفات في مناطقهم . فلقد اتضح لهم ان مثل هذا التوغل يهدد
مصالحهم ويقوض سلطتهم . ولقد تعرقلت مشاريع الحكومة لانعاش العشائر
القاطنة في الاهوار بشكل أساسي حين بدأ الشيوخ انفسهم يصلون الى مراكز
سياسية عالية في الحكومة ، اذ اصبح كثير منهم نوابا وأعيانا في مجلس
الامة ورقى قليل منهم الى منصب الوزارة . فتأخرت لوقت طويل كثير من
الاصلاحات خاصة ما يتعلق منها بتسوية حقوق الاراضي لمجرد كونها ضد
مصالح الشيوخ أنفسهم . ان هذا الصراع بين مصالح مئات الالوف من
سكان الاهوار وبين مصالح العدد القليل من شيوخهم المتنفذين لهو أحد
المعضلات الكبرى التي يجب على الحكومة ان تواجهها بسرعة وحزم .

الفصل الثالث

الجبايش وبيئتها

١ - الموقع

تقع الجبايش على نهر الفرات على بعد يقرب من عشرين ميلا غرب مدينة القرنة وست وستين ميلا الى الشمال الغربى من مدينة البصرة وعشرين ميلا شرق مدينة سوق الشيوخ وخمس وخمسين ميلا شرق مدينة الناصرية • وهى واقعة على الضفة اليسرى لما كان قبل عدة مئات من السنين مجرى نهر الفرات والذي هو الآن جزء من هور الحمار •

يفقد نهر الفرات شكله عندما يختلط بالنهاية الغربية لهور الحمار العظيم على بعد عدة أميال شرق سوق الشيوخ ويمتد معه بشكل قطعة مائية هائلة الانسباط تمتد من هذه النقطة فى اتجاه جنوبى شرقى حتى تخوم مدينة البصرة • ورغم أن مجرى الفرات القديم يمكن ان يشاهد قرب الجبايش فى أبان موسم هبوط الماء فانه ليس اعمق ولا أكثر ملائمة للملاحة من بعض مجارى الهور • وفى اثناء الفيضان عندما يتصل هور الحمار باهوار دجلة تصبح كل المنطقة قطعة واحدة متصلة من الماء •

٢ - نهر الفرات

ينبع نهر الفرات فى المناطق الجبلية فى تركيا بين بحيرة فان والبحر الاسود • وتقع مجاريه الرئيسية فى تركيا وسوريا ويدخل نهر الفرات العراق عند مدينة القائم •

وبعد ملتقى الفرات بالخابور على بعد مائتين وثمانين ميلا شمال هيت

لا تصب في الفرات روافد غير ان بعض الوديان تزوده بين حين وآخر ببعض ماء الجزيرة السورية والجزيرة الشمالية •

ويصل الفرات دلتاه قرب الرمادي على بعد مائتين وسبعة عشر ميلا من الحدود العراقية • وينحصر النهر جنوب هذه النقطة بين ضفاف تمنع غرق الاراضي الزراعية المحيطة به في موسم الماء العالي •

ويتفرع الفرات جنوب المسيب الى فرعين كبيرين فرع الحلة وفرع الهندية اللذين يلتقيان على بعد مائة وعشرة أميال الى الجنوب الشرقي قرب السماوة • وكان ماء الفرات في الماضي يجري حيناً في فرع وحيناً في آخر • وبين سنتي ١٨٦٥ و ١٨٩٠ انتقل المجرى الرئيسي من الفرع الشرقي ، فرع الحلة ، الى الفرع الغربي ، فرع الهندية • وبعد عدة محاولات غير ناجحة لتوقيف هذه الظاهرة التي كانت تهدد فرع الحلة بالجفاف النهائي ، بنيت سدة الهندية وناظم الحلة في سنة ١٩١٣ لينضما جريان الماء في الفرعين • وبواسطة السد والناظم سيطر على فرع الحلة وأصبح فرع الهندية المجرى الرئيسي للنهر •

ويدخل الفرات جنوب الكفل مرحلة غير مستقرة تنعدم فيها السيطرة على مائه • فهو يتفرع فرعين مرة أخرى قبل دخوله منطقة الاهوار ؛ فرع الكوفة وفرع الشامية ، ويتجمع ماء الاهوار في مجار عدة تتحد لتكون النهر مرة أخرى شمال الشامية • وبعد الشامية مباشرة يتفرع النهر مرة ثالثة ثم يظهر مرة أخرى كمجرى واحد قرب السماوة • ومن هذه النقطة يجري الفرات ببطء ويتسرب كثير من مائه الى هور الحمار •

ويكون مجرى الفرات من النقطة التي يلتقي فيها فرعا في السماوة حتى ملتقاء بدجلة في القرنة اوطأ من مجرى النهر الاخير • وربما كان موقع مدينة الناصرية هو النقطة التي كان يلتقي عندها في وقت من الاوقات النهران العظيمان • ولا زال نهر الغراف الذي يجري في مجرى نهر دجلة القديم حتى اليوم يحمل كميات كبيرة من ماء نهر دجلة الى الفرات •

وعندما يجرى الفرات من قرب سوق الشيوخ حتى القرنة فى اتجاه شرقى تصب فيه مياه أهوار دجلة المتدفقة من الشمال والتي تجد طريقها اليه خلال مجارى الاهوار والترع المنتشرة فى تلك المنطقة بين النهرين . وهكذا تتضخم كميات مياه الفرات فى هذه المنطقة فتصبح فوق ما يتسع له مجراه القديم المتجه نحو القرنة ، فتدفع معظم مياهه جنوبا والى الجنوب الشرقى الى هور الحمار مكونة منطقة شاسعة من ماء متصل ومستنقعات يجرى فيها المجرى الحديث للفرات متصلا بشط العرب فى گرمة عليّ على بعد خمسة أميال شمال مدينة البصرة . ولا يصل اليوم شئ من ماء الفرات الى شط العرب عن طريق المجرى القديم فى القرنة بل كل مائه يجرى الى شط العرب عن طريق المجرى الحديث الذى يصب فى الشط عند گرمة عليّ .

وفى المنطقة الواقعة شمال القرنة مباشرة تزداد كميات المياه الجارية فى كلا المجرين نتيجة لانصباب عدد من السواقي والترع التي تعيد اليها بعض الماء من الاهوار . ولكن الماء الذى يعود من الاهوار يكون صافيا بعد ان يترسب غرينه فيها وحيث يفقد كميات هائلة من جرمه نتيجة للتبخّر .

ويكون مجرى الفرات فى أقسامه السفلى متغيرا لجريانه فى أرض منخفضة رفعت فيها كميات الغرين العظيمة المترسبة قعره ، فصار الماء بحثا عن ارض واطئة ، يكون لنفسه مجار جديدة . فانهدار قعر النهر ليس عظيما ، وهذا ما ساهم فى رفع قعره عن طريق تجمع الغرين . فان أعلى مستوى للفرات هو ١١١٥ قدما فوق سطح البحر فى برهك . وبما ان طول النهر من هذه النقطة حتى التقائه بنهر دجلة فى القرنة هو ١١١٧ ميلا فان معدل الانحدار قدم واحد فى الميل الواحد .

٣ - الهور

بين مدينتى سوق الشيوخ والبصرة وجنوب مجرى الفرات القديم الذى يجرى فى هذه المنطقة من الغرب الى الشرق ، يقع هور الحمار .

ويبلغ طوله حوالى سبعين ميلا من نهايته الشرقية الى نهايته الغربية حيث يتسرب ماؤه الى نهر شط العرب خلال منفذ يقع قرب گرمة علي* . وينقسم هور الحمار بواسطة سلسلة من الجزر الصغيرة وامتدادات متصلة من نمو البردى والقصب الذى تتخلله عدد من المجارى المائية المتلوية القابلة للملاحة (گواهين) الى قسمين ، القسم الشرقى وهو الاعمق ويحتوى على قطع ماء متصلة مفتوحة ويبلغ عرضه قرابة ثلاثين ميلا من الشمال الى الجنوب . والقسم الغربى الذى يبلغ حوالى خمسة عشر ميلا عرضا وكثير من مجاريه المائية القابلة للملاحة ضحلة ومملوءة بالاعشاب المائية التى تصير مرور الوسائط المائية ذات المحركات متعذرا . ومساحة هور الحمار كله تجاوز الفا وخمسمائة ميل مربع .

وكانت منطقة هور الحمار كلها فى الازمنة القديمة مغمورة بالماء لانها كانت جزءا مما يطلق عليه الآن اسم الخليج الفارسى ، وكان النهران التوأمان يصبان فيه فى مصبين منفصلين . وملا الغرين الذى كان يجلبه النهران ، كما يحدث فى الواقع فى هذه الايام ، فم الخليج الضحل فتحول ماء البحر الى هور مالح وتحول بعد ذلك الهور المالح بدوره الى ارض صلبة . وهناك دلائل تاريخية على ان هور الحمار تكون فى حوالى عام ٦٠٠ ميلادية . فلقد وصف لوسترانج^(١) كيف تكونت احوار جنوب العراق قبل نهاية القرن الخامس الميلادى ابان حكم الملك الساسانى قوباذ الاول . « كانت السداد الموجودة فى أيامه والممتدة على طول ساحل دجلة كما كان يجرى فى ذلك العهد قد تعرضت للاهمال عدة سنين . وطفى الماء فجأة فندفق من عدد من الثغرات وأغرق كل الاراضى الواطئة الواقعة فى الجنوب والجنوب الغربى » . وفى عهد الملك الذى تلا قوباذ الاول اصلحت السداد اصلاحا جزئيا وعاد الفلاحون يزرعون الارض التى غمرها الماء مرة أخرى

(1) Le Strange, G., The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1905, p. 26.

ولكن فى سنة ٦٣٦ ميلادية حدث أن « ارتفع الماء فى نهري دجلة والفرات مرة أخرى بطغيان عات لم يعرف له مثيل من قبل • فدمر النهران سدودهما فى أماكن لا تحصى وغمرنا كافة ما يحيط بهما من أرض بالماء » (١) •

ويقطن فى هور الحمار الآن كثير من (الطوايف) (٢) والمجتمعات الهورية • وتقع هذه (الطوايف) اما على حافته الجنوبية والشمالية أو انها تقع منتشرة فيه • فأهم المجتمعات الرئيسية الواقعة على حافة هور الحمار الجنوبية هى الشويرية والشاطى والجرباسى والجلعة وأصيل وأعلوي •

الشويرية : وتتكون من قرابة مائة وخمسين عائلة كلهم من عشيرة بنى اسد ، باستثناء حوالى عشر عوائل من آل سعدون (٣) واتباعهم • والطائفة كلها تحت أمره شيخ من آل سعدون • والمورد الرئيسى لمعيشة أهل الشويرية هو استخراج الملح مما يقرب من خمسين بئرا وهم يبيعون الملح أو يقايضونه بالحبوب مع القرى والمجتمعات القريبة فى منطقتى العمارة والغراف • وحين يتعذر استخراج الملح فى فصل الشتاء بسبب الامطار والرطوبة يصطادون السمك فى الهور • ويربى عدد قليل من العوائل الجاموس • ورغم ان الارض خصبة وان آل سعدون يملكون مضخة ماء للسقى فان بنى اسد القاطنين فى الشويرية لا يزاولون أية زراعة ولذا فيضطر آل سعدون ان يجلبوا فلاحين من خارج الشويرية للزراعة فيها •

الشاطى : تتكون هذه الطائفة مما يقرب من خمسين عائلة من عشيرة بنى اسد تحت أمره شيخ من آل سعدون • وأهل الشاطى يزاولون الزراعة ويستخرجون الملح مما يقرب من خمسة وثلاثين بئرا وأربع عوائل منهم فقط

(١) نفس المرجع صفحة ٢٧ •

(٢) اننا نستعمل هذه الكلمة بالمفهوم المحلى الذى يعنى مجتمع أو ما

يقابل Community

(٣) عائلة كانت قوية جدا وكانت تملك أراض واسعة وغنية جدا فى لواء المنتفك أبان الحكم العثمانى فى العراق • راجع الفصل الثامن فى هذا الجزء والعاشر فى الجزء الثانى •

تملك ما يقرب من عشرين رأساً من الجاموس •

الجرباسي : وهي شبه جزيرة تتحول الى جزيرة منفصلة عن البر تماماً أيام الفيضان • وفي الجرباسي أربعة وتسعون كوخاً تقطنها ست وستون عائلة منها ثلاث وستون عائلة من آل ونيس واثنتان من الحدادين وواحدة من آل خيون وكل هذه حمائل من عشيرة بني أسد • وتوجد في الجرباسي أكثر من خمسين بئراً لاستخراج الملح تكون المصدر الرئيسي لمعيشة السكان فيه • وأغلب الملح المستخرج يقايض بالارز والذرة مع فلاحي منطقة العمارة والغراف • وعندما يكثر السمك في الهور في شهر ايلول يزاول أغلب سكان الجرباسي صيده • ويبيع الصيد عادة لتجار يرتادون الجرباسي أو يؤخذ بالزوارق ليقايض بالتمر في قرى قريبة • وفي مواسم الزراعة الصيفية يزرع أهل الجرباسي الذرة فيما يقرب من مائتي جبل^(١) من الارض حول شبه جزيرتهم • وهناك بين اربعين وخمسين رجلاً يزاولون الزراعة على أساس اعطاء ثلث الحاصل الى السركال صاحب الارض •

الجلعة : وهي جزيرة تقع على بعد عدة أميال من الحافة الجنوبية للهوور تسكنها قرابة أربعين عائلة ؛ ثلاثون منها من الحدادين واثنتان من آل ونيس وهما حمولتان من حمائل عشيرة بني اسد وأربع من قرية المدينة ، وهي قرية في الهور تقع على الضفة اليمنى من المجرى القديم للفرات في منتصف المسافة بين قرى الجباش والقرنة • اما بقية العوائل فهم معدان • ويتكون المورد المعاشي لاهل الجلعة من استخراج الملح من تسعة وثلاثين بئراً يقايض انتاجها بالحبوب في منطقة الغراف ومن زراعة الذرة في الصيف فقط •

أصيل : وهو مرتفع من الارض يبرز من الجهة الجنوبية من الهوور ويقطنه ما يقرب من الف نسمة من عشيرة الحلاف • ويزاول السكان هنا

(١) الجبل مقياس محلي للارض مساحته ٢٥٠٠ متراً مربعاً يستعمله اهل الجباش ومن يجاورهم من سكان الاهوار ويسمى بعضاً (كباله) أو (مشاركة) ، ويساوي ٦٢٥ ر. من الاكر •

الزراعة والمحصول في أغلب الحالات ذرة • وكثير من أهل اصليل يصطادون السمك بطريقة الطواريف وهي جماعات تتكون كل جماعة منها من عشرة الى اربعة عشر رجلا ويؤخذ الصيد الى أسواق البصرة للبيع كما انهم يربون الماشية ويستغلون الناتج من البانها للاستهلاك فقط • وفي السنين التي يطفى فيها الماء بصورة غير اعتيادية كسنتي ١٩٤٦ و ١٩٥٣ يغمر الماء اصليل كلها فيهاجر أغلب سكانها الى الجلعة ويظلون هناك حتى ينحسر الماء عن مساكنهم •

أعلوى : وهي طائفة صغيرة في أقصى الحافة الجنوبية يعتمد أغلب سكانها على الزراعة الصيفية • ويزرع فيها محصولان الذرة للاستهلاك المحلي والرقى الذي يرسل للبيع في البصرة •
ويقطن الحافة الشمالية لهور الحمار عدة عشائر كبيرة منتشرة على شكل مجتمعات واسعة أهمها ما يلي :

بنى أسد القاطنون في الجبايش : ويقرب عددهم من أحد عشر ألف نسمة ويعتمدون في كسب معاشهم على جمع القصب والزراعة الصيفية وتربية الماشية ومصادر أخرى •

بنى حطيط والبو شامه : الذين يقطنون قرية الحمار ، ويزاولون الزراعة الصيفية ويهاجر عدد كبير جدا منهم الى منطقة الغراف للعمل في حصاد المحاصيل الشتوية ويهاجر بعضهم الى البصرة للعمل في مكابس التمور •

آل حرب ولهود والدبات : الذين يعيشون في عدد من المجتمعات المنتشرة على الحافة الشمالية لهور الحمار وكل أفراد هذه العشائر مزارعون ويربون الماشية ويملكون عددا كبيرا من أشجار النخيل •

آل سماعيل وعبادة وبنى مشرف : وهذه عشائر كبيرة يزاول أفرادها الزراعة وتربية المواشي ولكن كثيرا من العوائل الفقيرة وخاصة في عبادة وبنى مشرف يهاجرون كل عام للعمل بأجرة في البصرة والغراف •

وبالإضافة الى هذه المجتمعات التى تعيش على الحافتين الجنوبية والشمالية للهوور هناك كثير من مجتمعات المعدان يتكونون بصورة أساسية من فصائل من عشائر عجيل وسديده ودناك ونواشى وسريجات ويتنقلون فى الهوور متخذين لهم مواطن مؤقتة فى أجزاء مختلفة منه هى فى أغلب الاحوال فى الدبن وأماكن أخرى فى نهاية الهوور الشرقية وكل هؤلاء المعدان يعيشون على ما ينتجه جاموسهم •

لقد أشرنا بايجاز لهذه المجتمعات لانها أولا تقع باستثناء اصليلى واعلوى فى حدود ناحية الجياش ولان لاجلها علاقات اقتصادية وسياسية مع الجياش وبنى أسد •

٤ - الفيضان والرى

ان الفيضان السنوى للفرات مسبب عن ذوبان الثلوج فى الجبال على طول منابعه وهذا يحدث حوالى بداية شهر مارت ويتزايد بالتدريج حتى نهاية شهر مايس عندما يكون عادة فى أقصى ارتفاعه • فيستمر ماء النهر عاليا ومجره سريعا لمدة ثلاثين أو أربعين يوما ، ولكن يحصل بعد ذلك هبوط يومى يصبح ضئيلا جدا ورتيا قبيل الخريف ، ويكون الفرات فى أوطأ مناسيبه بين منتصف شهر ايلول ومنتصف شهر تشرين الاول وقد يبدو كأنه ثابت لا يتحرك ، حتى يحل موسم المطر قبيل نهاية شهر تشرين الاول حيث تحدث زيادة غير ثابتة تستمر حتى نهاية شهر كانون الاول • ومن هذا الوقت حتى بداية شهر مارت يخضع النهر لتغيرات طفيفة فى علو مائه وسرعة جريانه •

وللفيضان تأثير سيىء على الاقسام السفلى من نهر الفرات ، لان قعر النهر الذى ارتفع بسبب توالى تراكم الغرين فيه أصبح غير قادر على الاحتفاظ بمناسيب الماء العظيمة وصار يغرق كافة المنطقة المحيطة بمجره من جوار مدينة الناصرية فنازلا ، مسببا اضرارا عظيمة وخاصة حين لا ينحسر مأؤه

فى وقت مناسب فتعذر الزراعة الصيفىة فى مناطق واسعة • ولقد ظل هذا الطغيان والفرق يحلان كل عام تقريبا منذ ان حصل التخريب الشامل المتقصد لآعمال الرى فى كافة ارجاء البلاد من قبل المغول عندما احتلوها فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر • فلقد كانت تلك ضربة قاصمة لكافة أعمال الرى فى البلاد • يقول لونجرىك^(١) :

« وكانت أشد أعمال هولاءكو تخريبا هو التدمير الذى جرى بموجب خطة مدروسة للسدود والنواظم التى كان نظامها القديم المحكم المنبع الوحيد للثروة فى البلاد • ولقد صيرت الاضطرابات وانعدام روح العمل فيمن بقى حيا من السكان بعد تلك المذابح اصلاح ما تخرب أمرا متعذرا كما جعل فقدان السيطرة على الانهار وتجمع الغرين والطمى فى قعرها ضبطها وتنظيم الماء فيها المعضل البعيد الحل بل وربما استطعنا ان نقول الميئوس منه والذى لم يحل حتى يومنا هذا » •

وهناك عوامل اخرى ساهمت بخلق وضع الفيضان والرى الحالين خاصة فى الفرات الاسفل • فأولها انعدام الطرق الصناعية للسيطرة الفعالة على النهر من منبعه الى مصبه باستثناء بحيرة الجبانية التى يسيطر فيها على خزن الماء وسدة الهندية التى تنظم جريان ماء الفرات فى فرعيه الهندية والحلة ، وباستثناء عدد قليل من النواظم الصغيرة على بعض فروع النهر والتى يتكون كل منها من عدد بسيط من الابواب الحديدية •

وثانيها كميات المياه العظيمة التى تنحدر من دجلة الى الفرات بين الناصرية والقرنة لان مجرى نهر دجلة اعلى من مجرى نهر الفرات فيما بين هاتين المدينتين • ويظهر هذا بوضوح فى منطقة الجياش وذلك لوجود الهور الدائم الممتد من الجياش الى دجلة والذى يتدفق خلاله ماء دجلة بدون مقاومة الى الجياش ونهر الفرات • وبالإضافة

(1) Longrigg, S.H., Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, p. 13.

الى هذا تجرى ثلاثة من فروع دجلة هي البتيرة والمجر الكبير والمجر الصغير
فى اتجاه جنوبى نحو منطقة الجبايش لتصب كميات هائلة من مائها فى الهور
شمال قرية الجبايش •

وثالث تلك العوامل ان سكان السهول الغرينية فى ربوع الفرات قد
تركوا لعدة قرون بكامل حريتهم يحفرون المجارى والقنوات وينون السداد
والحواجز بما تفرضه عليهم ضروراتهم المحلية • وكان هذا يجرى فى المناطق
الزراعية على نطاق واسع وخاصة فى منطقة زراعة الارز فى لواء الديوانية ،
فتؤثر بشكل سىء جدا على الفرات الاسفل •

وفى ابان اقامتى فى الجبايش حدث أحد الفيضانات العظيمة • وكان
اهل الجبايش يتذكرون فيضانا واحدا فقط اشد واعنف منه وهو فيضان عام
١٩٤٦ • وفيما يلى ملخص لسجل ضبطته اثناء موسم الفيضان للحالة فى
القرية ادرجه كصورة للوضع الذى يحدث فى الجبايش نتيجة للعوامل
المذكورة اعلاه •

لقد بدأت مناسيب المياه بالارتفاع منذ بداية شهر كانون الثانى بشكل
رتيب ولكن بكميات قليلة • ومنذ بداية شهر شباط اصبحت الزيادة ملحوظة
فى النهر والهور المجاور واستمرت كذلك طيلة الشهر ، وبدأ اهل الجبايش
يزيلون الجسور والمعابر القصية وجذوع النخل التى كانوا يستعملونها كقناطر
بين جزرهم • ومنذ اليوم العشرين من شهر مارت حتى نهايته ارتفع النهر والهور
ارتفاعات مفاجئة سريعة وانغمر وجه كثير من الجزر الواطئة وبدأ اصحاب
كافة الجزر الاخرى يرفعون سطح جزرهم بفرش طبقات من البردى والقصب
فوقها وهى عملية تسمى (التجيش) • وقيل نهاية شهر مارت بدأ كافة السكان
يشيدون مصاطب قصية مرتفعة (صوابط) ليناموا فوقها • وما كاد ينتهى
الاسبوع الاول من شهر نيسان حتى اختفت كل قطعة من الارض فى القرية
وبدأ اهلها يظهرن قلقهم ، حتى قبل حلول موسم ارتفاع الماء الشديد ، من
الفيضان الذى كان طاغيا فوق العادة •

واستمر الماء يرتفع طيلة شهر نيسان ، وعجز عدد من سكان القرية عن حفظ سطوح جزرهم فوق مستواه فتركوها ليشاركوا عوائل اخرى مساكنهم ريشما ينحسر الماء . اما الذين مكثوا فى جزرهم فكانوا مضطرين أن يلجأوا لعملية (التجيش) عدة مرات . وفى الايام الثلاثة الاولى من شهر ميس غرقت دكاكين السوق ودوائر الحكومة والمدرسة والبيوت المبنية بالطابوق على ساحل النهر ، ووجب ان يلجأ الى (التجيش) فى كافة منشآت ذلك القسم من القرية بما فى ذلك دار الحكومة . وانشئت عدة ممرات ضيقة من قصب وبردى بين الدكاكين وبقية اقسام هذا الجزء من القرية .

وحافظ الماء على مستواه بين العاشر والتاسع عشر من شهر ميس ، ولكنه ارتفع فجأة وبشكل عنيف فى العشرين منه . وبدأ الناس يفقدون أملهم فى الزراعة الصيفية ذلك العام وفى التاسع والعشرين من شهر ميس جاءت آخر زيادة مفاجئة وكبيرة مما أدت الى غرق أعلى جزيرة حتى الجزر التى لا تغرق عادة فى موسم الفيضانات لعلوها الشديد بالقياس لبقية الجزر . وبموجب التقويم المحلى ، يصل الفيضان اعلى مناسيبه بين بزوغ وغروب نجم يسميه اهل الجياش (الثرية) وهى مدة عدادها خمس وعشرون يوما . فاذا ما غرب هذا النجم فلا زيادة تحدث فى منبع النهر . وبما ان ماء الفرات - بعرف اهل الجياش - يحتاج فى مثل هذا الوقت من السنة الى اثنى عشر يوما ليصل من منبع النهر الى الجياش ، فانهم يعتقدون أن لا زيادة فى مستوى الماء فى الجياش يمكن أن تحدث اذا ما تصرمت هذه الايام الاثنى عشر على غياب (الثرية) . ولكن ثبت خطأ هذه النظرية ؛ فلقد غرب النجم المذكور بحساب التقويم المحلى فى الثانى عشر من شهر ميس ، وحين حلت فى الجياش زيادة طفيفة واخرى كبيرة فى اليومين السابع والعشرين والتاسع والعشرين من نفس الشهر على التوالى لم يكن بوسع اهل الجياش أن يقدموا تفسيراً غير قولهم (هذا موش ماي ، هذا بلوة) . ويعتقد اهل الجياش بان الريح (المهب) تسبب نزول الماء ، ولذا فقد

ظلوا ينتظرونها بصبر نافذ • وبدأت الرياح تهب فى اليوم الثلاثين من شهر
حزيران • واستمر نزول الماء ببطء شديد حتى اذا ما وصل اليوم الثامن عشر
من شهر حزيران كان مجموع نزول مناسيب الماء ستة انجات من مستوى اعلى
منسوب بلغه • وفى اليوم التاسع من شهر تموز برزت بعض الجزر العالية
جدا من تحت الماء • وفى العاشر منه كان الماء قد انخفض بما يساوى فوتين
من اعلى منسوب بلغه • وفى الخامس من شهر آب برزت فوق الماء عدة
جزر وبدأ اهل الجبايش يزيلون طبقات البردى والقصب وعادت كافة
العوائل التى هجرت جزرها الى مساكنها • وعندما ابتداء شهر ايلول كانت
كميات المياه قليلة جدا فى ترع القرية ومجاريها المائية • وحوالى منتصف
الشهر لم يكن فيها ما يكفى لسير الزوارق ، وترتب على ذلك ان اضطر
السكان ان يعتمدوا فى تنقلهم بين جزيرة واخرى اما على الخوض فى الماء
الضحل أو على التنقل فى النهر خاصة فى السفرات الطويلة •

وظل مستوى الماء ثابتا منذ نهاية شهر ايلول الى نهاية شهر تشرين
الاول • ووصل أوطاً مناسيبه فى منتصف شهر تشرين الاول • ولقد أظهر
أوطاً منسوب سجلته نزولا بلغ تسعة اقدام وخمسة انجات بالقياس لا على
منسوب وصله الماء •

وبين نهاية شهر تشرين الاول وبداية شهر كانون الثانى خضع الماء
لتغيرات بسيطة فقط ، ولكن طرأت بصورة عامة زيادة طفيفة على مستوى
الماء •

ان المد الذى يحدث فى الخليج الفارسى فيرفع الماء فى شط العرب
يصل تأثيره الى قرية الجبايش رغم ان ذلك التأثير ضعيف ونادرا ما يلاحظ •
فيصل المد الجبايش مرتين فى اليوم رافعا مستوى الماء فى النهر وفى ترع
القرية القريبة عدة انجات •

٥ - الطرق والمواصلات المائية

ان الماء هو طريق المواصلات الوحيد بين القرية والعالم الخارجى . وهذا الاتصال يتم بثلاثة اصناف من الوسائط المائية ؛ اولها زوارق بخارية صغيرة ذات محركات قوتها خمس وعشرون حصانا ، ويوجد منها فى الجبايش اربعة فقط ، يملكها ستة رجاء اثرياء من اهل الجبايش . وتعمل هذه الزوارق الاربعة بين الجبايش والقرنة وهى رحلة طولها يقرب من عشرين ميلا . ويعمل اثنان من هذه الزوارق كل يوم ؛ فيترك احدهما الجبايش نازلا الى القرنة ويغادر الثانى القرنة صاعدا الى الجبايش ثم يتلوها الاثنان الآخران فى اليوم التالى .

والصنف الثانى هو العدد الكبير من الزوارق الصغيرة التى يملكها اهل الجبايش بصورة خاصة والتى يؤجر بعضها لاجراض النقل والسفر خاصة ما كان منها كبيرا . وتقوم هذه الزوارق برحلات قصيرة الى الهور لجمع القصب ، أو الى القرى والمجتمعات الهورية المجاورة لاجراض التجارة أو النقل . وهى تسيّر بمجاذيف (غرايف) أو تدفع باعمدة قوية من قصب (مرادى) . وتستخدم انواع من الزوارق الكبيرة تسمى (الكعود) لقطع المسافات البعيدة الى احوار العمارة والفراف والحمار . وقد تستخدم الاشرعة الصغيرة فى الـ (كعود) وتسيّر عادة بالـ (مرادى) .

والصنف الثالث هو الزوارق الشراعية الكبيرة (بلام) وهى تستخدم بشكل اساسى للاحمال وبعضا لنقل الركاب . وعند السفر فى النهر ضد التيار قد يربط واحد أو اكثر من هذه الزوارق الكبيرة الى احد الزوارق البخارية ، وهى طريقة يكثر الالتجاء اليها فى فصول ومواسم معينة من السنة .

ان المواصلات النهرية بين الجبايش والقرى الواقعة اسفل النهر ، كالمدينة والقرنة ، متصلة مفتوحة طيلة اشهر السنة ولكافة اصناف النقل

المائى • ولكن المواصلات مع القرى والمدن الواقعة فى اعلى الفرات كسوق الشيوخ مثلا فانها ممكنة فى موسم الفيضان فقط ؛ من شهر مارت الى شهر تموز • وفى هذه الشهور الخمسة تسحب الزوارق البخارية زوارق شراعية كبيرة و (دوب) ينقل فيها معظم انتاج البوارى من الجبايش الى عدة مدن على نهر الفرات حتى الفلوجة شمالا • وتقوم زوارق الجبايش البخارية الاربعة برحلات عرضية الى سوق الشيوخ • وفى الشهور السبعة الاخرى من السنة تتوقف المواصلات بين الجبايش وسوق الشيوخ وغيرها من القرى الواقعة فى أعلى النهر الا ما كان منها بالزوارق الصغيرة • وحتى هذه فانها لا تستطيع المرور فى مناطق معينة كـ (المزلك) وعلى ركبائها اما تركها واكمال الرحلة على اليابسة ، أو ان تسحب الزوارق باليد وتزلق فوق قعر الهور الضحل وعلى الرمال مسافات طويلة •

وفى الهور مسالك مائية عميقة ، تسمى (الكواهين) ، يعرفها اهل الهور ويستعملونها للملاحة بين مجتمعات واجزاء الهور المختلفة ويستخدمون فيها الزوارق الصغيرة (المشاحيف) أو الكبيرة الـ (كعود) •

وفى قرية الجبايش نفسها يستعمل السكان اصنافا مختلفة من الزوارق للمواصلات أو لجلب القصب من الهور ، وتدعى هذه الاصناف حسب سعة حجمها كالآتى : (ماطور) ، (چليكه) ، (مشحوف) ، (طراة) ، وكل هذه مصنوعة من ألواح خفيفة من الخشب مغطاة من الخارج بالقار وتسير بالـ (غرافة) أو تدفع بالـ (مردى) • وهناك نوعان آخران وهى الـ (كعدة) والـ (بلم) وهما يبنيان من ألواح خشبية قوية ويسيران بالاشرعة أو يدفعان بالـ (مرادى) •

والجدول الذى يلى ، والذى وضع على قياسات أخذت لاکثر من مائة واسطة مائية ، يبين حجم هذه الزوارق •

جدول رقم (١)
احجام الزوارق والـ (بلام)

الحد الاعلى				الحد الادنى			
العرض		الطول		العرض		الطول	
انج	قدم	انج	قدم	انج	قدم	انج	قدم
١	٨	١٣	١٠	٢	٥	١١	١
٣	٤	٢٣	٤	٢	٩	١٤	١
٤	١	٢٨	—	٣	٨	٢٣	١١
٥	٣	٣٥	—	٣	٢	٣٤	٦
٨	٦	٥١	٩	٥	—	١٣	٥
٩	٣	٥٨	٦	٧	٢	٥٣	٧

ولقد وجدت ان المائة وعشرين عائلة التى درست دراسة احصائية تملك (١٣٧) واسطة نقل مائية ؛ منها (٨٤) (مشحوف) و (٣٨) (چليكه) و (١١) (كعدة) و (٤) (بلام) وليس فيها (ماطور) أو (طراة) • وكان عدد العوائل التى لا تملك واسطة مائية بالمرة (٢٠) وعدد من يملك واسطة مائية واحدة (٧١) واثنين (٢١) وثلاثا (٨) عوائل • وكانت توجد واسطة مائية واحدة لكل ٥٢ شخصا •

٦ - الطقس

ان احوال الطقس فى العراق هى تلك التى توصف بالقسارية شبه الاستوائية التى تقع بعيدة عن محيط من المحيطات فتصبح شبه جافة ايضا رغم تساقط بعض المطر فى اشهر الشتاء • ان اهم خصائص الطقس فى العراق هى الفرق الشاسع فى درجات الحرارة اليومية بين الليل والنهار والسنوى بين الشتاء والصيف والرطوبة الواطئة وانخفاض مستوى سقوط الامطار •

وتتراوح درجات الحرارة في سهول العراق الجنوبية بين شتاء بارد وصيف حار جدا . وهي متشابهة في كل اجزاء السهول رغم وجود ميل نحو الارتفاع في الجنوب . وابرذ الاشهر هي كانون الاول وكانون الثاني وشباط حيث يكون معدل درجات الحرارة اليومية بين ٥٠ و ٥٦ درجة فهرنهايت وقد ترتفع الى ٨٥ درجة وقد تنخفض الى ١٩ درجة . وفي اثناء هذه الفترة تكون الرطوبة النسبية في الساعة الثانية بعد الظهر ما يقرب من ٥٠٪ . وابتداء من شهر مارت تأخذ درجات الحرارة بالارتفاع تدريجيا وبشكل رتيب حتى تحل اكثر شهور السنة حرارة وهما تموز وآب ، حيث يبلغ معدل درجات الحرارة ٩٥ درجة فهرنهايت ، وقد تتعدى الى ١٢٠ درجة ، ولكن مع هذا قد تهبط درجات الحرارة في الليل الى ٦٥ درجة . وعند حلول الربيع ثم في الصيف تهبط نسبة الرطوبة فتصل الى اوطأ مستوى في شهر آب حيث تبلغ معدل ١٥٪ في الساعة الثانية بعد الظهر . وهذا الانخفاض في الحد الأدنى لدرجة الحرارة والرطوبة النسبية مسببان عن هبوب الرياح الشمالية التي يستمر هبوبها طيلة هذه الفترة باستثناء فترات قصيرة من الهدوء . وتجلب هذه الرياح بهبوبها الهواء الجلي البارد الجاف من سلسلة جبال زاغروس . وتبدأ درجات الحرارة بالانخفاض ببطء ابان شهور ايلول وتشرين الاول وتشرين الثاني . وحتى نهاية شهر تشرين الاول قد ترتفع درجات الحرارة حتى تقرب من ١٠٠ درجة فهرنهايت ، رغم حدوث ليال باردة . وتكون معدل درجات الحرارة في هذا الشهر حوالي ٧٨ درجة فهرنهايت ومعدل الرطوبة النسبية حوالي ٢٣٪ . في الساعة الثانية بعد الظهر . وفي نهاية تشرين الثاني يكون الشتاء قد حل وقد نزل بعض الجليد .

ويمكن ان يعتبر موسم المطر من شهر تشرين الاول الى شهر مايس حيث لا يسقط في الشهور الباقية من السنة مطر بالمرة . والمعدل السنوي

لسقوط المطر هو ٢٠٠ مليمترا والمعدل السنوي لعدد الايام الممطرة لبغداد والبصرة اذا حسبت كافة الايام ذات المطر البالغ ربع مليمترا فما فوق ، هو ٢٦ يوما •

والرياح الكثيرة الهبوب هي الشمال التي تهب من جبال آسيا الصغرى وكردستان ويستمر هبوبها على طول وادي دجلة والفرات فتلطف في الصيف لحدما الحرارة المرتفعة وتساعد على خفض مستوى الماء في موسم الفيضان السنوي في جنوب العراق وطول الفترة الاساسية التي تهب فيها رياح الشمال من عشرين الى ثلاثين يوما ، ولكنها في العادة تنقطع لفترات قصيرة • وتبدأ هذه الفترة الاساسية بصورة اعتيادية في النصف الاول أو في منتصف شهر حزيران •

ويتفق الطقس في الجبايش مع طقس العراق العام مع شئ من الاختلافات البسيطة • ففي الجبايش مثلا :

- أ - ترتفع نسبة الرطوبة في اشهر حزيران وتموز وآب •
- ب - تكون الليالي في شهرى كانون الثاني وشباط أشد برودة •
- ج - تكون امسيات ويليالى الصيف ، خاصة في شهرى تموز وآب ، أشد حرارة •

٧ - الحياة الحيوانية والنباتية

تتكون الحياة الحيوانية في الجبايش بصورة اساسية من :

- أ - الجاموس^(١) : (Bos bubalus, Linn) وهو حيوان ضخم اسود ذو قرون مستقيمة ويعطى كمية كبيرة من الحليب •
 - ب - الماشية : (هوش) وهي محدودة الظهر قليلا صغيرة الاجسام صفراء اللون هادئة الطبع اعتادت الحياة كرباط على الجزر الصغيرة ،
-
- (١) ان بعض المعدان القاطنين حول الجبايش يربون الجاموس والنفر القليل جدا من أهل الجبايش ذاتهم الذى يربى الجاموس يحتفظ به خارج القرية •

وتعطى مقادير معتدلة من الحليب^(١) •

ج - الخنازير المتوحشة (*Sus scorfa*) وهى كثيرة فى الهور •
وسكان الجياش ، ككافة المسلمين ، لا يأكلون لحوم هذه الحيوانات وحتى
لا يمسونها لانها تعتبر نجسة ولحمها محرم أكله • ولكن هذه الحيوانات
خطرة لانها تهاجم وتقلب الزوارق وتلف المحاصيل الزراعية ولذا فان
اهل الجياش يقتلونهم اينما وجدوها وتيسر قتلها •

د - الكلاب : وهى تربى لاغراض الحراسة فقط • وتعتبر هذه
الحيوانات غير نظيفة ، ولذا فان كثيرا من اهل الجياش لا يربونها لاسباب
دينية •

هـ - السمك : توجد انواع كثيرة من السمك فى الهور والنهر •
واغلب اصناف السمك تؤكل الا عددا يسيرا ، كالجري ، يحرم أكلها
لاسباب دينية • واكثر اصناف السمك وفرة فى الجياش هى :

القطان •	(<i>Barbus Xntopteurs</i> , Heckel).
الشبوط	(<i>Barlus Grypus</i> Heckel).
البنى •	(<i>Barlus Puntius</i> Sharpei, Gunther).
شلاج	(<i>Asqius Varax</i> , Heckel).
صبور	(<i>Hilsa ilisha</i> Alosas).
خشنى	(<i>Mugil Liza</i> Misra).

و - (البش) *Geese* والبط *Ducks* : وهما فصيلتان منتشرتان من
الطيور • واثناء الشتاء يكثر وجود (الحذيف) و (الحر) و (دياى الماى) ،
وغالبا ما تصطاد هذه الطيور وتؤكل •

ز - البعوض (البك) منتشر وكثير جدا فى موسم الصيف • وتوجد

(١) ستدرس الماشية بتفصيل واف فى الجزء الثانى ، الفصل
الرابع عشر •

فى منطقة الجياش ثلاث فصائل من البعوض أكثرها انتشارا فصيلة
Anopheles pulcherrimus وهى ناقلة لضعفة الملاريا • اما فصيلة
Anopheles Stephensi ناقلة الملاريا الخطرة فانها ليست كثيرة الوجود •
ح - والذباب وكثير من حشرات صغيرة اخرى كثيرة الوجود خاصة
فى فصلى الربيع والصيف •

ط - وفى الجياش انواع متعددة من الثعابين تصبح كثيرة وخطرة
ابان موسم الفيضان وقسم منها سام •

ان النبات العام الكثير الانتشار فى الجياش هو :

أ - القصب^(١) (*Phragmites karka Trin*) وهو ينمو فى الاجزاء
العميقة من الهور •

ب - البردى : (*Typha latifolia*) ، وينمو فى كل مكان من الهور
تقريبا وحتى فى مجارى القرى ومسالكها المائية • ويستعمل فى كميات
ضخمة لرفع مستوى الجزر عن وجه الماء ابان الفيضان كما يستعمل علفا
للماشية • وتبنى بعض الاكواخ الموقته ، كالاكواخ التى يقيمها الفلاحون
فى موسم الزرع على حقولهم البعيدة عن القرية وغيرها من البردى كما تلحف
فيه الجدران القصية للاكواخ فى موسم الشتاء طلبا للدفء •

ج - وفى الجياش والاهوار المحيطة بها انواع عديدة من الاعشاب
والنباتات المائية ، يؤكل قليل منها كحضروات مع الخبز ويستعمل قسم آخر
فى الطب المحلى • ولقد وجدت ان اهل الجياش يميزون ويسمون الاعشاب
المائية الآتية التى توجد كلها فى أو حول القرية والتى يمكن مشاهدتها طافية
فوق سطح الماء أو تكسو قعر الهور والمسالك المائية فيه :

جولان ، شبلان ، عرمت ، غاط ، مران ، فجيل ، گيه ، مگطوع
لصل ، ذيل العتوى ، برين ، سهير البط ، سلهو ، سميره ، گرگر ،

(١) سندرس القصب ومواقعه ونموه وادامته بتفصيل فى الجزء
الثانى ، الفصل الثانى عشر •

٨ - السكان وتوزيعهم

يبلغ عدد سكان قرية الجبايش كما جاء في احصاء النفوس العام لسنة ١٩٤٧ ، ٩٧٦٨ نسمة موزعة على حمایل العشيرة كالاتي (١) :

النفوس	الحمولة
٤٥٠٠ نسمة	١ - آل الشيخ
١٢٦٣ «	٢ - آل غريج
١٢٠٠ «	٣ - الحدادين
٧٧٣ «	٤ - آل خاطر
٦٢٥ «	٥ - بني عسجری
٤٨٧ «	٦ - آل عنيسي
٤٥٠ «	٧ - آل ونيس
٣١٥ «	٨ - آل لمبر
١٥٥ «	٩ - آل ويس
٩٧٦٨	المجموع

لقد اجري احصاء النفوس العام في شهر تشرين الاول حين كان كافة اهل الجبايش الذين يعملون في مكابس التمور في البصرة ما زالوا خارج القرية ، ولم يدخلوا لهذا السبب في الاحصاء المذكور . ولقد قدرت وجوب

(١) تقرير احصاء النفوس العام ، وزارة الشؤون الاجتماعية ، بغداد ، ١٩٥٤ . والغريب جدا ان هذا التقرير يشير الى أن نفوس قسبة الجبايش تساوي ٨٣ نسمة فقط ، وربما كان المقصود بذلك ليس القرية كلها وانما الجزء الصغير منها فقط المسمى (الناحية) . أما الرقم ٩٧٦٨ فقد استنبطناه من جمع نفوس حمایل بني اسد وغيرها من السكان القاطنين في الجبايش التي وردت اعدادهم متفرقة تحت ابواب مختلفة من ذلك التقرير . اما الناحية كلها ، أي قرى الجبايش والجمار والفهود وعباده وغيرها من المجتمعات الصغيرة فتبلغ حسب ما جاء في نفس التقرير ٢٩١٠٠ نسمة .

اضافة قرابة الف شخص لمجموع السكان المذكور آنفا للوصول الى المجموع الحقيقى . وتبدو هذه الاضافة قريبة جدا من عدد العمال الذين كانوا خارج القرية اذا اخذ بنظر الاعتبار عدد العمال الذين هاجروا من القرية الى البصرة لنفس الغرض فى موسم (ايلول - تشرين الاول ١٩٥٣) وهو ٩١٠ نسمة بين رجل وامرأة وطفل^(١) . وعلى هذا الاعتبار ، اذا اضفنا الف نسمة ، يصبح مجموع نفوس قرية الجبايش ١٠٧٦٨ ، أو ما يقرب من احد عشر الف نسمة .

لم يكن الحصول على معلومات تتعلق بالهجرة الدائمة من القرية ميسورا . ولكن ثبت بعد التحرى انه لم يتخذ غريب الجبايش مسكنا فى السنوات العشر الاخيرة وان كافة من فى القرية من غرباء هاجروا اليها قبل عدد من السنين واغلبهم فعل ذلك قبل الغاء المشيخة فى عام ١٩٢٤ ، فى حين أن هناك أدلة كثيرة على ان كثيرا من اهل الجبايش هاجروا منها فى الثلاثين أو الأربعين سنة الاخيرة . والجدير بالتنويه هنا ان الهجرة من الجبايش لم تكن مسببة من مشاكل الاراضى أو استغلال الشيوخ لاتباعهم كما هى الحال بين سكان احوار العمارة ، بل يبدو ان الاسباب الرئيسية للهجرة كانت صعوبة الحصول على القوت وامتناع الزراعة بسبب الفيضانات العالية المتكررة .

ولكن يجب ان نستثنى من هذا الحكم حالة الصابئة^(٢) (الصبة) الاقلية الدينية . فلقد كان عدد عوائل (الصبة) فى الجبايش حتى وقت قريب قرابة مائة وعشرين عائلة تعيش بصورة أساسية على الحدادة وبناء الزوارق . ولكن أبان الاضطرابات السياسية التى عمت القرية بين سنتى ١٩١٤ و ١٩٢٤^(٣) صار بعض آل خيون ، وهم بيت الرئاسة فى عشيرة بنى أسد ، يعامل (الصبة)

(١) راجع الجزء الثانى ، الفصل الثالث عشر : (هجرات العمل

الموسمية) .

(٢) للاستزادة عن الصابئة راجع الفصل السادس .

(٣) راجع الفصلين الثامن والتاسع عن التاريخ والنظام السياسى للقرية .

معاملة قاسية جدا بفرض ضرائب فادحة عليهم وبنهب ممتلكاتهم • فبدأ الصابئة يتركون الجياش بالتدريج حتى انه لم يبق منهم فى عام ١٩٥٣ غير ثلاث عوائل فقط •

ويدو ان هجرة أخرى من الجياش حدثت اثناء احدى الحروب مع الحكومة العثمانية ، حين دحر الجيش العثماني عشيرة بنى أسد فأضطرت الأغلبية الساحقة منها على الهجرة من ديارها الى الحوزة فى ايران لعدة سنوات • وكتيجة لهذه الهجرة استقر بعض بنى أسد نهائيا فى ايران فى حين اتخذ البعض الآخر گرمه عليّ مسكنا دائما له •

ان أغلب اهل الجياش الذين هاجروا منها مؤخرا يسكنون الان حافة هور الحمار الجنوبية فى الشاطىء والشويعرية والجرباسى والجلعة وفى مارگيل من ضواحي البصرة • ولكن ليس لدينا معلومات عن تاريخ هذه الهجرات ولا عن عدد المهاجرين •

ان قرية الجياش مسكونة بشكل رئيسى بعشيرة بنى أسد ، وهى عشيرة كبيرة قديمة لها فروع تعيش فى أجزاء مختلفة من العراق وفى الجنوب الغربى من ايران • وتضم الجياش بالاضافة لبنى أسد فصائل من المعدان كالنواشى والسريجات وغيرهم ، يعيشون فى القرية اما بصورة دائمية أو يأمونها فى مواسم معينة • ويضاف الى ذلك عوائل الصابئة الثلاث •

وحمايل بنى اسد موزعة فى القرية كالآتى :

آل خاطر : تقيم فى مجموعة الجزر الواقعة بين (گرمه)^(١) بهيمة شرقا والنهر جنوبا و (گرمه) مسلم غربا و (المدار)^(٢) الفوگانى شمالا وهناك فصائل من حمولة آل خاطر تقيم على الضفة الشمالية من گرمه مسلم من النهر حتى مدار النزل ، فى جزر تمتد على طول الگرمه •

(١) (كرمه) وجمعها (كرام) تعنى ترعة ماء وهى اكبر من (الشكلة) واصغر من (الكاهن) و (المدار) •

(٢) (المدار) ترعة مائية طويلة ملتوية •

بنى عسجری : تقيم فى الجزر المحصورة بين گرمه مسلم شرقا والنهر جنوبا وگرمه المجرى غربا ومدار النزل شمالا • ولهذه الحمولة فخذ واحد ، آل عبد المير ، تقيم فى مجموعة جزر واقعة شمال مدار النزل فى نفس المنطقة • وهناك عدة عوائل من حمولة بنى عسجری تقيم بالاشتراك مع بعض المعدان وبعض العوائل من حمولة آل خاطر فى مجموعة من الجزر على شكل مثلث يقع فى الشمال الشرقى من موطن آل عبدالمير •

آل ونيس : وتقيم هذه الحمولة بين گرمه المجرى فى الشرق وگرمه الشيوخ فى الغرب والنهر فى الجنوب ومدار النزل فى الشمال •

آل الشيخ : يقيم القسم الاعظم من هذه الحمولة فى الجزر الواقعة بين گرمه الشيوخ فى الشرق وگرمه الساجية فى الغرب والنهر فى الجنوب والمدار الفوگانى فى الشمال • وهناك ثلاثة أفخاذ من حمولة آل الشيخ تعيش خارج هذه المنطقة • اولها فخذ البو مسعود ويقيمون بين حمولة بنى عسجری فى المنطقة المحصورة بين گرمه مسلم وگرمه المجرى الى الشمال من فخذ آل عبد المير • وثانيها فخذ البخاترة الذين يقيمون فى مجموعتين منفصلتين بين حمولة الحدادين على الضفة اليسرى من گرمه أم الجذوع • فتقيم المجموعة الاولى على مدار النزل والثانية الى الشمال منها على المدار الفوگانى • اما الفخذ الثالث فهو البو زهرون وهم يعيشون بين حمولة الحدادين وحمولة آل عيسى على مدار النزل •

الحدادين : وتتكون هذه الحمولة من حيث اقامتها فى القرية من اربع فرق • تقطن الاولى الجزر الواقعة بين گرمه الساجية وگرمه الدلية • والقيرون من الساجية يدعون (الحدادين أهل الساجية) والباقون يدعون (الحدادين البوعيدة) • اما الفرقة الثانية فدعى (الحدادين آل رشيدة) وتقيم فى الجزر المحصورة بين گرمه أم الجذوع فى الشرق وگرمه عصيدة فى الغرب والنهر فى الجنوب وگرمه المدار الفوگانى فى الشمال • والفرقة الثالثة وتسمى (آل عواد) ، وتقطن شمال آل ونيس بين گرمه المجرى

وكرمة الشيوخ • والفرقة الرابعة من هذه الحمولة هي (آل هجول) التي تعيش بين حمولة آل خاطر على كرامة بهيمة •

آل لمبر - وتوطن هذه الحمولة في الجزر الواقعة بين كرامة الدلية وكرامة أم الجدوع من النهر جنوبا الى المدار الفوكانى شمالا •

آل عيسى - وتسكن الجزر المنتشرة بين كرامة عصيدة وكرامة أصبح السادة من النهر حتى المدار الفوكانى •

آل ويس - وتعيش هذه الحمولة بين حمولة آل عيسى بين كرامة أصبح السادة وكرامة العويجة •

آل غريج - ويحتلون مجموعة من الجزر على شكل مثلث تكون اضلاعه النهر جنوبا وكرامة العويجة شرقا والمدار الفوكانى فى الشمال •

المعدان - وهالك عدد قليل من عوائل المعدان يعيشون شمال حمولة آل خاطر بين كرامة بهيمة وكرامة مسلم والمدار الفوكانى •

الصابئة - تسكن عائلتان من الصابئة مع حمولة الحدادين على كرامة أم الجدوع ، اما العائلة الثالثة فتعيش مع حمولة آل غريج على كرامة العويجة •

٩ - وصف القرية

تكون قرية الجياش من ما يقرب من الف وستمائة جزيرة صغيرة تمتد على شكل نطاق يحاذى النهر ويجاوز الثلاثة أميال طولاً ويتراوح عرضه بين المائة والمائتى ياردة • ويشكل النصف الشرقى من القرية هلالاً نهايتاه نحو الجنوب وظهره نحو الشمال ، فى حين يمتد نصفها الغربى على شكل خط مستقيم باتجاه شمالى شرقى •

وتتقسم قرية الجياش قسمين متميزين ؛ الناحية والنزل •

الناحية : وهى القسم الذى استحدث من تلبية سطوح الجزر بصورة مستمرة ومن ردم الترعر والمجارى المائية التى تفصل بين تلك الجزر حتى تكونت قطعة كبيرة من الارض • وكان هذا القسم من القرية الموقع الذى

اشيدت عليه بيوت ومضايف آخر شيوخ بنى أسد ، وبعد ذلك اصبح مقرا
لمديرية ناحية الجايش ودوائر الحكومة الاخرى ، ومن هنا جاءت تسميته
بالناحية .

ويبلغ طول هذا القسم الآن ٦١٥ ياردة ولا يتجاوز الخمسين ياردة
عرضا . ولهذا القسم رصيف من آجر مبني على طول جبهة النهر مع قنطرتين
مشادتين فوق ترعتي الشرطة والغميجة في نهايته الغربية والشرقية . ويبلغ
طول القسم المبني من هذا القسم ٤٥٤ ياردة مبتدأ من القنطرة الغربية ويكون
هذا القسم من :

١ - اربع وعشرين دارا ، بنت الحكومة عددا قليلا منها ويشغل أغلبها
موظفو القرية ومعلموها .

ب - دار الحكومة والمستوصف والمدرسة .

ج - سوق القرية ويتكون من خمسة وستين دكانا تمتد على طول جبهة
النهر .

اما المائة وواحد وستون ياردة الواقعة بين نهاية القسم المبني وبين القنطرة
فانها مشغولة بعدد من أكواخ القصب .

ولقد بدأت السلطات المختصة في القرية مؤخرا تزرع بعض الاشجار
على طول جبهة النهر كما ادخلت الاضاءة في هذا القسم من القرية وهي
مكونة من ستين مصباحا نفطيا موزعة على طول جبهة النهر في السوق وعلى
واجهات الدور والبنائات الحكومية .

النزل (١) :

ويتكون من مجموعة الجزر التي يقطنها سكان القرية ويجاوز عددها
الالف وستمائة جزيرة مفصولة عن الهور بترعة كبيرة تجرى بمحاذاة النهر ،

(١) تعنى كلمة النزل عند سكان احوار الفرات مجتمعا اقليميا

Territorial Community كبيرا .

وفصل تلك الجزر العديدة بعضها عن بعض ما يقرب من عشرين ترعة
تفاوت في الطول والعرض وكلها تجرى من الشمال الى الجنوب أى من
الهور الى النهر •

والجزر صغيرة في حجمها الذي يتغير كثيرا بسبب صعود الماء وهبوطه •
فأصغر جزيرة تقارب الستين ياردة مربعة في حين تبلغ الجزر الواسعة
المائتي ياردة مربعة • ويكون عدد من مجموعات من هذه الجزر قطعة
واحدة متصلة من الارض ابان موسم هبوط المياه حين تجف الترع والمجاري
المائية الصغيرة الضحلة وحين ينعدم الماء الا في الترع الرئيسية العريضة •
ولكن حين يعاوا الماء في موسم الفيضان لا يظهر فوق سطحه غير الاكواخ
والمضايف تبرز من الماء ، وغير معابر وجسور من جذوع النخل والقصب
تصل اجزاء البيت الواحد ببعضها أو تصله بمضيف العائلة •

ويمتد النزل جنوب الهور يحده شمالا المدار الفوگانى وهى ترعة ماء
تجرى من الغرب الى الشرق بمحاذاة النهر وجنوبا النهر وشرقا گرمة بهيمة
وهى ترعة عريضة تجرى من الهور الى النهر وغربا النقطة التى يتفرع فيها
المدار الفوگانى من النهر •

وأهم الترع المائية التى تجرى من الهور شمالا الى النهر جنوبا بين
النهائيتين الشرقية والغربية للنزل هى :

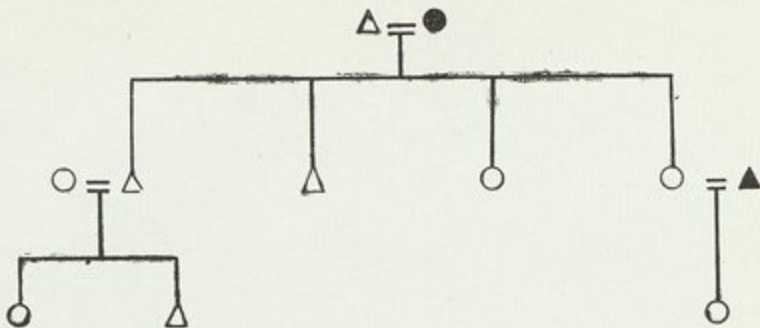
- | | | |
|--------------------|----------------------|-------------------------|
| ١ - بهيمة • | ٢ - گرمة مسلم • | ٣ - گرمة زاير عبدالله • |
| ٤ - المجرى • | ٥ - گرمة الشيوخ • | ٦ - لميجه • |
| ٧ - گرمة الشرطة • | ٨ - الساجية • | ٩ - الدلية • |
| ١٠ - أم الجذوع • | ١١ - گرمة بيت طاهر • | ١٢ - عصيدة • |
| ١٣ - أصبح السادة • | ١٤ - لعويجه • | ١٥ - الشطرة • |
| ١٦ - مجرى الصيخة • | | |

وهذه ترعتان تجريان موازيين للنهر ؛ أولا هما مدار النزل التي تقطع
القرية طولا جارية من الشرق الى الغرب ومقسمة النزل نصفين يوشكان
ان يكونا متساويين ومتقاطعة مع كافة الترع الجارية من الهور الى النهر .
اما التربة الثانية فهي المدار الفوگاني التي تكون الحدود الشمالية
للنزل والتي تجرى من الغرب في بداية النزل الى الشرق وراء نهاية القرية
بمسافة بعيدة .

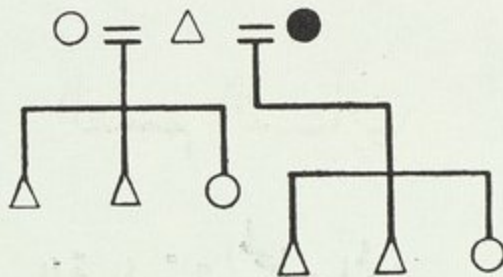
القسم الثاني

القرابة والمجتمع المحلي

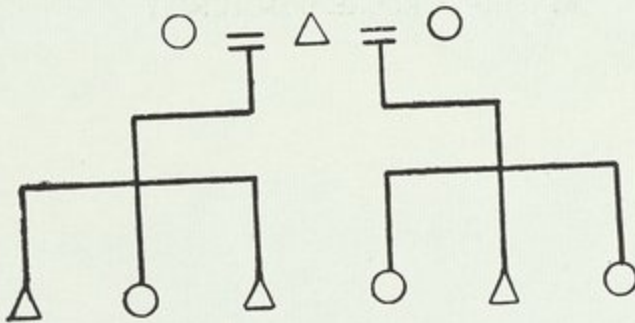
KINSHIP & LOCAL COMMUNITY



أ - عائلة متحدة



ب - عائلة مركبة مكونة من تزوج أرمل له اطفال من زواج سابق .



ج - عائلة مركبة متعددة الزوجات

ملاحظة : $\blacktriangle$: رجل متوفى ، $\triangle$: رجل حي ، $\bullet$: امرأة متوفاة ، $\circ$: امرأة حية ، $=$: متزوج من ،

مخطط (١)

العائلة المتحدة والعائلة المركبة

الفصل الرابع

العائلة والقرابة والزواج

THE FAMILY, KINSHIP & MARRIAGE

١ - العائلة :

ان النموذج المثالي للعائلة في الجبايش هو العائلة المتحدة^(١) Joint Family التي تتكون من الرجل وزوجاته وأولاده المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم ، يعيشون ويعملون معا كوحدة اقتصادية واحدة . وينفرد عقد هذه العائلة في بعض الحالات عند موت الاب . ولقد حوت المائة وعشرين عائلة التي شملها الاحصاء الذي قمت به ثلاثا وثمانين عائلة (٦٩٢ /) ابتدائية Elementary Family ، تتكون كل واحدة منها من الزوج وزوجته وأولادهما ، وسبع عوائل (٥٨ /) مركبة Compound Family تتكون من الزوج المتعدد الزوجات وزوجاته وأطفالهم ، وثلاثين عائلة (٢٥ /) متحدة^(٢) . ويتألف العائلة المتحدة عادة الاب ، ولكنني وجدت تسع حالات من بين الثلاثين عائلة المتحدة كان الاخوان فيها قد ظلوا يعيشون معا بعد وفاة والدهم فتسلم الرئاسة الاخ الاكبر^(٣) .

وتقيم كل عائلة على جزيرة واحدة . فان كان للعائلة مضيف فانه يبنى

(١) رغم علمنا بعدم لياقة هذا الاصطلاح ومطابقته للمعنى المقصود فاننا لم نفلح في ايجاد اصطلاح انسب . فالمعنى الحرفي هو (المشتركة أو المتصلة) .

(٢) راجع المخطط رقم (١) .

(٣) راجع الجدول رقم (٢) .

على جهة من الجزيرة والبيت على جهة أخرى • والجزر فى الغالب صغيرة لدرجة يغطى سطحها كله البيت والمضيف فيضطر الاطفال مثلا أن يلعبوا طيلة الوقت على سطح الماء فى الزوارق • ويقيم الزوج وزوجته وأطفالهم جميعا فى كوخ واحد • وتتخذ كل زوجة فى العائلة المتعددة الزوجات Polygynous Family لنفسها كوخا خاصا ، وربما كان ذلك على جزيرة منفصلة مجاورة • ويجوز فى حالات قليلة ان تقطن العائلة المتحدة الواحدة التى تكون وحدة اقتصادية واجتماعية فى أكثر من جزيرة واحدة • وعلى الزوج المتعدد الزوجات أن يقضى ليلة فى كوخ واحدة من زوجاته على التابع ، رغم انه يخزن حاجياته الشخصية فى كوخ احدها • ويوجد فى كل جزيرة مرحاض ، واذا كانت العائلة كبيرة وغنية فتستعمل كوخا صغيرا بسيطا كمطبخ • وتنام العوائل الفقيرة فى كوخ واحد حتى لو كانت الواحدة منها مؤلفة من أكثر من الزوجين وأطفالهما • وينام الاطفال مع أمهاتهم حتى يبلغوا حوالى الثامنة من عمرهم فيفصلون حينئذ ولكنهم يداومون على النوم بنفس الكوخ حتى يتزوجون • ويمضى أعضاء العائلة الواحدة سحابة النهار معا اثناء العمل أو الراحة ولا يفصلون الا عند تناول طعامهم ، حين يأكل الرجال أولا وعلى حدة ، فان من الخزى على الرجال ان تأكل النساء معهم •

يبدو أن ندرة الجزر غير المسكونة تؤدي الى تعاون اوثق بين الاقارب • ولكن رغم هذا فان صعوبة تبديل محل الإقامة بعد مشادة أو خصام لا تمنع الانقسام والانشقاق بالمرّة حتى بين أفراد العائلة الواحدة • فقد يعيش الرجل مع أخيه سنين على جزيرة صغيرة ومع هذا فهو لا يكلمه ولا يتصل به ، ولعل طبيعة العمل تمكن ذلك • فحياكة الحصر ، وهى المهنة الاساسية لاهل الجبائش عمل يمكن القيام به بصورة فردية • فمن الميسور ان يتشاغل الرجل بحياكة الحصيرة أو دق القصب أو تقشيريه فيتجاهل وجود الشخص الذى قطع صلاته به •

ولا يترك الرجال عوائلهم حين يتزوجون • وبما أن الابناء لا يملكون ثروة أو ارضا خاصة بهم ، بل هم يعملون تحت أمرة الاب وله ، فان من الصعب على الابناء الذين يرومون العيش مع زوجاتهم على انفراد بعد الزواج ان يجدوا لهم جزرا يشترونها أو يستأجرونها ، كما لا تسمح أية عائلة لغريب أن يشاطرها السكنى فى جزيرتها الخاصة • وفى حالة حدوث نزاع بين الابن أو الاخ المتزوج وبين رئيس العائلة ، النزاع الذى يحدث عادة حين تكون الزوجة من غير فخذ زوجها ، فى هذه الحالة فقط يحاول الزوجان الانفصال عن عائلة الزوج الرئيسية • فان لم يفلح فى الانفصال بعد الخلاف فانهما قد يستمران على العيش فى كوخهما باستقلال اجتماعى واقتصادى تام لا يحدثان بقية أفراد العائلة ولا يتصلان بهم •

ان سكان قرية الجبايش بموجب احصاء النفوس العام لسنة ١٩٤٧ يبلغ ٩٧٦٨ نسمة وعدد عوائلها ١٦٠٤ ، ولهذا فان معدل نفوس العائلة الواحدة ٦٠١ شخصا • وكان مجموع أفراد المائة وعشرين عائلة التى أحصيتها ٧١٦ شخصا مكونة من ٥١٧ بالغا و ٩٩ طفلا • وكان عدد العوائل المكونة من ٤ - ٨ اشخاص ٨٩ عائلة أى ٧٢٢.٢ / من المائة وعشرين عائلة ، وعد العوائل المكونة من ٩ - ١٤ شخصا ١٦ عائلة أى ١٣٣.٣ / من المائة وعشرين عائلة • وكانت ١٥ عائلة فقط (١٢٥.٥ / من المائة وعشرين عائلة) مكونة من ٢ - ٣ أشخاص •

وقد تحتوى العائلة فى الجبايش ، بجانب الازواج وأطفالهم واحدا أو أكثر من هؤلاء الاشخاص :

- ١ - أم الزوج ان كانت أرملة •
- ٢ - أخوات الزوج ان كن غير متزوجات بعد أو مطلقات أو أرامل •
- ٣ - نسوة أخريات من فخذ الزوج كعمته وأم أبيه اللواتى يكن غالبا غير متزوجات أو مطلقات أو أرامل •

٤ - أخوان أصغر من الزوج سناً ، متزوجون أو عزاب ، مع زوجاتهم وأطفالهم أو بدونهم .

جدول رقم (٢)

تكوين ثلاثين عائلة متحدة

الترتيب	الازواج			عدد الأولاد والبنات غير المتزوجين والذين هم فوق سن التاميم	عدد الأطفال تحت التاميم	عدد الأشخاص الآخرين الذين يعتمدون في معاشهم على رئيس العائلة	الجنس	مركز رئيس العائلة	درجة قرابة الأشخاص المعتمدين في معاشهم على رئيس العائلة ، غير الزوجات
	نساء	رجال	درجة قرابة الرجال لرئيس العائلة						
١	٢	٢	أبن	٢	٢		أ	أب	
٢	١	٢	أبن	٢	٢	٢	أ	أب	بنت وأبنة أبن
٣	٢	٢	أبن	٤	١	١	أ	أب	أم
٤	١	٢	أبن أخ	١	٤	٢	١٠	عم	زوجة أخ وأبن أخ
٥	١	٢	أخ	١	٢		١	أخ	
٦		٢	أبن	٣		١	٦	أب	زوجة أب
٧	٢	٢	أبن	١	١		٦	أب	
٨	٢	٢	أبن	١			٥	أخ	
٩	٢	٢	أبن أخت	١	٣	١	٩	خال	أخت
١٠	١	٢	أبن	٢	١		٦	أب	
١١	٢	٢	أبن	١	١		٦	أب	
١٢	٣	٣	أخوان	١	٣		١٠	أب	
١٣	٢	٢	أبن	١	٢		٧	أب	
١٤	٢	٣	أبناء	١	١		٧	أب	

تابع الجدول رقم (٢)

الترتيب	الازواج			عدد الاولاد والبنات غير المتزوجين والذين هم فوق سن الثامنة	عدد الاطفال تحت الثامنة	عدد الاشخاص الاخرين الذين يعتمدون في معاشهم على رئيس العائلة	المجموع	مركز رئيس العائلة	درجة قرابة الاشخاص المعتمدين في معاشهم على رئيس العائلة ، غير الزوجات
	نسب	رجال	درجة قرابة الرجال رئيس العائلة						
١٥	٣	٢	أبن	٥	٢		١٢	أب	
١٦	١	٢	أخ	٢	١	١	٧	أخ	أم
١٧	١	٢	أبن				٣	أب	
١٨	٢	٢	أخ	١	٢	١	٨	أخ	أم
١٩	٣	٣	أخوان		٨		١٤	أخ	
٢٠	٢	٢	أخ		٤		٨	أخ	
٢١	٣	٣	أخوان		٤		١٠	أخ	
٢٢	٣	٣	أخوان		٤		١٠	أخ	
٢٣	٢	٢	أخ	٤	٤	١	١٣	أخ	أم
٢٤	٣	٣	أبناء		٢		٨	أب	
٢٥	٢	٢	أبن				٤	أب	
٢٦	٢	٢	أبن	١	٣		٨	أب	
٢٧	٢	٢	أبن	٣	١		٨	أب	
٢٨	٢	٢	أبن	٤	٢		١٠	أب	
٢٩	٢	٢	أبن		٢		٦	أب	
٣٠	٢	٢	أبن	٣			٧	أب	
مجموع	٥٨	٦٦		٤٦	٦٢	١٠	٢٤٢		

ان رؤوس هذه الثلاثين عائلة المتحدة :

١٩ أب (٦٣٣ /) .

٩ أخوان (٣٠ /) .

١ عم (٣٣ /) .

١ خال (٣٣ /) .

ولا يمكن اعتبار التبني Adoption في الجبايش عادة منتشرة فلقد سجلت ثلاث حالات فقط . ويلجأ للتبني لايجاد بيت لتييم أو لان الوالدين يريدان القيام بعمل محمود يحصلان من ورائه أجرا وليكسبا به احترام المجتمع . ومن المحتمل أن يلجأ الأزواج العديمو الاطفال ، وهم قليلو العدد جدا في الجبايش ، الى التبني . ولكن لا يمكن ان يتبنى طفل له والدان حيان لان أهل الجبايش يعتبرون اعطاء الولد لanas آخرين يربونه وينشأونه خزيا ومنقصة . ولذا فلا يوجد هنا احتمال قيام موضوع أجور تدفع لوالد الطفل المتبنى . هذا بالاضافة الى أن الولد المتبنى لا يستطيع أن يرث ثروة ممن تبناه ، ما لم ينص المتبنى على ذلك في وصية يتركها قبل وفاته . ولا يتأثر المركز الاجتماعي للولد المتبنى بمركز الرجل الذى تبناه . ولا يتبنى البالغون من الاولاد أو البنات . ولا يوجد ميل للتخفى فى مزاوله عملية التبني بل ربما كان العكس ما دامت هذه العملية تعتبر عمالا صالحا وربما فضل مزاولها أن يعرف ويشتهر . ورغم هذه الرغبة لا توجد حفلة تقام أو طقس ديني يطبق فى هذه المناسبة .

والعائلة أصغر وحدة اجتماعية فى الجبايش ، يرأسها دائما أكبر الرجال سنا ، وهو عادة الاب ، الذى تتصرف العائلة اجتماعيا واقتصاديا تحت سيطرته ونفوذه . وينوب هذا الرئيس عن العائلة ويمثلها فى المجتمع وفى الخصومات ودفع التعويضات العشائرية ، حيث تتصرف العائلة كلها كوحدة لا تتجزأ . والسلطة فى العائلة متروكة بيد الاب . وهذا ناتج عن أسباب اجتماعية

واقتصادية • فنظام القرابة في الجبايش يقوم طبقا للنظام البدوي على أساس النسب^(١) الابوي Patrilineal Descent ، ونظام السكنى بعد الزواج^(٢) Patrilocal residence أى أن الزوجة يجب أن تعيش مع زوجها في بيت أهله • ويتحمل الأب وحده كافة المسؤوليات الاقتصادية • فللاب سلطة لا تقبل النزاع ممثلة في امتيازاته وحقوقه • ولكن هذه السلطة وهذا المركز يلقيان على كاهله عبئا ثقيلا • فللاب الحق في أن يضطر أى فرد من أفراد العائلة على طاعته وعلى العمل من أجل كيان العائلة • وبالإضافة الى كون طاعة الأب تقليد قبلى فهى واجب دينى تنص عليها تعاليم الدين الاسلامى^(٣) •

للأب مطلق الحرية في التصرف في ثروة العائلة وله الحق ان يطرد أو أن يطلق زوجته في أى وقت ولاى سبب يعتقد كافيًا ، مع احتفاظه بحق ابقاء اطفاله منها أولادا كانوا أم بنات وفي أى عمر كانوا بعد الرضاعة ، أو المطالبة بهم اذا ما ولدوا منه لامرأته المطلقة أو المهجورة • وله الحق في أن يضرب زوجته حين يشعر أن ذلك مناسب أو لازم • وللاب أن

(١) تقوم نظم القرية في المجتمعات البدائية على اسس نسب عديدة اهمها : النسب الابوي Patrilineal descent والنسب الاموى Matrilinal descent والنسب الثنائى Bilateral descent وهى التى ينتسب فيها الفرد الى مجموعة من الاقارب يرتبطون به عن طريق الرجال أو النساء أو عن الطريقتين فى آن واحد على التوالى •

(٢) تفرض المجتمعات المتأخرة نظما معينة لسكنى الزوجين بعد زواجهما اهمها : الـ Patrilocal حيث تعيش الزوجة مع زوجها في بيت أهله و Matrilocal حيث يعيش الزوج مع زوجته في بيت أهلها و Neolocal حيث يعيشان مستقلين في مسكن جديد و Bilocal حيث يحق لهما أن يعيشا مع أى من اهليهما •

(٣) لقد نص القرآن في اكثر من مكان واحد على وجوب طاعة الوالدين مثل « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (سورة ١٧ ، آية ٢٣ و ٢٤) • « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » (سورة ٤ ، آية ٣٦) •

يقبل أو يرفض تزويج ابنته لاي رجل وباستطاعته ان يستولى على مهرها كله . وبما انه هو الذى يدفع مهر زوجة ولده ، فانه صاحب الحق فى ان يقرر ذلك الزواج . ولا يملك الاب امتيازات خاصة فيما يتعلق بالطعام أو الملابس ، ولكن كل امتيازاته مركزة فى الاحترام الذى يجب على كافة أفراد عائلته ان يظهره له . فلأوامره قوة القوانين ، وكل أفراد عائلته ملزمون ان يتصرفوا بما يتفق ورغباته . ولكن يجب ان نتذكر ان سلطة الاب تميل نحو الضعف اذا ما كبر خاصة ان كان له ولد كبير وبصورة أخص اذا أصبح الوالد عاجزا عن السيطرة على شؤون العائلة . والاب مسؤول عن السلامة الجسمية لأفراد عائلته ويجب عليه ان يتفهم بحسب ما تقتضيه التقاليد القبلية . ويتمتع أب الاب أو الاخ الأكبر فى العائل المتحدة بالسلطة والنفوذ على كل فرد من أفراد العائلة . فله فيها عين ما لرئيس العائلة الابتدائية من حقوق فى عائلته وسيطر على الشؤون الاقتصادية كسيطرة رئيس العائلة الابتدائية على تلك الشؤون فى عائلته .

ويبقى الابناء تحت سيطرة الآباء يعاونونهم دون ان يكون لهم الحق فى جمع ثروة خاصة بهم . وحين يتزوجون لا يتغير مركزهم فى العائلة الا قليلا ؛ فانهم يستمرون على العمل للعائلة تحت سيطرة الاب لا سلطة لهم الا على أزواجهم ولا يتمتعون الا بقليل من الاستقلال . ولكن قد يتمتع الابناء البالغون بسلطة كبيرة على أمهاتهم وأخواتهم وانما بصفتهم ينوبون عن آبائهم ليس غير . وتبقى البنات تحت ضبط وسيطرة آبائهن حتى يتزوجن ويستبدلن تلك بسيطرة الأزواج .

وللنساء مركز اجتماعى واطىء فى المجتمع . فهن محترقات من قبل الرجال ويعتبرن مخلوقات ضعيفة العقل . ولا حق للمرأة فى اختيار زوجها أو تطليقه . وليس أدل على مركز المرأة من انها يمكن ان تعطى كزوجة لمن يدفع أعلى مهر أو الى العائلة أو الفخذ المختصم معه كتعويض عن جريمة أقرت من قبل رجل من عائلتها أو فخذها . وللنساء سيطرة قليلة على

ابنائهن خاصة ان كن غريبات عن فخذ أزواجهن ، رغم ان اولادهن يحبونهن ويحترمون رغباتهن • وليس للمرأة رأى مسموع فى الجبايش بسدد تدبير شؤون العائلة ، فأهل الجبايش يعتقدون ان نساءهم يعطين دائما مشورة فاسدة وعليه فهن قد يستشن ولكن يجب أن يخالفن ويعمل بعكس آرائهن^(١) • وليس للامهات حق فى القرارات النهائية الخاصة بالزيجات التى تقع فى العائلة ما دامت هذه الزيجات من أخص شؤون الفخذ والامهات فإيكن غريبات عنه • وتستطيع النسوة ان يوفرن مبالغ صغيرة من المال • وقد يبدأ هذا التوفير ، خاصة فى حالات الزوجات الغريبات عن الفخذ ، من المبالغ التى يجلبنها معهن كجزء من مهورهن ، وتسمى تلك المبالغ من مصادر مختلفة كالنوفير سرا من مصرف العائلة اليومى ، العادة التى تسمى (الحوز) أو من بيع البيض أو الدجاج للنسوة المعدان اللواتى يجبن القرية متاجرات بزوارقهن أو من غزل الصوف أو من بيع عجل ان كانت الزوجة تملك بقرة وغير ذلك • ولا يعترض الرجال على جمع نساءهم للمال ما دام هذا يمكن ان يستعمل عند الضرورة لخير العائلة •

ان الواجب الاساسى للامهات العناية ببيوتهن واطفالهن وتجهيز الطعام لكل فرد فى العائلة والعناية به • وعليهن ان يعتنين بالماشية ويشاركن بكافة الاعمال التى يقتضيها كسب العائلة كحياكة الحصر والزراعة كما يشارك بقية أفراد العائلة • فأعمالهن البيتية لا تعفيهن من المشاركة فى كسب معاش العائلة •

ويضبط السلوك بين أفراد العائلة بتقاليد معروفة ولكنها تختلف كثيرا باختلاف الافراد والظروف • فرغم وجود طراز مالى للسلوك بين مختلف

(١) من الامثلة والاقوال المشهورة فى الجبايش التى تصور هذه الحقيقة وتصور مركز المرأة بصورة عامة ما يلى :

- ١ - شيوخهن وخالفوهن •
- ٢ - كل اربعين حرمة بشاهد •
- ٣ - أهينك مثل ما أهين حرمتى •

أفراد العائلة فان أهل الجبايش يختلفون فى درجة تمسكهم بذلك السلوك
المثالى .

فالسلك بين الوالد وأولاده قائم على أساس من الاحترام والطاعة .
ولكن الاب ذا الولد الواحد كثيرا ما يميل الى التساهل فى علاقته مع ولده .
كما أن سلوك الالباء حيال ابنائهم فى بيوتهم أقل جدا وصرامة من سلوكهم
معهم خارج البيت ، خاصة ان كان اولئك الالباء يشاركون آباءهم المسؤولية
الاقتصادية فى العائلة .

ويتغير سلوك الالباء بصورة طبيعية حين يصلون سن الرشد فيبدأ آباؤهم
بالنظر اليهم كرجال فيستبدل كثير من الاحترام العميق بالالفة . ولا يتصل
الآباء ببناتهم اتصالا وثيقا . وحين تبلغ البنات النضج الجنسى تتحول تلك
الصلة مع آبائهن الى شىء من التجنب . وحين يحتجن آباءهن بأمر ذات
خطر ، فانهن كثيرا ما يستعملن امهاتهن كوسيطات بينهن وبين آبائهن .
ويقوم السلوك بين الزوج والزوجة على أساس مبدأ حطة منزلة
الزوجة بالنسبة لمنزلة الزوج . فالرجال ينظرون لنسائهم نظرة واطئة
ويعتبرونهن أقل منزلة منهم . ولكن هذه النظرة تتأثر كثيرا بحكم كون
النساء شريكات فى الكسب الاقتصادى للعائلة . فيعتقد الرجال فى الجبايش
ان منح الزوجة أى احترام أو النظر اليها نظرة مساواة مع الرجل أمر
يتنافى والرجولة . وعلى الزوجة ان تنظر للزوج كسيد متنفذ فلا تخالف
رغبته ولا تتوانى فى تنفيذ أوامره بل ويجب الا يعلو صوتها على صوته .
وكثيرا ما يستغل الرجال علاقاتهم بزوجاتهم لاطهار سيطرتهم فى العائلة
واشباع رغبة النفوذ والتسلط . فالنداء الاعتيادى الذى ينادى الرجل فيه
زوجته هو (ولج) أو (خاية) وهما لفظتان تنطويان على كثير من الاحقار .
وضرب الزوجة شائع وينظر له كتصرف اعتيادى . ولكن الأزواج الذين
يعيشون مدة طويلة خاصة ان كانوا يعيشون منفردين ينعمون بشىء من
الالفة والصدقة .

والعائلة وحدة اقتصادية ، يعمل كل فرد فيها تحت سيطرة رئيسها ويعتمد في عيشه عليه . ويتجمع مورد العائلة في يده وعليه هو أن يتصرف فيه بما تقتضيه متطلبات أفراد عائلته . فلا يملك أى فرد غيره فى العائلة ثروة خاصة به حتى لو كان ذلك الفرد ابنا بالغا . ويقوم رئيس العائلة بكافة اتصالاتها الاقتصادية فى الخارج ؛ فيشترى طعامها ويتعامل مع أصحاب الحوائت ووكلاء الحصر ويستقرض ما تحتاجه من ديون ويوفىها وما الى ذلك من اتصالات وفعاليات اقتصادية .

ويعمل كل فرد من أفراد العائلة بموجب مبدأ تقسيم العمل Division of labour المعمول به فى القرية . ففي الزراعة يحضر كافة الرجال البالغين البذور ويزرعونها وحين تنمو للحد الذى تحتاج معه الحماية من الطير والدواب تنتقل العائلة كلها الى الحقل لتمكث هناك حتى نهاية موسم الزراعة . وفى ابان هذه الفترة تتصرف العائلة كوحدة تعاونية فى كافة الفعاليات الزراعية ؛ ففي البداية يحرس الرجال والاولاد الشتلات الصغيرة فى حين تدأب النساء والبنات على حياكة الحصر الواسعة (المفارش) اللازمة لنشر المحصول الزراعى عليها . وحين يحل موسم الحصاد تشارك العائلة كلها رجالا ونساء واولادا وبنات فى الحصاد والدياسة والتذرية ونقل المحصول . ثم يدفع رئيس العائلة ديونها من المحصول وبييع المتبقى أو يخزنه لاستهلاكها . ويذهب الرجال والاولاد الى الهور لقطع القصب ويعاونون بقدر ما يتطلبه الامر فى الحياكة ذاتها . وتدق النساء والبنات القصب ويحكنه حصرا . وحين تحتاج العائلة الى المزيد منه يصحب الرجال نساءهم الى الهور ليعاون فى جمع كميات كبيرة منه واذا ما تجمع فائض كبير من القصب المفشق المدقوق ولم تستطع النساء حياكته فان الرجال والاولاد يبادرون لعونهن فى هذا الصدد .

والعمل مقسم فى العائلة بموجب المبادئ الاساسية التالية :

١ - ان الاعمال البيتية من اختصاص النساء والبنات الكبيرات تساعدن

فى ذلك البنات الصغيرات •

٢ - كل عمل يحتاج الى براعة يعتبر من اختصاص الرجال وكل ما يحتاج

الى الصبر والاناة من اختصاص النساء •

٣ - تقتضى التقاليد قيام جنس من الجنسين بأنواع معينة من الاعمال بفض

النظر عن المبدأين المار ذكرهما •

وفى ما يلى ثبت بتقسيم العمل فى العائلة بين أهل الجياش :

١ - الاعمال البيتية :-

النساء يعاونهن البنات	العناية بالطفل
	طبخ واعداد الطعام
	الخبز
	العناية بالماشية وحلبها
	غسل الملابس وتنظيف الكوخ
	عمل الاوانى الطينية (كالتناير وغيرها)

٢ - حياكة الحصر :-

الرجال يعاونهم الاولاد	جمع القصب
الرجال والنساء والاولاد والبنات	تقشير القصب
الرجال فقط	تفسيق القصب
النساء والبنات	دق القصب
الرجال والنساء والبنات الكبيرات	حياكة الحصر

٣ - الزراعة :-

الرجال فقط	تنظيف الارض من الاعشاب
	الحرث

زرع الشتلات	الرجال يعاونهم النساء فى بعض الاحيان
الحصاد	الرجال فقط
الدياسة	الرجال والنساء
التذرية	النساء يعاونهن الرجال
نقل المحاصيل	النساء فقط

٤ - بناء الاكواخ والسواييط والتجيش :-

الرجال فقط

٥ - جمع العلف للحيوانات : الرجال والنساء والبنات الكيرات يعاونهم الصغار .

٦ - النقل :-

الرجال والنساء ، ولكن يجب على الرجل
 ان يسيّر المشحوف الذى تركب فيه معه
 امرأة داخل القرية .

٢ - القرابة

ان النسب Descent فى الجياش أبوي Patrilineal والارث Inheritance والخلافة Succession والولاء السياسى Political allegiance يقررها هذا المبدأ أيضا . فالاولاد فقط يستطيعون أن يرثوا مراكز آبائهم . ولقد كانت المشيخة فى كافة الادوار التاريخية للعشيرة تنقل من الاب لولده الاكبر الا اذا مات الشيخ أو قتل دون أن يترك أولادا فتنتقل حينئذ الى أكبر أخوته . وحين ظهرت (السركلة) كوظيفة سياسية فى حياة العشيرة عوضا عن المشيخة خضعت لنفس المبدأ مع شروط اقتضاها وجود الحكومة المركزية كمسيطر على الوضع السياسى فى العشيرة . ويظهر مبدأ النسب الابوى بوضوح فى علاقة الفرد بأهل أبيه وأهل

أمه ان كانت الاخيرة امرأة غريبة عن فخذة . ففي الوقت الذى يدعو فيه الشخص فخذة وأهل أبيه (أهلي) أو (لحمى) فانه يدعو فخذ أمه وأهلها (أهل أمى) . وفي الوقت الذى ينظر لكافة أفراد فخذة كأفراد عائلته فانه يعتبر أهل أمه غرباء بالنسبة له رغم أنهم فخذ أمه وأهلها . وبصورة اعتيادية تنشأ علاقة طيبة بين عائلة الشخص بصورة خاصة وفخذة بصورة عامة من جهة وبين عائلة أمه وفخذها من جهة أخرى . ولكن لا يترتب على هذه العلاقة أية التزامات . فحتى الخال وهو أقرب أفراد أهل الام الى الشخص لا يملك سلطة على ابن أخته ولا حق له ان يتدخل فى شؤونهم فهو يعتبر غريبا . فأهل الجايش لا يظهرون الحب لآخوالهم الا لانهم اخوان أمهاتهم اللاتى يحبون . فان ساءت العلاقة بين الام وأخيها فان الاولاد لا يتصلون بأخوالهم . وفي حالة نشوب أى نزاع بين خاله وبين أى فرد من أفراد فخذة أو أهل أبيه يظهر الفرد بصورة اعتيادية وبدون ان يتردد جهة أبيه وأهله . وليس للخال الحق فى ان يتدخل فى زواج بنت أخته وحتى انه لا يستشار فى الامر ولا يشارك فى دفع أو استلام التعويضات عن جرائم تقترب من قبل أو ضد أولاد أخته ولا يتقل شئ من ثروته اليهم بعد وفاته .

اما العم فانه فى مقام الوالد . ولا تميز بين الاعمام ، بقدر ما يتعلق الامر بسلطتهم على أولاد أخيههم وبمركزهم فى عائلته ، الا فى كون أكبرهم يحترم احتراماً خاصاً . ويشترك العم فى كافة واجبات التعويضات التى تقع على كاهل أسرة أخيه باستثناء الزوجة ان كانت غريبة عن فخذة . ويستطيع العم ان يتصرف كالوالد فى كل ما يخص زيجات أولاد أخيه . واذا مات دون ان يترك أولاداً أو بنات أو ترك بنات متزوجات فقط فيرث أولاد الاخ عمهم المتوفى بالوصية أو القانون الشرعى . وبمقدور العم ان يقتل ابنة أخيه ، كما يحق لأولاده أن يفعلوا ذلك ، لامور تتعلق بالشرف ، كما يفعل أبوها أو اخوتها تماماً دون أن تترتب عليه أية عقوبة

عشائرية • فان قام بهذا القتل الخال فعليه أن يدفع (الفصل)
لفخذ الفتاة المقتولة كما يتحتم على أى غريب أن يفعل • واليتامى
القصر بنات وأولادا يذهبون الى بيوت أعمامهم وليس الى بيوت أخوالهم
وحتى لو اختارت أمهم الارملة ان تعود للعيش فى بيت أبيها فان على أولادها
وبناتها ان يعيشوا فى بيت أبيهم المتوفى • ورغم ان بعض الاعمام يوافقون
فى بعض الحالات أن تصطحب أرملة أخيه أطفالها الى بيت أهلها فان البنات
اللواتي يعشن بين بيوت أهل امهاتهن يجب ان تطلب أيديهن فى الزواج
من أهل آبائهن ، أى من أعمامهن وليس من أخوالهن •

ويميل رؤوس العوائل المتحدة الذين هم أخوان من أب واحد الى
العيش فى جزر متجاورة • ورغم ان كلا منهم يستقل فى شؤون عائلته من ناحية
ادارتها واقتصادياتها فى الكسب والصرف ، فانهم يكونون وحدة اجتماعية
بين العائلة المتحدة والفخذ • وليس ضروريا ان يكون رؤوس هذه العوائل
فى كل الاحوال أخوانا فقد يكونون اولاد عم أو يربطهم جد عام واحد •
وتسمى مثل هذه المجموعة التى تتصرف بصورة اعتيادية كوحدة لا تتجزأ فى
كل أمر يتعلق بزواج ابنائها وبناتها وفى دفعها الفصول عن جرائم معينة
(خوآن) ، ويعتبر رجال هذه الوحدة أنفسهم ذوى أفضلية على بقية رجال
الفخذ فيما يتعلق بحق طلبهم بنات تلك الوحدة كزوجات لانفسهم
ولاولادهم • وليس لفرد معين حق فى فتاة معينة ولكن تقرير تزويج أية
فتاة لاي رجل فى هذه المجموعة يتوصل اليه عن طريق الموافقة الاجماعية
لد (خوآن) الذين يعيرون رأى أكبرهم سنا احتراما واهتماما خاصا^(١) •
وهناك أقوال وامثال كثيرة فى الجياش تصور النظرة المحلية لموضوع
العم والخال • فمنها مثلا :

١ - (الخال مخلة والعم مدنة) ومعناه أن الخال متروك والعم

مقرب • وهذا المثل يمثل الفكرة كلها بصورة عامة •

(١) سنبحث الزواج داخل الفخذ والحمولة فى الفصل الخامس •

٢ - (العم الذى تاكل فى نعمته ، والخال خال الذى من شره سالم) ومعنى هذا ان العم الحقيقى هو الذى تاكل فى نعمته والخال الصحيح هو الذى تكون فى حل من شره . وفى هذا المثل اشارة الى أن العم يرعى الاولاد وينعم عليهم كوالدهم فى حين لا ينتظر من الخال غير التكليف والواجبات وخير الاخوال من ترك أولاد أخواته لسانهم .

٣ - (الخال ليس العم وليس ابن العم) : لا يشبه الخال العم ولا ابن العم .

٤ - (خالى أخو أمى ليس ابن عمى) أى ان خالى هو أخ لأمى وليس ابن عم لى . وفى هذا تصوير لفكرة ان الخال من أهل الام وليس من أهل الاب .

٥ - (ابن عمى مشترك بدمى وبزرى وفصلى) أى ان ابن عمى مشترك معى فى الدم والاطفال والفصل ، وهذا القول يمثل نظرة أهل الجبايش الى الفخذ . فأفراده خاصة أولاد العم من دم ولحم واحد وأطفالهم أولاد لهم كافة وكلهم يشتركون فى الفصول كفرد واحد .

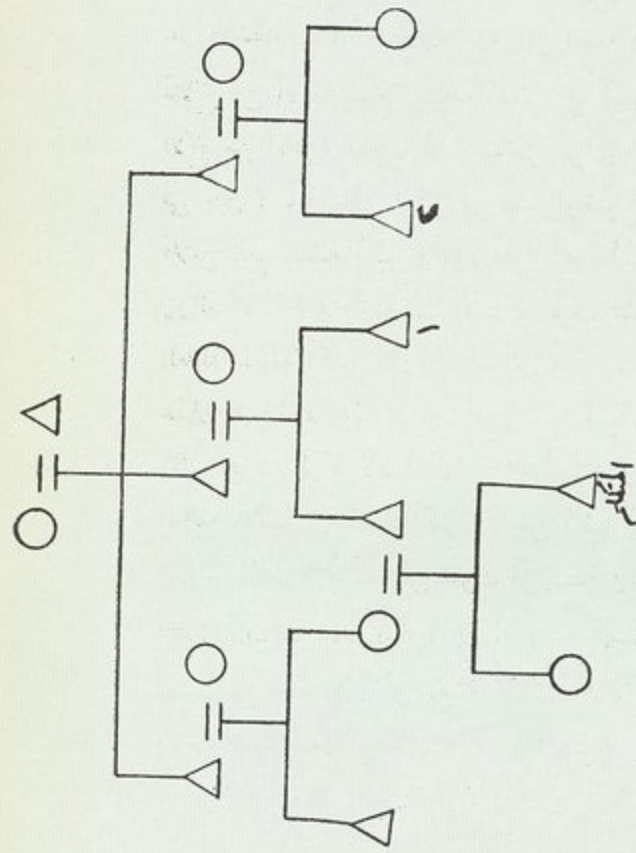
ومن المهم ان نؤكد هنا انه بناء على الميل الشديد نحو التزوج من بنات الفخذ نفسه فهناك نوعان من الخال فى الجبايش (١) .

١ - خال غريب عن الفخذ نتيجة لزواج الرجل خارج فخذ Lineage exogamous marriage . وهذا النوع من الخال هو الذى يعارض ، كما رأينا ، بالعم وهو المقصود بالامثال والاقوال المار ذكرها .

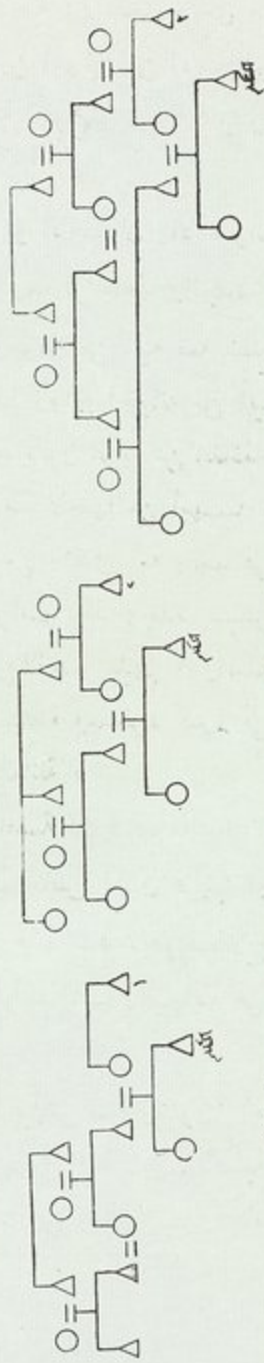
٢ - خال هو بعين الوقت اما ابن عم للزوج نتيجة لاتباع الزوج للنوع المفضل من الزواج بنات العم ، فيكون الخال هنا ابن عم لوالد ابنة أخته وبناتها ، أو ان يكون ذلك الخال عضوا فى فخذ الزوج الذى هو ابن عم غير مباشر له .

وهذان النوعان الاخيران من الخال لا يعتبران غريبين ، وأن اولهما

(١) انظر المخطط رقم (٢) .



أ - العم : ١ = أخ الأب ، ٢ = ابن عم الأب ، ٣ = ابن عم الأب الذي هو خال بعين الوقت



ب - الخال : ١ = خال غريب عن الفخذ ، ٢ = ابن عم الأب ، ٣ = ابن عم أب الأب

ملاحظة : Δ : رجل ، $\bigcirc$: امرأة ، = : متزوج من
مخطط (٢) العم والخال

وهو ابن العم المباشر للزوج أقرب لاولاد وبنات أخته من الخال الذي هو مجرد عضو من اعضاء الفخذ . ولكن كلا من هذين النوعين من الاشخاص الذين هم خال وعم بنفس الوقت لا يتمتعان في عائلة أخواتهم بنفس السيطرة والسلطة التي يتمتع بها العم .

ويتمثل مبدأ النسب الابوي بوضوح في مركز الاخوان والاخوات غير الاشقاء Half-Siblings ومركز العممة والخالة ومركز الجد والجدة . فالاخ من الاب يتمتع بسلطة أعظم على أخوانه وأخواته من أبيه مما يتمتع الاخ من الام . فيجب أن يستأنس برأى الاول في زواج أخواته من أبيه في حين لا يآبه برأى الثاني في هذا الموضوع لانه قد يكون غريبا عن الفخذ . فلابن العم سلطة أكبر ونفوذ أقوى على أبنه عمه مما لاختها من أمها . ووالد الاب ، وخاصة أب الاب ، أقرب للشخص من والدى أمه ولهما في العائلة سلطة أكبر . وفي العوائل المتحدة التي يرأسها جد وجدة يسيطر هذان على احفادهما بشكل أقوى مما يسيطر فيه أولادهما عليهم . والعممة دائما أقرب الى أولاد اختها من خالتهم ، وللأولى سلطة وسيطرة كبيرة في العائلة خاصة ان كانت أكبر سنا من اختها رئيس العائلة .

ولاهل الجبايش نعوت قرابة وصفية كاملة Fully developed

descriptive kinship terminology . فهناك نعت خاص لكل قريب أو نسب من جهة الاب أو الام . والاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو اصطلاح (جد) ومؤنثه (جدة) . ف (الجد) ينعت به أب الاب وأب الام في حين ان (الجدة) ينعت به أم الاب وأم الام .

ولقد وجدت أن نعوت القرابة المستعملة في الجبايش ستة وستون^(١) . ولكن بما أن نعوت القرابة وصفية وانها تكون بمزج اصطلاحات أصلية معينة ، فان أى رجل أو أية امرأة ، ان كان أو كانت في جهة الاب أو الام

(١) راجع الجدول رقم (٣) .

غير ما يرد في الستة وستين نعتاً، يمكن ان يوصف أو توصف بطريقة المزج هذه • والاصطلاحات الاصلية اربعة عشر اصطلاحاً وهي :

- ١- أبو ٢- أم ٣- أخو ٤- إخت ٥- ابن ٦- بت ٧- عم
- ٨- عمته ٩- نغال ١٠- خاله ١١- رجل ١٢- مرت ١٣- جدّ ١٤- جدّه

جدول رقم (٣)

نعتون القرابة في الجبايش

(م • ذ = المتكلم ذكر ، م • أ = المتكلمة انثى)

القريب	نعتون النداء (١)		نعتون النداء (٢)	
	م • ذ	م • أ	م • ذ	م • أ
١ - الأب	أُبوي	أُبوي	بُويه	بُويه
٢ - الأم	أُمي	أُمي	يُمّه	يُمّه
٣ - الأخ	أُخوي	أُخوي	خويه	خويه
٤ - الاخت	إختي	إختي	خويه	خويه
٥ - الابن	أبني	أبني	بويه	يُمّه
٦ - البنت	بتي	بتي	بويه	يُمّه
٧ - أب الأب	جدّي	جدّي	جدّي	جدّي
٨ - عم الأب	عم أبوي	عم أبوي	جدّي	جدّي
٩ - عمّة الأب	عمّة أبوي	عمّة أبوي	جدّه	جدّه

(١) وهي النعتون التي يصف بها المتكلم قريبه حين يتحدث عنه •

(٢) وهي النعتون التي ينادى بها المتكلم قريبه حين يتحدث اليه •

تكملة الجدول رقم (٣)

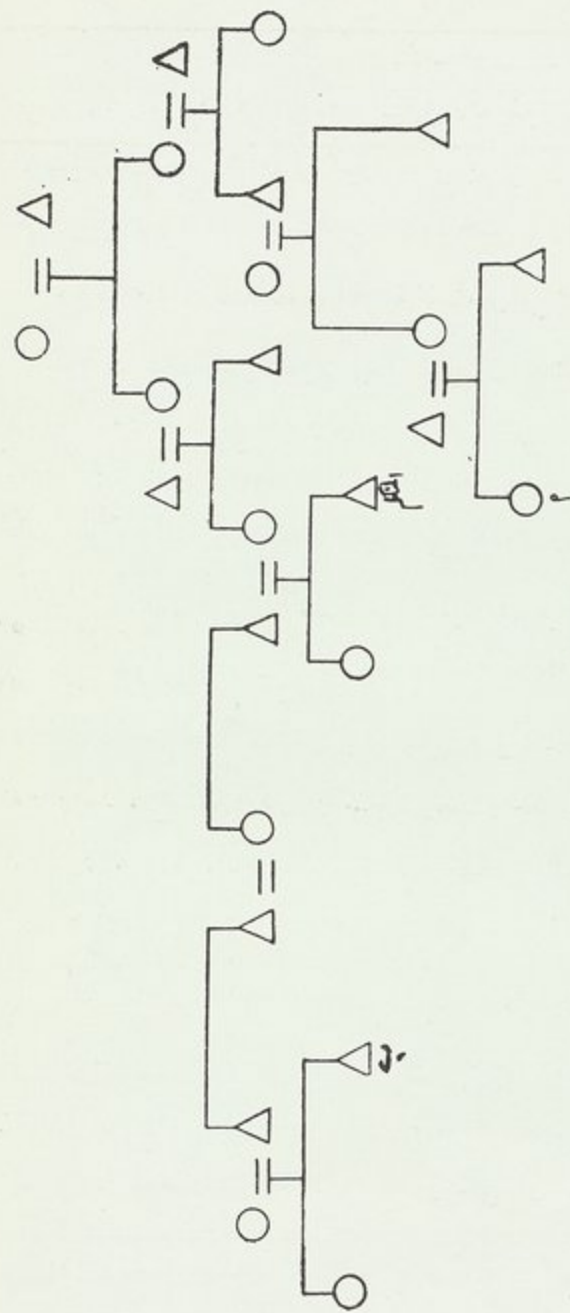
نوعت النداء		نوعت الوصف		القريب
أ . م	م . ذ	أ . م	م . ذ	
عمي	عمي	ابن عم أبوي	ابن عم أبوي	١٠- ابن عم الأب
عمته	عمته	بت عم أبوي	بت عم أبوي	١١- بنت عم الأب
عمي	عمي	ابن عمه أبوي	ابن عمه أبوي	١٢- ابن عمه الأب
عمتي	عمتي	بت عمه أبوي	بت عمه أبوي	١٣- بنت عمه الأب
جدّه	جدّه	جدّتي	جدّتي	١٤- أم الأب
جدّي	جدّي	خال أبوي	خال أبوي	١٥- خال الأب
عمي	عمي	ابن خال أبوي	ابن خال أبوي	١٦- ابن خال الأب
عمته	عمته	بت خال أبوي	بت خال أبوي	١٧- بنت خال الأب
جدّه	جدّه	خاله أبوي	خاله أبوي	١٨- خاله الأب
عمي	عمي	ابن خاله أبوي	ابن خاله أبوي	١٩- ابن خاله الأب
عمتي	عمتي	بت خاله أبوي	بت خاله أبوي	٢٠- بنت خاله الأب
عمّي	عمّي	عمّي	عمّي	٢١- العم
عمه	عمه	عمتي	عمتي	٢٢- العمّة
« بالاسم »	« بالاسم »	مرت أبوي	مرت أبوي	٢٣- زوجة الأب
خويه	خويه	ابن عمي	ابن عمي	٢٤- ابن العم
خيّه	خويه	بت عمي	بت عمي	٢٥- بنت العم
عمه او بالاسم	عمه او بالاسم	مرت عمي	مرت عمي	٢٦- زوجة العم
خويه	بالاسم او خويه	ابن عمتي	ابن عمتي	٢٧- ابن العمّة

تكملة الجدول رقم (٣)

نوعت النداء		نوعت الوصف		القريب
م . أ	م . ذ	م . أ	م . ذ	
خَيْشَه	بالاسم	بت عمتي	بت عمتي	٢٨- بنت العمه
بالاسم	بالاسم	رجل عمتي	رجل عمتي	٢٩- زوج العمه
جَدِّي	جَدِّي	جَدِّي	جَدِّي	٣٠- أب الام
جَدَّه	جَدَّه	جَدَّتِي	جَدَّتِي	٣١- أم الام
خالي	خالي	خالي	خالي	٣٢- اخیال
خويه	بالاسم او خويه	ابن خالي	ابن خالي	٣٣- ابن اخیال
خيه	بالاسم	بت خالي	بت خالي	٣٤- بنت اخیال
بالاسم او خاله	بالاسم او خاله	مرت خالي	مرت خالي	٣٥- زوجة اخیال
خاله	خاله	خالتي	خالتي	٣٦- اخیالَة
خويه	بالاسم او خويه	ابن خالتي	ابن خالتي	٣٧- ابن اخیالَة
خيه	بالاسم	بت خالتي	بت خالتي	٣٨- بنت اخیالَة
خالي	بالاسم	رجل خالتي	رجل خالتي	٣٩- زوج اخیالَة
بالاسم او عمي	بالاسم او عمي	رجل أمي	رجل أمي	٤٠- زوج الام
بالاسم او خيه	بالاسم	مرت أخوي	مرت أخوي	٤١- زوجة الاخ
بالاسم او عمه	بالاسم او بويه	ابن أخوي	ابن أخوي	٤٢- ابن الاخ
عمه	بالاسم او بويه	بت أخوي	بت أخوي	٤٣- بنت الاخ
بالاسم او خويه	بالاسم	نسيبي	نسيبي	٤٤- زوج الاخت
خاله او عمه	بالاسم او خالي	ابن اختي	ابن اختي	٤٥- ابن الاخت
خاله او عمه	بالاسم او خالي	بت اختي	بت اختي	٤٦- بنت الاخت
عمه او بالاسم	بويه او بالاسم	مرت ابني	مرت ابني	٤٧- زوجة الابن

تكملة الجدول رقم (٣)

نوعت النداء		نوعت الوصف		القريب
أ . م	م . ذ	أ . م	م . ذ	
جده	جدّي	أبن أبني	أبن أبني	٤٨- ابن الابن
جده	جدّي	بت ابني	بت أبني	٤٩- بنت الابن
بالاسم	بالاسم	رجل بتي	رجل بتي	٥٠- زوج البنت
جده	جدّي	ابن بتي	ابن بتي	٥١- ابن البنت
جده	جدّي	بت بتي	بت بتي	٥٢- بنت البنت
	بالاسم او وليج		أهلي او مرتي	٥٣- الزوجة
	عمي		عمي	٥٤- أب الزوجة
	عمته		نسيبتي	٥٥- أم الزوجة
	بالاسم		نسيبي	٥٦- أخ الزوجة
	بالاسم		نسيبتي	٥٧- أخت الزوجة
	بويده		ابن مرتي	٥٨- ابن الزوجة
	بويده		بت مرتي	٥٩- بنت الزوجة
بالاسم		رجلي		٦٠- الزوج
عمي		عمي		٦١- أب الزوج
عمتي		عمتي		٦٢- أم الزوج
بالاسم		حمي		٦٣- أخ الزوج
بالاسم		حماتي		٦٤- أخت الزوج
يه او بالاسم		أبن رجلي		٦٥- ابن الزوج
يه او بالاسم		بت رجلي		٦٦- بنت الزوج



نعتان من نعتي القرابة في الجبايش

ملاحظة: Δ : رجل، $\bigcirc$: امرأة، $=$: متزوج من *

فالمتكلم يستطيع أن يصف (أ) في مخطط (٣) مثلا بأنها (بت بت ابن خالت أمي) و (ب) بأنه (ابن أخو رجل عمي) وإذا ما أراد أحد أن يصف قرابة ما غير ما ذكر في الجدول السابق فإنه يلجأ للجميل الوصفية عوضا عن الاصطلاحات • فـ (أ) في المثل السابق يمكن أن توصف بان (جدها ابن خالت أمي) و (ب) بأنه (يگرب لرجل عمي) وهكذا •

ومن ميزات نظام نعوت القرابة المستعمل في الجياش ما يلي :

١ - هناك عشرة نعوت نداء يمكن ان تستعمل لاکثر من الشخص الذى وضعت اصلا لندائه ، والتي يمكن ان يطلق عليها نعوت القرابة الموسعة Extended kinship terms^(١) • وكل نعت من هذه النعوت له نعت وصف خاص به • ولقد أوردنا هذه النعوت فى الجدول رقم (٤) •

٢ - هذه النعوت العشرة هى النعوت الوحيدة التى تستعمل من قبل الناعت والمنعوت فى وقت واحد Reciprocal terms .

٣ - ان نعت القرابة لا يتغير بتغير عمر الشخص المنعوت به ، فهناك نعت واحد للاخ كبيرا كان أو صغيرا ونعت واحد ايضا للاخت صغيرة كانت أم كبيرة • ولكن الناعت يستطيع ان يخصص الشخص المنعوت باستعمال كلمة (الجير) و (الزغير) أو تأنيهما •

٤ - التكنية Teknonymy وهى نعت رجل أو امرأة بابي أو أم فلان أو فلانة • والتكنية كثيرة الانتشار خاصة بين الرجال ومن المعتاد أن يکنى الآباء والامهات باسماء اكبر ابنائهم ، ويندر ان يستعمل اسم البنت الكبرى فى حالة عدم وجود ولد • ويمكن أن يکنى الرجال حتى قبل

(١) وتسمى ايضا ، كما اطلق عليها Morgan ، Classificatory terms

جدول رقم (٤)
نوعت القرابة الموسعة
(م . ذ = المتكلم ذكر ، م . أ = المتكلمة انثى)

النعت	الاستعمال الوصفى (يستعمل من قبل الناعت والمنعوت)	الاستعمال الموسع
١ أبويه	الاب والابن	(م . ذ) ابن أو بنت الزوجة . ابن أو بنت الاخ .
٢ أمه	الام والبنت	(م . أ) ابن أو بنت الزوج . زوجة الابن . ابن وبنت الاخت .
٣ أخويه	الاخ والاخت	(م . ذ) اى رجل أو امرأة من نفس جيل المتكلم . (م . أ) اى رجل من نفس جيل المتكلمة .
٤ أخيه	الاخت وبنت الخال والخاله والعم والعمة .	(م . أ) اية قريبة أو صديقة أو غريبة من نفس جيل المتكلمة .
٥ خالي	الخال وابن وبنت الاخت	(م . ذ أو أ) اى رجل من اقارب الام ومن نفس جيلها
٦ خاله	الخالة وابن وبنت الاخت .	(م . ذ أو أ) اية امرأة من جيل أم المتكلم أو المتكلمة خاصة الامراة التى ترتبط بأم المتكلم أو المتكلمة بصلة قرابة .
٧ عمي	العم وابن وبنت الاخ	(م . ذ أو أ) أى رجل من فخذ أو حمولة المتكلم أو المتكلمة من جيل ابيه أو ابيها .
٨ عمه	العمة وابن وبنت الاخ	(م . ذ أو أ) اية امرأة من فخذ المتكلم أو المتكلمة من جيل ابيه أو ابيها .
٩ جدّي	أب الاب أو اب الام واولاد وبنات ابنه او بنته	(م . ذ أو أ) اى رجل مسن من اقارب أب أو أم المتكلم أو المتكلمة من جيل جده أو جدّها .
١٠ جدّه	أم الاب أو أم الام واولاد وبنات ابنها او بنتها	(م . ذ . أو أ) اية امرأة مسنة من اقارب أب أو أم المتكلم أو المتكلمة من جيل جدته أو جدتها .

زواجهم بأسماء اولاد خياليين خاصة ان كان اولئك الرجال يحملون اسماء معينة تقتضيهم أن يسموا ابناءهم ، حسب التقاليد ، بأسماء معلومة • فبحسب هذه التقاليد يسمى الشخص المدعو مثلا حسين أو محمد أو جعفر ولده الاول على وجاسم وكاظم على التوالى • وهكذا فكل شخص اسمه حسين يدعى (ابو على) ومحمد (ابو جاسم) وجعفر (ابو كاظم) حتى قبل ان يتزوج • وتستعمل فى بعض الاحيان الكنية (ابو الصبى) حين لا يعرف اسم الابن الحقيقى أو الحىالى للرجل • ويلجأ الى التكنية اما لاطهار الاحترام أو لوجود ألفة بين المتخاصمين بحسب ما يقتضيه جليهما •

٥ - تستعمل الفاظ مثل (ولج) و (ولك) و (خايه) و (خايب) متلوة بالاسماء الشخصية للمنادى فى النداء الذى لا كلفة فيه كالذى يجرى بين الأزواج وزوجاتهم والآباء وابنائهم والاخوان الكبار واخوتهم الصغار • وتستعمل هذه الالفاظ حين تربط المتخاطبين علاقة الالفه وعدم الكلفة أو علاقة الاحتقار ، ولذا فلا يخاطب فيها الصغير الكبير • واللفظة (ولج) تكاد ان تكون النداء الاعتيادى للزوجات تستعمل للدلالة على الاحتقار لا الالفه •

٦ - ويستعمل الاصطلاح (عمامى) لنت فخذ المتكلم والاصطلاح (خوالى) لنت اهل امه • واذا كان فخذ فرد من الافراد قد أخذ امرأة من حمولة من حمايل القرية أو من عشيرة أخرى خارج الجبايش ، فعلى ذلك الفرد ان يتكلم عن تلك الحمولة أو العشيرة كلها ، وليس عن نسبائه فقط ، ك (خوالى) ايضا •

٣ - الزواج

يسمح للرجل بمقتضى الشريعة الاسلامية بالزواج الى حد الاربع زوجات فى وقت واحد^(١) . وبين فرقة الشيعة يجوز تجاوز هذا العدد بزواج المتعة . وليس تعدد الزوجات Polygyny فى الجياش مشروعا دينيا أو ينظر اليه كطراز اعتيادى للزواج فحسب ، بل هو مطلق اغلب الرجال .

ان الاسباب الرئيسة للتزوج بزوجة اخرى هى الرغبة الجنسية ، ووفاء زوجة سابقة ، والرغبة فى الاكثار من النسل . فلقد كان بين المائة وعشرين عائلة المدروسة (١١٨) رجلا متزوجا ، (٨٥) رجلا منهم (٠/٠٧٢) كانوا متزوجين بزوجة واحدة والبقية ، وهم (٣٣) رجلا (٠/٠٢٨) كانوا متزوجين باكثر من زوجة واحدة . وكان من بين هؤلاء الـ (٣٣) رجلا :

- ٢٤ رجلا (٠/٠٧٢٧) تزوجوا من زوجتين
- ٦ رجال (٠/٠١٨٢) تزوجوا من ثلاث زوجات و
- ٢ رجلان (٠/٠٦) تزوجوا من اربع زوجات و
- ١ رجل (٠/٠٣) تزوج من خمس زوجات

وكانت بين هذه العوائل المائة وعشرين (٤٦) زوجة قد تزوجها (٣٣) رجلا كزوجة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة .

وتعدد الزوجات الاخوات Sororal polygyny محرم بحكم الدين^(٢) . واغلب الرجال المتعددى الزوجات متزوجون من زوجتين وقسم قليل منهم فقط متزوج من ثلاث زوجات . وكان اكبر عدد من الزوجات

(١) وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايماكم ذلك ادنى الا تعولوا (سورة النساء آية ٤) .

(٢) الآية ٢٣ من سورة النساء : حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم و... وان تجمعوا بين الاختين ...

جمعه رجل واحد فى وقت واحد هو خمس ، هن زوجات حسين آل على
آل خيون •

وتعدد الزوجات ممكن بصورة نظرية للكل ولكن وقوعه اكثر بين
الاثرياء • وهناك دائما زوجة واحدة تدعى (العزيزة) أو (أم البيت) وهى
عادة ، وليس دائما ، الزوجة الاولى • وقد تكون هذه الزوجة ابرع الزوجات
أو اجملهن أو اصغرهن سنا بحسب مثل الزوج ومقاييسه فى التفضيل •
ففى يديها تترك ادارة البيت وفى كوخها يضع الزوج ملابسه وحاجياته
الشخصية • والشجار والمنافسة والخوف من السحر هى أبرز صفات حياة
الضرات • فلم اقبل طيلة اقامتى فى الجياش رجلا متعدد الزوجات ادعى
حياة هادئة فى بيته • ولكن بناء على سيطرة الرجل القوية وحقه فى ضرب
زوجاته ويسر الطلاق فان بيوت اولئك الازواج تتمتع بتماسك وسلام
سطحين • وفى كل مرة يتزوج فيها الزوج من زوجة جديدة يجب عليه ان
يسترضى زوجته أو زوجاته السابقات بشئ من الملابس والهدايا • وعليه
ان يشتري دائما عين الشئ لكل زوجاته •

وزواج المتعة زواج بعقد محدود الامد • وهو على نوعين : المتعة
(بالعقد الكبير) حيث تجعل مدة الزواج أطول كثيرا مما ينتظر أى واحد من
الزوجين ان يعيش ، وهذا النوع من المتعة يعتبر زواجا اعتياديا من كافة
الوجوه • وفى النوع الثانى تكون مدة العقد قصيرة ؛ لعدد من الايام أو
لليلة واحدة فقط ، ويسمى (العقد الصغير) • ويلجأ الى النوع الاخير من
المتعة حين يعيش الرجل موقتا بعيدا عن بيته وزوجاته ، أو حين يكون على
سفر أو يقوم بزيارة الاماكن المقدسة • وتعقد فى الجياش زيجات متعة
بالعقد الكبير ولكن النوع الآخر من المتعة لا وجود له وينظر اليه كشئ
يشبه الزنى ، ولم تعرف حالة واحدة منه فى القرية • ولا تختلف الزوجة

المأخوذة بالعقد الكبير في المركز ولا في الامتيازات والمسؤوليات عن الزوجات
الاربع الاخريات المأخوذات بالزواج الاعتيادي •

ان الزواج المفضل في الجايش هو من ابنة العم Paternal parallel-cousin .
فان كان لرجل اخ له بنت فان من المؤكد ان ذلك الرجل لن يبحث
عن زوجة لابنه في أى مكان غير بيت أخيه • ويعتبر العم طلب ابن
اخيه فتاة غير أخته كزوجة عيبا أو امرا غير لائق • وعلى نفس الشاكلة
يتدخل كافة مسنى الفخذ ان حاول أحد اعضائه تزويج ابنته خارج الفخذ
في حين يوجد فيه اولاد عم لتلك الفتاة •

ان الزواج بنت الخال Maternal cross-cousin وبنت العم
Paternal cross - cousin وبنت الخالة Maternal parallel-cousin
مسموح فيه ولكن لا يرغب في أى من هذه الزيجات ان كان أبو الفتاة
غربيا عن الفخذ • وعلى العكس من ذلك يصبح الزواج بمثل هذه القتيات
مرغوبا فيه ان كان آباؤهن ، أى الخال وزوج العم وزوج الخالة ، اعضاء
في الفخذ •

ويحاول الرجال في بعض الاحيان ان ينفذوا رغباتهم الشخصية في
الزواج ان كانت تتعارض مع رغبات رجال فخذهم أو رجال فخذ حبيباتهم
بان يلجأوا الى الزواج بال (نهية) Elopement • فرغم ان المحبين
يعرضون حياتهم للخطر حين يلجأون لهذه الطريقة فانهم يستطيعون في
نهاية الامر ان يرغموا اهلهم على قبول زواجهم من بعضهم البعض • فكل
أمرأة متزوجة كانت أو غير متزوجة يجب أن تتزوج حبيبها الذي هربت
معه • وحين تخطف المتهوبة جبرا ضد رغبتها ، يجوز لها في مثل هذه الحالة
فقط ان ترفض ان تكون لناها زوجة بعد (النهية) ، وتستطيع ان تعيش
مع اهلها بعد تسوية القضية • اما اذا كانت متزوجة فلن يقبل بعد ذلك أى
زوج ان تعايشه كزوجة بعد فضيحة النهية • وتسبب النهية خزيا كبيرا

لاهل الطرفين وخاصة لاهل المنهوبة الذين يجب عليهم ان يفتشوا عنها وعن ناهبها فيقتلوهما • والنهيّة نادرة الوقوع لان الناهب والمنهوبة يعرضان حياتهما للخطر ولان النهية تعتبر عملا مخزيا • ففي عام ١٩٥٣ سجلت حادثا واحدا من هذا النوع في القرية • ويلجأ الناهب والناهب (يدخلون) عادة عند رئيس أو رجل بارز ويحاول الناهب ابان ذلك وبواسطة اهله الحصول على وعد من اهل المنهوبة في المحافظة على حياتهما لمدة طولها اعتياديا شهر واحد وتسمى (عطوة) ليتسنى لاهل الناهب أن يسووا القضية بالتعويضات (الفصل) • ولا يستطيع اهل المنهوبة في الواقع الامتناع عن اعطاء (العطوة)^(١) التي تم بارسال وفد من السادة و (الأجاويد) الى اهل الفتاة • وفي الوقت المناسب يرسل وفد مشابه آخر الى اهل الفتاة لتسوية القضية (بالفصل) • ومن الجدير بالملاحظة ان باستطاعة اهل الفتاة قتل الناهب قبل ان يحصل على (عطوة) وليس عليهم عندئذ دفع أية تعويضات عنه لانه يعتبر (فاسد) • اما اذا قتلوه بعد اعطاء (العطوة) فعليهم ان يدفعوا عنه عندئذ (فصل) كالذي يدفع في حالات القتل الاخرى • و (الفصل) الذي يدفع عن (النهية) في الجياش ثلاث نساء ، وتسوى القضية مثاليا حسب الاجراءات الآتية :

يجب ان يتزوج الناهب المنهوبة • فان كانت متزوجة فيجب على زوجها ان يبادر توا لتطليقها ، وعلى أهل الناهب ان يعطوه فتاة في سن الزواج تسمى (جدمية) كعويض عن زوجته • اما اذا كانت المنهوبة فتاة غير متزوجة أو أرملة أو مطلقة فتعطى (الجدمية) لأهلها • ويدفع أهل الناهب كذلك بدل امرأة ثانية تسمى (تلوية) وقدره ١٨/٠٠٠ دينارا لاهل المنهوبة ، اما نقدا أو على اقساط يتفق عليها • وتعين من بين اهل الناهب فتاة ثالثة

(١) اذا امتنع اهل الفتاة عن اعطاء (العطوة) فان على السركال ان يبلغ الشرطة التي تسارع عادة الى أخذ ضمانات من اهل المنهوبة بالمحافظة على حياة ابنتهم وناهبها •

سمى (مجفوته) ويتفق الطرفان على ان يدفع أهلها مبلغ ٨/٠٠٠ دنانير
من مهرها لاهل المنهوبة متى تزوجت وبأى مهر تتزوج^(١) .

ولا تعود العلاقات طبيعية بين المنهوبة واهلها حتى بعد التسوية لان
التهية عار كبير جدا تسببه الفتاة لاهلها . ولكن ليس باستطاعة اهل الفتاة
قتلها بعد تسوية قضية التهية بالفصل فان فعلوا لترتب عليهم اعادة التعويضات
التي دفعها اهل الزوج اليهم لان الناهب يصبح زوجا شرعيا بعد التسوية .
واذا كان الزوج من نفس فخذ الزوجة المنهوبة فيجب عليه ان يفتش عنها
ويسعى لقتلها كما يفعل والدها واخوتها . اما اذا كان غريبا فليس عليه غير ان
يطلقها ويطالب بزوجة له عوضا عنها .

ولا يترتب على الناهب دفع مهر لاهل الفتاة المنهوبة اذ أن المفروض
أن المهر يدخل ضمن التعويضات المدفوعة .

ويشمل تحريم الاتصال الجنسي أو الزواج بالاقارب Incest
حتى الجياش الام والشقيقات والاخوات من أحد الابوين والبنات وبنات الاخت
وبنات الاخ وزوجات الاب وزوجات الاولاد والعمات والخالات والاخوات
بالرضاعة والامهات المرضعات حتى ان كن قد ارضعن الشخص رضعة واحدة .
وتسمى كل هذه النساء ال (محرمات)^(٢) .

(١) يوثق هذا الاتفاق بان تعقد عقدة في قطعة قماش ابيض وهي
عملية تسمى (يشدون راية العباس) رمزا لجعل الامام العباس شاهدا
ومشرفا على تنفيذ الاتفاق .

(٢) تختلف الشعوب المتأخرة في درجة تحريم الاتصال الجنسي أو
الزواج بالاقارب . فبعضها تمنع التزوج مع أية قريبة لاعدد درجة فيشمل
ذلك كافة نساء الفخذ وبعضا كافة نساء الحمولة والعشيرة . وبعضها الآخر
تبيح بل وتحبذ الزواج من بعض الاقارب الى اقرب الدرجات . ففي بعض
الشعوب الافريقية يرث الفرد زوجات ابيه المتوفى وبعضها الآخر يجوز التزوج
بنساء العم والخال . وقليل من الشعوب مثل ال Azande والـ Hawaiians
وغيرهما تبيح لبعض طبقاتها التزوج حتى بالاخت والبنات ولكن بشروط
وتحفظات .

ويقول الناس فى الجبايش ان مجرد التفكير فى الزنى بالمحارم أو الزواج منهم يسبب الشعور بالحجل • ولم تعرف فى القرية حادثة مثبته واحدة من هذا القليل • ورغم ان اهل الجبايش يعتقدون ان مرتكبي هذه الفعله لابد وان يستتروا لحد كبير جدا فلا سبيل لمعرفةهم ، فانهم مع ذلك يميلون الى الظن بان مثل هذه العلاقة يمكن ان تنشأ • اما الزواج من هذه النسوة فغير ممكن الحدوث لانه محرم بنص فى القرآن^(١) •

ولا يعتبر اهل الجبايش الزانى بمحارمه مارقا عن الدين فحسب بل يعتبرونه خارجا على التقاليد العشائرية وعلى الانسانية • وهم يعتقدون بان جزاء من يضبط متلبسا بهذه الجريمة ان يقتل ويهدر دمه بلا فصل أو تعويض • ولا يمكن اتخاذ اجراءات بصدد جريمة من هذا النوع لان كل واحد سيخزيه ويخجله ان يذكر الامر ودعك عن مناقشته وتقرير عقوبة أو فصل له • ولا يوجد ذكر للزنى أو الزواج بالمحارم فى القانون العشائرى (السوانى) لبنى اسد • ولقد وصف احد المخبرين الزانى بمحارمه بانه (يظل عار ليوم القيامة • هذا دونى والعياذ بالله منه • هذا أخو الحلب • هذا چتله حلال) • واخبرتني مخبرتي نجديّة آل مخور بان الناس يعتقدون بان الزناة بمحارمهم يصابون دائما بالجذام •

والمثل الوحيد للزنى بالمحارم الذى يعتقد اهل الجبايش انه جرى أو لا يزال يجرى فى القرية هو قضية معتوگ آل شفيج وهو ليس من عشيرة بنى اسد اصلا ، والذى يتهم بالزنى بزوجة ابنه • ولان الزوج معتوه فهو

(١) ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا • حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيمًا (سورة النساء ، آية ٢٢ و ٢٣) •

لا يشعر ، على ما يدعيه المخبرون ، بالعلاقة المحرمة القائمة بين ابيه وزوجته •
ولقد ادعى أحد المخبرين ان بعض الناس شاهدوا معتوگ آل شفيج يقترب
الزنى بزوجة ابنه ولكن يبدو ان الاتهام لم يثبت تماما • فكان معتوگ يعيش
فى القرية فى عزلة تامة ؛ لا يزوره ولا يتحدث اليه أحد ، كما انه كان
لا تقدم اليه القهوة فى أى مضيف يرتاده فى القرية وهذه اهانة عظمى تدل
على انه لا ينظر اليه كبقية الرجال • وكان معتوگ يعيش محتقرا من الجميع •

عندما يختار الرجل زوجة لابنه فانه قد يسأل رأيه ولكن القرار النهائى
يصدر عن الاب دائما • وبناء على الانفصال التام بين الجنسين ، الا حين
يكونون اقارب ، فانه قد تختار العائلة فى كثير من الحالات عروسا لعريس
لم يسبق له ان رآها • وفى حالات قليلة معروفة فى القرية ترك الأزواج
زوجاتهم اللاتى لم يرغبوا فيهن لقبجنهن أو لسوء معشرهن بعد الزواج
مباشرة ، وفى حالة واحدة طلق العريس عروسته فى صباح اليوم الاول
للزواج لانه كرهها حالما وقعت عيناه عليها • ولا يستأنس برأى الفتاة فى
أمر زواجها مطلقا كما انها لا تستطيع ان ترفض رجلا يطلب يدها فى الزواج •
ولها ان تعترض على تزويجها خارج القرية فقط مدعية انها لا تطيق العيش
بعيدة عن عائلتها وعشيرتها •

ان اختيار الزوجة يكاد أن يكون قائما فى اغلب الاحيان على اساس
سمعة العائلة وعلى اخلاق الفتاة وجمالها • فالفتيات يفضلن ان كانت عواثلهن
وخاصة النساء فيها معروفة بالهدوء وبأنهم (خوش وادم) • والفتاة التى
تعرف عائلتها بالرغبة بالشجار وبالخلق السيء ، لا تطلب • وتزداد قيمة
الفتاة ان كانت مشهورة بالوداعة والطاعة والمناورة على العمل • ويجب ان
تعرف الفتاة بالعفة والطهارة والا تكون لها علاقات غرامية سابقة • فالناس
فى القرية يترددون فى خطبة فتاة من هذا النوع خشية ان تهرب مع حبسها
بعد الزواج • ويزيد جمال الفتاة فى قيمتها ، ولكن هذا الشرط لا يرتقى

لاهمية الشرطين المتقدمين • فالفتيات الجميلات يمنحن مهورا عالية • ومن المهم ذكره هنا ان بعض العوائل تمتع عن تزويج بناتها الى الاغنياء خوفا من ان تصبح بناتهم ضرات حين يتزوج اولئك الاغنياء زوجات ثنيات أو ثالثات فيقصين حياتهن في جحيم حياة الضرات المتميزة بالشجار والدس والسحر •

ان السن الاعتيادي للزواج بين الشباب هو ٢٠-٢٢ سنة وبين الفتيات بين ١٤-١٦ سنة • وتعطى الفتيات في الزواج في بعض الاحوال حتى قبل بلوغهن خاصة حين يتبادل رجلان في الزواج اختيهما أو أية فتاتين اخريين من اقاربهما في زواج (الصدق) ^(١) • وقد يشترط والد الفتاة غير البالغة الا يواقع الزوج زوجته حتى تبلغ • وفي بعض الاحوال يمكن ان يعين طفلان كزوج وزوجة في المستقبل بان تقرأ (فاتحة العباس) ^(٢) توثيقا لتعاهد اهليهما على تزويجهما حين يبلغان اشدهما • ومن المعتقدات الجازمة ان شرا كبيرا سيحيق بوالدي الفتى والفتاة ان هم نقضوا تلك الخطوبة بغض النظر عن كافة الاسباب والملابس •

ويتحمل الوالد المسؤولية الاساسية في تدبير الخطوبة • فهو قد يحتاج الى تدخل أحد رجال فخذة أو (خير) أو قد يحتاج حتى لتدخل رئيس الفخذة أو الحمولة •

ويدفع المهر نقودا ، ولكن يجوز في حالات خاصة أن يقدم أهل العريس الماشية أو الاناث ، خاصة صناديق الملابس والسرر الخشبية الى اهل

(١) سيأتى ذكره في هذا الفصل •

(٢) (فاتحة العباس) هي سورة الفاتحة من القرآن ولكنها تقرأ باسم الامام العباس لان المعتقد ان هذا الامام هو المشرف أو القيم على تنفيذ هذا الوعد فان نكته احد الطرفين أو كلاهما فان الامام العباس سينزل بهم عقابا شديدا • والجدير بالملاحظة ان كثيرا من المعتقدات الدينية ورموزها تربط بالعباس كمثّل (سيف العباس) و (راية العباس) والسبب ان اهل الجبايش، شأنهم بذلك كبقية سكان الاهوار في العراق ، يعتقدون ان الامام العباس شديد الانتقام •

العروس وينزل ثمنها الذي يتفق عليه بين الطرفين من المهر ، شريطة رغبة
اهل العروس في ذلك . والعادة ان يدفع المهر كله مقدما ولكن قد يتفق
الطرفان على ترك جزء منه ليدفع فيما بعد الزواج .

والمهر في الجبايش نوعان ؛ مهر للزواج من فتاة من نفس الفخذ
Intra-lineage bride-price ومهر للزواج من فتاة من خارج الفخذ
Extra-lineage bride-price . والمهر الخاص بالفخذ مقياس ودليل
على تماسك الفخذ ولذا فاننا ننسب تأجيل بحث هذا النوع من المهر الى
الفصل القادم حين نتطرق لدراسة الفخذ .

ويتراوح المهر المدفوع للزوج من فتاة من خارج الفخذ بين ٥٠/٠٠٠
و ١٠٠/٠٠٠ دينار وقد يهبط هذا المهر الى ٣٥/٠٠٠ دينارا في حالة الزوج
بمطلقة أو أرملة ، كما قد تدفع مهور عالية تصل الى ١٢٠/٠٠٠ دينارا
للفتيات المرغوب فيهن جدا . ولقد دفع في حالة واحدة شاذة مبلغ ١٨٠/٠٠٠
دينارا لفتاة مفرطة الجمال خطبها وتهافت عليها عدد من الرجال . ويطلب
من الرجال غير المرغوب فيهم لسوء سمعتهم مهورا عالية لحد غير مألوف اما
لكي يزهدوا بالفتيات اللاتي يخطبون أو ليستغلوا اعتمادا على ان اهل القرية
لا يزوجونهم نساء . فلقد دفع حميدى آل عامر مثلا ، وكان ذا سمعة رديئة
لبلغاية ومركز اجتماعي وضع لانّه كان في شبابه المبكر راقصا^(١) ، مهرا
قدره ١٠٠/٠٠٠ دينار لفتاة ما كانت لتحصل على اكثر من ٦٠/٠٠٠ دينارا
لو تزوجت من رجل حسن السمعة . ولقد وجدت ان (١٤٤) مهرا قد
دفعت في (١٦٤) حالة زواج حدثت داخل الافخاذ وخارجها في ال (١٢٠)
عائلة المدروسة . أما العشرون زواجا التي عقدت بلا مهور فكانت من نوع

(١) لا وجود لرقص النساء في الجبايش ولكن رقص الاولاد موجود
بين فخذ واحد من حمولة الحدادين فقط . وامتهان الرقص محقر جدا ويعتبر
عملا مخزيا و (شغل كاولية) .

زواج الى (كعبدى) و (الفصل) وال (صدق) ، وهذه كلها انواع من الزيجات التى تعقد بلا مهر • وكان اعلى مهر دفع بين ال (١٤٤) حالة هو ١٠٠/٠٠٠ دينار وأوطأ مهر ٣/٠٠٠ دنائير • وكانت نسب المهور الاتفة الذكر كالآتى :

مهور دفعت داخل الفخذ :

٢٣	(٠/٠١٦ من ال ١٤٤ مهرا) من ٣/٠٠٠ دنائير الى ١٠/٠٠٠ دنائير
٢٣	(٠/٠١٦ من ال ١٤٤ مهرا) من ١١/٠٠٠ دينار الى ١٥/٠٠٠ دينار
٣٥	(٠/٠٢٤٣ من ال ١٤٤ مهرا) من ١٦/٠٠٠ دينار الى ٢٠/٠٠٠ دينار

مهور دفعت خارج الفخذ :

١٩	(٠/٠١٣٢ من ال ١٤٤ مهرا) من ٢١/٠٠٠ دينار الى ٢٥/٠٠٠ دينار
١٨	(٠/٠١٢٥ من ال ١٤٤ مهرا) من ٢٦/٠٠٠ دينار الى ٣٠/٠٠٠ دينار
١٤	(٠/٠٩٧ من ال ١٤٤ مهرا) من ٣١/٠٠٠ دينار الى ٤٠/٠٠٠ دينار
٣	(٠/٠٢١ من ال ١٤٤ مهرا) من ٤١/٠٠٠ دينار الى ٥٠/٠٠٠ دينار
٥	(٠/٠٣٥ من ال ١٤٤ مهرا) من ٥١/٠٠٠ دينار الى ٦٠/٠٠٠ دينار
٢	(٠/٠١٤ من ال ١٤٤ مهرا) ٧٥/٠٠٠ دينار •
١	(٠/٠٧ من ال ١٤٤ مهرا) ٩٠/٠٠٠ دينار
١	(٠/٠٧ من ال ١٤٤ مهرا) ١٠٠/٠٠٠ دينار •

وكانت ٠/٠٥٦٣ من هذه المهور ال ١٤٤ وعددها ٨١ مهرا دفعت داخل الفخذ وقد تراوحت بين ٣/٠٠٠ دنائير و ٢٠/٠٠٠ دينار ، و٠/٠٤٣٧ منها وعددها ٦٣ مهرا دفعت خارج الفخذ وقد تراوحت بين ٢١/٠٠٠ دينار و ١٠٠/٠٠٠ دينار •

ورغم انه يعتبر من حق الوالد أن ينشد مهرا عاليا لابنته بان يزوجها

خارج الفخذ فان الذين يخرجون على القواعد التقليدية بتمتعهم بهذا الحق يتفقون نقدا لاذعا . فالغرض الاساسى للوالد الذى يزوج أبنته خارج الفخذ هو حصوله على مهر اعلى فيظفر بذلك على فرصة لاداء دين قديم أو ليحصل بمهر أبنته على زوجة لولده . وتبدو هذه الرغبة واضحة فى المساومة التى تجرى عند تعيين المهر فيساوم الوفد الذى يرسله اهل الخاطب ولى أمر الفتاة المخطوبة كما يساوم على بضاعة تشتري ، ثم يطلب (السيد) أو (الخيونى) أو الشخص البارز ، من مثل هؤلاء ، أن ينزل ولى أمر الفتاة المخطوبة من المهر الذى انتهى الاتفاق عليه قسما اكراما (لجدّه) أو شرف مائلته أو مكائته . ولقد زوج مثلا مطلقك آل حسان من فخذ آل حجي سارى احدى بناته الى ابن أخ عبودة آل سلمان ؛ حاتم آل صيهود ، بمهر قدره ٦٠/٠٠٠ ديناراً . وعندما حدث بعد ذلك نزاع بينه وبين عبودة آل سلمان صار مطلقك وما انفك يردد بمرارة جملة تصور وجهة النظر المحلية فى هذا الموضوع فكان يقول : (بديته هو أبو ستين على الوادم لطت فيه) . ومثل آخر هو قضية تعتبر مثلا ليس لرغبة الآباء فى الحصول على مهر عال فقط بل على تحطيم الحواجز الاجتماعية والعمل ضد التقاليد للحصول على ذلك . فلقد كانت لرجل اسمه عطشان من حمولة آل الشيخ بنت خطبها لابنه رجل اسمه مزهر ، وهو صابئى^(١) دخل الاسلام . ويعتبر الصابئة فى الجايش نجسين Religiously unclean ، وعليه فلا يجوز التزاوج معهم مطلقا . فقدم مزهر مهرا قدره ٩٠/٠٠٠ ديناراً لابنة عطشان وهو مهر مرتفع جدا بالنسبة لها ولمركز ابيها فى العشيرة . فرضى الاب أن يزوج أبنته بلا تردد ، رغم ان كثيرين لاموه لاعطائه ابنته لرجل كان والده صابئيا . ثم (نهى)^(٢) عطشان رجل من فخذة بالأا يستمر فى اجراءات

(١) سندرس الصابئة ومركزهم الاجتماعى فى القرية بتفصيل فى الفصل السادس .
(٢) راجع الفصل الخامس .

الزواج ، ولكن عطشان رفع شكوى على ذلك الرجل عند السركال • ولقد سمعت عطشان يقول فى مضيف السركال على مشهد من عدد كبير من الناس وبشكل واضح وبقوة : (بويه أنه رجال فقير ، واطيت بتى بتسعين دينار ، من كون ابن عمى يطى هاكثر ، أنه هسها أطيها له) • وبعد مناقشات طويلة وبعد ان عبر كل الحاضرين عن رأيهم بأن من الحزى ان تزوج فتاة لابن صابئى ، قبل عطشان ان ينزل المهر الى ٧٥/٠٠٠ دينارا • ولما كان قريه الذى نهاه غير مستعد ان يدفع ذلك المبلغ فان عطشان لم يأبه له • وحين ألح عليه رفع عطشان شكواه الى الحكومة واستمر فى تربيته لاتمام الزواج بين أبنته وابن مزهر الصابئى •

وللأب مطلق الحرية فى ان يحتفظ بكامل المهر لنفسه ولكنه ينتظر منه ان يزود أبنته بادوات منزلية كاملة • والعادة الجارية ان يعطى الآباء بناتهم حوالى ثلث المهر ليزودوا أنفسهن بالملابس والفراش وسرير واناة لجلب الماء (مصخته) وطشت وابريق وصندوق خشبى لحفظ الملابس ودولاب خشبى (محمل) وشئ من ادوات الزينة ، يعتبر الخلخال الفضى اهمها • ويرسل بعض الآباء بناتهم الى بيوت ازواجهن بدون اى اثاث مصطحبات ملابسهن فقط فى حين يترك آخرون المهر كله لهن ليزودن أنفسهن بكثير من الملابس وادوات الزينة وبأحسن الادوات المنزلية • والمتوقع من الآباء ان يقدموا هدية من الحلى لبناتهم حين يتزوجن •

وينشد الاب ذو البنات فقط الذى لا يملك اولادا يعملون له شابا محتاجا عاجزا عن تدبير مهر لنفسه فيزوجه احدى بناته بلا مهر • ويترتب على مثل هذا الزواج ، ويسمى (گعبدى) Matrilocal marriage ان يقيم مع اهل زوجته ويعمل لهم • وبما ان اقامته بين اهل زوجته وعمله لهم تعتبران عوضا عن المهر فان عليه ان يدفع لوالد زوجته مهرا متفقا عليه عند عقد الزواج ان هو اراد اخذ زوجته والانفصال بها عن اهلها • فان

هو أراد تطليقها فلا يدفع أحد من الطرفين اى مبلغ من المال •

والرجال القادرون ماليا لا يقبلون ان يتزوجوا على المنوال السابق (غميدى) فيعيشوا تحت سلطة اهل زوجاتهم فى الوقت الذى يستطيعون فيه دفع مهور لزوجات تاتى لتعيش بين اهلهم وفى بيوتهم بالطريقة المألوفة • وينظر اهل الجبايش للـ (غميدى) نظرة احتقار • ففى علاقته مع والد زوجته فى الواقع شىء من العبودية ولذا فهو لا يتمتع الا بقليل من السلطة والسيطرة على زوجته •

وهناك نوعان من الزواج خارج الفخذ لا يدفع فيهما مهر • الاول زواج الـ (غميدى) وقد مر ذكره ، والثانى زواج الـ (صدق) وهو الزواج بالتبادل Marriage by exchange • فقد يتبادل الرجال اخواتهم وفى حالات نادرة بناتهم وبنات اخوانهم كزوجات ، فيعطى الرجل اخته زوجة لآخر لياخذ مكانها اخته زوجة لنفسه • فان كانت احدى الفتيات تحت سن الزواج ، ويحدث بعضا فى زواج الـ (صدق) تزويج فتيات حتى قبل بلوغهن الحلم ، فعلى اهلها ان يقدموا لمن سيتزوجها مبلغا من المال يسمى (كبتارة) كتعويض له لانه لا يستطيع ان يتمتع بعروسه كزوجة بشكل أكمل حين بلوغها الحلم • وكلما كانت العروسة صغيرة فى العمر كلما ارتفع مبلغ الـ (كبتارة) الواجب دفعه • والمفروض فى الزوج الذى يتزوج عن طريق التبادل فتاة لم تبلغ الحلم بعد الا يواقعها حتى تنضج • ولقد برهن هذا النوع من الزواج على فشل وكان دائما يختم بمشاكل • والسبب فى ذلك ان اهل كل من الفتيات المتبادلتين يبادرون الى طرد كتنهم ان طلق ابنتهم زوجها أو طردها من بيته بغض النظر عما اذا كان ابنهم وزوجته يحبان بعضهما أم لا • وقد يؤدى الفصل بين زوجين متحابين لمجرد عدم نجاح الشق الثانى من الصفقة الى (نهية) • ففى عام ١٩٥٢ زوج مزهر آل نشتر أبنته الى كاظم آل جمعة وأخذ أخت الاخير زوجة لابنه • وبعد

مضى فترة وجيزة طلق ابن مزهر زوجته نتيجة للاحاح أمه ، فطرد كاظم آل جمعة زوجته انتقاما من أهلها رغم انه وزوجته كانا يحبان بعضهما ويعيشان سعيدين جدا . ثم طلقت ابنة مزهر من زوجها بعد زمن ، وعقد عليها لتزوج من رجل آخر . ولكن قبل ان يقع الزواج الجديد بأيام قليلة ترصد كاظم آل جمعة ، الذى ندم على تطليق زوجته ندما شديدا ، لها فخطفها (نهبا) عندما كانت تحش الحشيش فى الهور مع اخيها الصغير واخذها قسرا فى زورقه وهرب بها خارج القرية .

ولا تفرض التقاليد فى الجياش زواجا ثانويا Secondary marriage من نوع معين^(١) . ولا يحدث الا نوع واحد من ال Sororate marriage وهو التزوج باخت الزوجة بعد موتها^(٢) لان الجمع بين الاخوات كزوجات محرم شرعا^(٣) . وكذلك يحدث نوع واحد فقط من ال Levirate marriage ، وهو زواج الاخ بأرملة أخيه^(٤) . ولكن كلا الزوجين ؛ الزواج بأخت الزوجة المتوفاة وبأرملة الاخ ، اختيارى محض . فالاول يتوقف على رغبة الارمل الذى ليست له حقوق ولا عليه واجبات فى هذا الصدد . ولكن كلا من اهل الزوج والزوجة يفضلون هذا النوع من الزواج ان كانت الزوجة قد تركت اطفالا قصرا بعد وفاتها . فان زوجة الاب الحالة

(١) تفرض بعض المجتمعات المتأخرة نوعا خاصا من الزواج الثانوى ، وهو كل زواج يعقده الزوج بعد زواجه الاول ، كان توجب زواج الزوج بأخت زوجته المتوفاة Sororate marriage أو تلزم الرجل بالتزوج من أرملة أخيه Levirate marriage .

(٢) وتجيز بعض المجتمعات المتأخرة الجمع بين الاخوات كزوجات بنوع من الزواج يطلق عليه اسم Sororal polygyny .

(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء المار ذكرها سابقا .

(٤) ويجيز عدد قليل جدا من المجتمعات المتأخرة زواج أخوين أو اكثر من زوجة واحدة فى وقت واحد وهو ما يسمى Fraternal polyandry والوجود فى قبيلة ال Toda القاطنة فى جنوب الهند وفى بعض قبائل التبت .

ترعى اولاد اختها خيرا من الغريبة • وكذلك لا يوجد ما يضطر الاخ للزواج من أرملة اخيه رغم ان كثيرا من الاخوان يرغبون فى ذلك ان كان الاخ المتوفى قد ترك اطفالا يعتبر اولئك الاخوان هم المسؤولون بحكم التقاليد عن تنشأتهم وتربيتهم • ولكن بعض أهل الجايش يعتقدون ان من المكروه ان (يدوس الاخو فراش اخوه) أى ان يواقع الاخ المرأة التى كانت زوجة لاخته • والتزوج بارامل الاب محرم دنيا وينظر لمثل هذه النسوة كالامهات • اما التزوج بارامل الحلال والعم فمحقر جدا وينظر له كشيء مخجل ولكن المعروف ان مثل هذه الحالات وقعت فعلا فى القرية •

ان السبين الرئيسيين للطلاق فى الجايش هما الزنى والعقم • فتعاقب المرأة الزانية بالطلاق من زوجها والقتل من اهلها • فان كانت غريبة عن زوجها فعليه ان يرسلها الى اهلها ويطلقها تاركا عقابها لهم • ويلجأ اهل الزوجة الزانية الى قتلها سرا • ولكن الزوجة لا تستطيع ان تطالب بالطلاق من زوجها الفاسق • فعليها ان تشتكى حالها لاهلها الذين قد يلفتون نظره الى شكوى زوجته •

ولا يبقى الرجال النساء العقيمات كزوجات الا فيما ندر • فاهل الجايش يعتقدون ان كلا الزوجين يمكن ان يكون السبب فى العقم ولذا فيبادر الزوج الى التزوج من زوجة ثانية وحالما تلد له هذه الزوجة طفلا يطلق الزوجة الاولى التى يثبت له عندئذ عقمها •

وهناك اسباب اخرى مختلفة اقل اهمية فى الطلاق من السبين المتقدمين مثل سلوك الزوجة السيء وعدم تدبير المنزل والتبذير فى مصروفاته وفى بعض الاحيان تأثير الدس والمؤامرات التى تحيكها الضرات لبعضهن •

لقد بينا ان الازواج يستطيعون فى أى وقت ولأى سبب ان يطلقوا زوجاتهم • فان كان للزوج اسباب مقبولة اجتماعيا او ان كانت الزوجة

ترغب فى ترك زوجها فان له الحق ان يستعيد المهر الذى اعطاه مع كافة المصاريف التى صرفها على حفلات الزواج • ويستطيع الزوج ان يطلب أى مبلغ ، قد يصل فى بعض الحالات الى ضعف المصروفات الاصلية كما انه قد يكتفى بأخذ ما دفعه وصرفه فعلا ، أو قد يطالب بأقل مما صرف ودفع فعلا • فان لم يكن للزوج عذر مقبول فليس له الحق فى المطالبة لا فى المهر ولا فى مصاريف حفلات الزواج • وفى حالات خاصة يرغب الطرفان ؛ الزوج واهل الزوجة ، فى الطلاق فيتفقان على دفع مبلغ معين يكون عادة المهر وحده • ويدفع مثل هذا المبلغ للزوج اما عندما تتزوج مطلقة مرة اخرى ويسمى الطلاق عندئذ (بكسيتها) ، ويعتبر مخالفا لتعاليم الدين ، أو قد يدفع المبلغ بعد أمد يتفق عليه الطرفان •

ان الاعذار المقبولة اجتماعيا للطلاق هى اقرار الزوجة جريمة الزنى أو هربها مع حبيب أو أن يثبت انها ليست باكرا • ويختلف الرجال فى سلوكهم تجاه بكارة زوجاتهم • فقد يطلق العريس عروسه التى يكشف ليلة زواجه منها انها لم تكن باكرا ويعيدها الى اهلها توا ويطلب بالمهر وبمصاريف الاحتفالات • فى حين قد يتفق بعض الأزواج سرا مع اهل عرائسهم على أن يرضى الزوج بزوجه الثيب شريطة ان يعيد له اهلها قسما من المهر على اساس ان الزوجات الثيبات يتزوجن بمهور اقل كثيرا من مهور البواكر •

والطلاق عملية سهلة المراسيم ؟ يذهب الزوج الى (المومن) ، وهو رجل مخول دينيا بعقد الزواج والطلاق وما الى ذلك من الاجراءات الشرعية، ويعلن أمامه وبحضور رجلين شاهدين ان زوجته طالق • فيقول « حرمتى (يذكر اسمها واسم ابها) طالق واستغفر الله » • ويرسل (المومن) الى المطلقة ، بعد ان يسجل عنده فى سجل خاص تفاصيل الطلاق ، وثيقة تثبت تاريخ ونوع الطلاق •

وهناك فترة أمدها مائة يوم يجب ان تمر بين تطليق ووزواج المطلقة مرة أخرى • وتسمى هذه الفترة (العدة) وتفرض للتأكد بان الزوجة ليست حاملا من مطلقها • فاذا ما ثبت انها حامل فانها لا تستطيع ان تتزوج مرة أخرى الا بعد الولادة • وابدان فترة العدة يستطيع الزوج المطلق ان يعيد مطلقة بدون أية اجراءات ان كان قد طلقها بناء على رغبته ، أى ان كان لم يستعد المهر ولا ما صرف على احتفالات الزواج • فتمزق وثيقة الطلاق ويرسل الزوج عادة هدية من الملابس لمطلقة التي يريد اعادتها كتلطيف لحاظرها ولاسترضاءها • فان رغب الزوج فى إعادة مطلقة بعد نهاية فترة العدة فعليه ان يتزوج بها مرة أخرى حسب الاصول المرعية فى الزواج الاعتيادى ، مع فرق واحد وهو عدم دفع مهر فى هذا الزواج • وهذا الاجراء ، وهو نادر جدا ، يسمى (ندمه) • اما الشكل الثانى من الطلاق ، حين يحق للزوج ان يستعيد المهر ويلزم أهل الزوجة باعادة مصاريف الزواج ، فلا مجال لاعادة المطلقة الى مطلقها مهما كانت الظروف •

اذا تركت الزوجة زوجها وبيته أو رضيت ان تتطلق فانها تفقد كافة حقوقها المالية • اما اذا طلقت ضد رغبتها فلها الحق فى نفقة من زوجها لنفسها لمدة العدة ولطفلها حتى يفظم أو يبلغ العامين من عمره • ويعين مقدار النفقة (المومن) بحسب حالة الزوج المالية وبالنظر لمستوى المعيشة المحلى • ويعود كافة الاولاد من الجنسين الى أبيهم بعد الطلاق • اما الاطفال فيستطيع الاب أخذهم مباشرة بعد الفطام الذى يجب ان يقع فى نهاية العام الثانى من عمر الطفل • ويرضى بعض الآباء أن يترك اطفالهم لمدة أطول فى رعاية أمهاتهم المطلقات •

وتعود النسوة المطلقات عادة للعيش بين اهلهن ولا يرغبن فى الزواج كثيرا • فأهل الجبايش يفضلون الارامل فى الزواج على المطلقات ، لان سوء الخلق وعدم اللياقة كزوجة صالحة مفروض فى المطلقات • وتسمى

المطلقة التى تتزوج مرة أخرى (عزبة) ويقدم لها مهر لا يتجاوز فى العادة نصف ما يقدم للفتاة الباكر .

وتحترم الارملة وتعاون كثيرا من قبل أهلها وأهل زوجها على حد سواء . فان كان لها أطفال فذلك يعطيها فرصة للتزوج مرة أخرى فى فخذ زوجها المتوفى . وتستطيع الارملة ان تستمر على العيش فى بيتها كما كانت قبل وفاة زوجها أو أن تستجير بأخ لزوجها المتوفى . فلقد رفضت مثلا أرملة كريم آل ماهود ، لان لها أطفالا صغارا ، ان تعود لاهلها أو أن تتزوج مرة أخرى بعد وفاة زوجها رغم انها شابة وان كثيرا من الرجال طلبوا يدها فى الزواج . فبقيت فى بيت زوجها تعمل بجهد لكسب عيشها وعيش أطفالها الصغار . ولهذا فقد كانت تتمتع باحترام أهل زوجها وأهلها وكان الكل يحاول ارضاءها وتطمين رغباتها . ولكن الارامل اللواتى لم يخلفن أطفالا يعدن دائما الى أهلهن وتكون لهن فرص أكثر فى الزواج مرة أخرى . وعلى أهل الزوج المتوفى مسؤولية تقديم أية مساعدة تحتاجها الارملة حتى تتزوج مرة أخرى . واذا رغبت أرملة ذات أطفال ان تعيش مع أهلها فالعادة الا يمانع أهل زوجها المتوفى فى ذلك . والمفروض انها يجب ان تترك أطفالها لاهل زوجها فى مثل هذه الحالة ، ولكن الناس عادة ينظرون للارملة نظرة عطف شديد لانها منكوبة ويوافقون لذلك على ترك الاطفال معها مدة من الزمن .

الفصل الخامس

الفخذ والحمولة والعشيرة

- يعتبر أهل الجبايش أنفسهم اعضاء عشيرة واحدة هي (بنى أسد)
- وقد كانت في السابق وحدة سياسية وعسكرية تحت (مشيخة) آل خيون
- وينقسم سكان القرية تسع حمايل تنقسم كل حمولة منها الى عدد من الافخاذ •

١ - الفخذ ^(١) THE LINEAGE

ينظر للفخذ في الجبايش كوحدة اجتماعية ذات أهمية أكثر من أهمية العائلة نفسها لان الانتماء لفخذ معين أصدق للمركز الاجتماعي للفرد من الانتماء للعائلة • والاعضاء الفعالون في الفخذ هم رؤوس العوائل التي يتكون منها ذلك الفخذ • ويتكون الفخذ من الذكور والاناث المتحدرين عن طريق النسب الابوي من جد عاش قبل ستة أو سبعة أجيال • ويتنسب اعضاء الفخذ الواحد لبعضهم ولجدهم مؤسس الفخذ عن طريق النسب الأبوي Patrilineal descent • ولكن النسبة العالية لحدوث الزواج داخل الفخذ Lineage endogamy تعني ان التفريق بين الانتساب أبويا Agnation والانتساب عن طريق الاب أو الام معاً Cognation لا يتفق وتكوين

(١) يسمى الفخذ باكثر من اسم واحد • فبجانب لفظة الفخذ يطلق عليه غالبا (لحمة) أو (خشبة) • ومن الجدير بالملاحظة ان العرب تطلق على اقسام القبيلة اسماء اعضاء الجسم مثل البطن والفخذ ، رمزا الى أن تماسك القبيلة يشبه تماسك اعضاء الجسم البشري •

الفخذ القائم على أساس أبوى^(١) . وهناك فخذ أو فخذان في القرية عمرها أربعة أجيال^(٢) فقط نتيجة لانقسام Fission حديث الوقوع . وكتيجة (للكتابة)^(٣) قد يحتوى الفخذ على بعض الافراد أو على عوائل تنسب لغير مؤسس الفخذ الذى يتسب له أعضاء الفخذ الاصليين .

ويوجد فى الجياش تسعة وثلاثون فخذا ، تراوح فى سعتها من خمسين الى مائتى شخص . ويتوقف حجم الفخذ ، بغض النظر عن عوامل أخرى ، على عدد الغرباء المنظمين اليه بـ (الكتابة) . وتنقسم الافخاذ الكبيرة الى أقسام Sub-lineages يتسب كل قسم منها الى ابن من أبناء مؤسس الفخذ . ولا تملك الافخاذ الاخرى هذه التقسيمات الداخلية التى تربط عوائلها بجماعات أو كل داخل بناء الفخذ .

وتعيش الافخاذ بصورة اعتيادية متكاملة كل فى إقليم واحد منفصل ، يحتل أعضاؤه جزرا متقاربة ، ويزرع قطعة واحدة أو قطعا متجاورة من الارض . وتمتلك الحمايل وليس الافخاذ الحقوق الاقليمية Territorial rights فى اراضى السكنى فى القرية . والتراحم والضغط على جزر السكنى كبير ولكنه لا يمنع بذاته الافخاذ من الانفصال عن حمايلها متى تدعو الضرورة والتفتيش عن جزر لتقطن عليها فى أقاليم حمايل أخرى . وفى أغلب الحالات التى ينشد فيها أفراد فخذ من الافخاذ العيش فى إقليم

(١) حين يكون النسب ابويا مع عدم وقوع زيجات بين رجال وفتيات من الفخذ نفسه ، ينقسم الفخذ كله عندئذ الى قسمين متميزين ؛ الزوجات الغربيات وبقية اعضاء الفخذ الذين ينتسبون لبعضهم ابويا Agnatically . اما حين يتزوج رجال الفخذ بفتيات منه فان اعضاء الفخذ المولودين نتيجة لهذه الزيجات ينتسبون لآبائهم ولاخوالهم الذينهم اعمامهم بنفس الوقت ، فيصبح النسب فى هذه الحالة Cognation مع عدم التعارض مع الاساس العام الذى يقوم عليه النسب وهو Patrilineal descent .

(٢) تعنى بالعمر هنا Depth ، وبالجيل Generation .

(٣) (الكتابة) هى اندماج شخص أو اشخاص أو قسم من فخذ وربما فخذ بأكمله بفخذ أو حمولة عن طريق التبني وبعد كتابة وتوقيع وثيقة خاصة . انظر ما بعده .

حمولة غير حمولتهم الاصلية يترتب عليهم ان (يقيدوا) بصورة رسمية ،
أى ان ينضموا بالتبني الى الحمولة التى سيعيشون معها فيصبحوا جزء منها •
ولذا فوجود فخذ فى أرض حمولة غير حمولته ، أصيلة أو متبنية ، غير
اعتيادى • وكانت فى الجبايش أربعة أفخاذ فقط تعيش فى أرض لحمايل
لا تتسبب اليها أصلا أو عن طريق التبني وهى :

١ - **البو مسعود** : وهم أصلا من حمولة الحدادين وقيدوا فى عام
١٩٤٧ مع حمولة آل الشيخ ، ولكنهم الآن يسكنون فى اقليم حمولة آل
ونيس •

٢ - **البوزهرون** : وهم من حمولة آل الشيخ ولكنهم يعيشون الآن
فى اقليم حمولة آل عيسى •

٣ - **البخاترة** : وهم من حمولة آل الشيخ ولكنهم يعيشون الآن على
انفراد قرب حمولة آل لمبر •

٤ - **آل هجول** : وهم من حمولة الحدادين ويعيشون الآن مع
حمولة آل خاطر •

وثلاثة من هذه الافخاذ الاربعة من حمولة آل الشيخ وهى الحمولة
التى تتمتع بارتفاع اعتبار فى القرية فلا يقيد أفرادها ، بسبب ذلك الاعتبار ،
مع حمايل أخرى بل على العكس ينشد الآخرون التسجيل معهم والانضمام
اليهم • والفخذ الرابع يعيش مع حمولة آل خاطر وهم (معدان) فى الاصل ،
ولذا فلا يرضى أحد من بنى أسد أن يسجل معهم •

وقد يكون سبب هذه التنقلات بين الافخاذ وأقسامها نمو الفخذ نفسه
أو نزاع أو خصام بين شيوخه • وتحدد ندرة الجزر فى القرية التقل
والحركة بين الافخاذ وأقسامها وتقضى على الرغبة فى الانقسام ، فتضطر
المجموعة الغاضبة أو المثألة الراغبة فى الانفصال على الاستمرار على العيش
فى مكانها بين حمولتها ، فتزداد فرص الصلح والترضية بين الجانبين
المتخاصمين •

ويوحد أعضاء الفخذ الواحد الذين يشعرون بانهم أخوة ويصفون أنفسهم دائما بانهم (خَوَان) و (أولاد عم) تماسك قوى • فاللفظة (عمى) تستعمل باوسع مما وضعت له اصلا وهو أخ الاب ، فتطلق على كل رجل فى الفخذ من نفس جيل أب المتكلم • وتحترم كافة نساء الفخذ كاحترام الامهات وتحب بناته وشبابه كآخوات وأخوان • ويشعر كل فرد من أفراد الفخذ بصورة شخصية بكل اهانة أو أذى يصيب أى عضو من اعضائه • ويتصرف الفخذ كوحدة فى كل علاقة له مع الخارج ؛ كالنزاعات والتعويضات والاعمال الاجتماعية Communal work • ففى النزاعات مع اعضاء فخذ آخر يشعر كل فرد فى الحمولة بأنه مسؤول عن النزاع ومتصل به بقدر ما يفعل الشخص أو الاشخاص الذين يهتمهم الامر • ويعاضد كل فرد من الفخذ قريبهم المتنازع حتى لو كان معتديا ويناصرونه ظلما أو مظلوما ، رغم أن شيوخ الفخذ قد يلومون المعتدى سرا ويوبخونه •

ويتحمل أفراد الفخذ (الفصل) لاية جريمة يقتربها أى عضو فى الفخذ ضد عضو فى فخذ آخر من نفس حمولته • وبالإضافة الى هذا فعلى أفراد الفخذ ان يشاركوا مع أفراد الافخاذ الاخرى لحمولتهم فى دفع التعويضات عن جرائم يرتكبها عضو فى حمولتهم ضد شخص من الحمايل الاخرى فى العشيرة • وهناك جرائم معينة يتحمل الفخذ وحده ، رغم اقترافها خارج الحمولة ، دفع فصولها^(١) •

والعمل الاجماعى مجال آخر لاظهار وحدة الفخذ والتعبير عنها • فاذا ما أراد الفخذ ان يساهم بعمل يؤدي للحمولة أو للحكومة فان رجال الفخذ يتصرفون كوحدة حيال الافخاذ الاخرى • ففى بناء مضيف لرئيس الحمولة مثلا ، يأخذ كل فخذ على عاتقه جزء من العمل كالتعهد بركز وشد وتغليف زوج من الاعمدة القصية (الشباب) مثلا ، ويتنافس رجاله مع رجال الافخاذ الاخرى لانهاء العمل باقصر وقت وعلى أحسن وجه • وفى

(١) سيأتى بحث (الفصول) والتعويضات فى هذا الفصل •

حادثة معينة طلب مدير الناحية من أحد أفخاذ حمولة آل الشيخ ان يقيموا سدا من القصب عند مصب گرمة الغميجه في النهر . فرفض الفخذ القيام بذلك العمل فألقى مدير الناحية القبض على بعض رجال ذلك الفخذ وأودعهم الموقف . وبعد بضع ساعات حضر دار الحكومة كل رجل من أعضاء الفخذ كان في القرية حينذاك وطلبوا من مدير الناحية اما أن يطلق سراح الموقوفين أو ان يضعهم جميعا في الموقف مع رفاقهم . ولقد قالوا في مناقشتهم مع مدير الناحية بوضوح وتكرار : « لماذا يتحمل هؤلاء الرجال القلائل وحدهم المسؤولية التي تقع على كاهل كل واحد منا ؟ (احنه لحمة وحدة) » .

ووحدة الفخذ في الامور الداخلية الخاصة به ، كالزواج وبعض الالتزامات الاقتصادية ، ظاهرة وتعاون أفرادها قوى وفعال . فشيوخ الفخذ يسيطرون على زيجات كافة اعضائه خاصة ان كان الامر يتعلق بتزويج فتاة من الفخذ خارجه . فعلى الرجل من الفخذ التزام قوى ان يتزوج ابنة عمه . وعندما يكون عمه بلا بنت في سن الزواج ، في تلك الحالة فقط ، يجوز للرجل ان يفتش لنفسه عن زوجة من بين العوائل الاخرى في فخذ . فان حدث وكان الفخذ بلا بنات قابلات للزواج فلمفروض فيه ان يوسع دائرة بحثه الى الافخاذ الاخرى من حمولته . فان فشل في ايجاد زوجة لنفسه في حمولته فعندئذ فقط يستطيع ان يفتش عن واحدة من بين الحمائل الاخرى للعشيرة . ونسبة الزيجات خارج الحمولة واطئة جدا ، وقرابة خمسين في المائة فقط منها خارج الفخذ . وبين المائة وعشرين عائلة كان (١١٨) رجلا قد تزوج من (١٦٤) زوجة (٦٣) زوجة منها (٣٨٤ /) كن بنات عم لازواجهن و (٢١) زوجة (١٢٨ /) كن نساء من نفس أفخاذ أزواجهن ، غير بنات العم الآنف ذكرهن . وعلى هذا فتكون (٨٤) زوجة من الـ (١٦٤) ، أي (٥١٢ /) نساء من نفس أفخاذ أزواجهن . وكانت (١٨) زوجة (١١ /) من حمائل أزواجهن ولكن لسن من نفس الفخذ و (٣٣)

واحدة (٢٠١/٠) من العشيرة نفسها ولكن لسن من نفس حمایل
أزواجهن • و (٢٩) زوجة فقط (١٧٧/٠) كن غریبات عن القرية •
وعلى هذا فتكون :

نسبة التزوج داخل الفخذ ، Lineage endogamy ، ٥١٢/٠
ونسبة التزوج داخل الحمولة ، Clan endogamy ، ٦٢٢/٠
ونسبة التزوج داخل القرية ، Village endogamy ، ٨٢٣/٠
ويدعى (بنى أسد) ان قاعدة التزوج داخل الفخذ والحمولة والعشيرة
كانت أقوى فی السابق مما هی علیه الآن • فاتصال بنى أسد الطویل مع
الحضارات غیر البدویة خلال اقامتهم فی أماكن مختلفة فی جنوب العراق
والنفی الطویل فی ایران والاهوار الشرقیة بعد الجلاءات العسکریة بسبب
الحروب مع العثمانيين ، کل هذه لعبت دورا فی هذا التغير • فلقد استقرت
(بنى أسد) منذ ستین سنة فی قرية الجبایش وترك أفرادها الحرب والسلب
والتنقل الذی تقتضیه تلك الحیاة وانصرفوا فی کسب معاشهم الى الزراعة
وحیاكة الحصر • فادت حیاة الاستقرار هذه الى تبديل فی بعض معالم النظام
الاجتماعی فی العشيرة بما فی ذلك قاعدة التزوج داخل الفخذ والحمولة
والعشيرة •

ویشجع التزوج داخل الفخذ Lineage endogamy کثیرا وجود مهر
خاص بالفخذ Intra-lineage bride-price • فأکثر الافخاذ تعین لنفسها
مهورا اسمیة لتسهل بذلك زواج أفرادها فیما بینهم • فیینما یتراوح المهر
العادی بین ٥٠/٠٠٠ و ١٠٠/٠٠٠ دينار ، تتراوح مهور الافخاذ اعتیادیا بین
٥/٠٠٠ و ٢٠/٠٠٠ دینارا • فمهر آل خیون ١٨/٠٠٠ دینارا ومهر
آل حجبی ساری والبو مخیور ١٤/٠٠٠ دینارا فی حین أن مهر آل عویتی
٧/٠٠٠ دنانیر •

وبما أن هذا ینطوی علی خسارة اقتصادیة لاولئك الاعضاء الذین
یملکون بنات فقط ، أو الذین یجاوز عدد بناتهم عدد أولادهم ، فان المحتاجین

من أمثال هؤلاء يجازفون في بعض الاحيان في الخروج على هذه القاعدة بتزويجهم بناتهم خارج أفخاذهم ، وبذلك يعرضون أنفسهم لان يعاملوا معاملة الغرباء عن الفخذ فيما يخص المهر ان أرادوا زوجات لاولادهم من نساء فخذهم . وحتى حين يستطيع الاب الذي يزوج ابنته في فخذ بمهر اسمى أن يعوض خسارته بحصوله على زوجة لولده بمهر اسمى أيضا ، فانه يفقد بخضوعه لهذه القاعدة فرصة تلافي مصروفات طارئة أو ايفاء دين متجمع من المهر المرتفع الذي يدفع لابنته فيما لو زوجت خارج الفخذ . ومن جهة أخرى يستطيع الاب تأجيل زواج ابنه لامد غير محدود بانتظار ظروف اقتصادية ملائمة ، دون ان يترتب على ذلك نتائج خطيرة .

وبجانب المهر الخاص بالفخذ ، هناك عاملان يشجعان على التزوج بين أفرادهم . أولهما ان الابناء ليسوا مستقلين اقتصاديا وان الآباء الذين يسيطرون على اقتصاديات العائلة هم المسؤولون عن تجهيز مهور زوجات لابنائهم . ولذا فالآباء يفضلون فتيات الفخذ اللاتي يستطيعون الحصول عليهن بمهور اسمية واطئة . وثانيهما ان الاعمام يأتون بعد الآباء في السلطة ، وأن أى عضو في الفخذ من جيل الاب ينظر اليه كعم . ولذا فان الزيجات من بنات العم أو من نساء الفخذ الآخريات مرغوب فيها جدا ، لان الزوجة تعتبر أبنة لاهل زوجها . فمثل هذا الزواج لا يدخل عنصرا غريبا لجسم العائلة فتزداد فرص نجاح ذلك الزواج . ويزوج الآباء بهذه الطريقة بناتهم لرجال لهم عليهم سلطة كبيرة ويعيشون قريين منهم . وتفضل المرأة نفسها الزواج داخل فخذها خوفا من ان تساء معاملتها ان هي تزوجت بين أناس غرباء عنها وبعيدا عن أهلها . ويرفض بعض الرجال تزويج بناتهم خارج الفخذ على أساس ان الزواج داخل الفخذ يجعل بناتهم أقل تعرضا للطلاق أو لان يصبحن صرات بزيجات تالية .

ويحق لكل رجل في الفخذ ان ينهى عن تزويج أية فتاة في فخذ

خارج الفخذ • ويسمى هذا الحق (النهوة) الذى كان قبالا مصدرا لكثير من المشاكل • فكان رجال الفخذ يطالبون بتعويضات عندما تهمل حقوقهم • كما كانت الفتيات يتركن سنين عدة ؛ ينهى الراغبون فيهن عن الزواج بهن ولا يقدم الناهون على الزواج بهن • كما أسيء استعمال هذا الحق فى بعض الحالات ، لغرض الحصول على شىء من المال لقاء تنازل صاحبه عنه • وكان هذا الحق يخول الناهى فى الماضى ان يقتل كل من تسول له نفسه ان يتزوج ، رغم النهوة ، المرأة التى تعتبر زوجته فى المستقبل • واذا ما نهى شخص فلم يعر أقاربه نهية اهتماما فقد يترك فخذ ، و (يدك) عليهم مطالبا بحقه • فيأتى الناهى فى الليل فيطلق بضعة عيارات نارية من بندقيته فى الهواء ويصيح من مسافة بانه جاء ليذكرهم بحقه ، فان لم يبادروا للاعتراف بذلك الحق فانه سيأتى بعد أمد وجيز مرة أخرى ليوثق بهم ضررا أو يلحق بهم أذى حقيقيا • والمفروض بمن يخصهم الامر ان يذهبوا له بوفد (مشية) ليلطفوا خاطره ويعتذروا منه • وقد تقدم له ، فى بعض الحالات هدايا من الالبسة • وبعد حادثة (نهوة) وقعت فى الجبايش قبل خمسة عشر عاما شعرت (بنى أسد) بالمساوىء التى تنطوى عليها هذه العادة والاستغلال السيء الذى تستغل ، فمنع عبدالهادى آل خيون ، سر كمال حمولة آل الشيخ ، استعمالها بين حمولته ، وحث كافة حمايل بنى أسد الاخرى أن تفعل الشىء ذاته ، فوافق الكل ووقعت وثائق تنص على هذا الاتفاق • ورغم هذا يحاول البعض ان يفرضوا حقهم فى (النهوة) • غير ان السراكيل والحكومة لا يتساهلون فى ذلك • وتتخذ الحكومة اجراءات شديدة على شكل ضمانات مالية من الذين يحاولون منع تزويج فتاة من أقاربهم • وهناك ميل عند أهل الجبايش ان توقع العوائل فيما بينها وثائق ينص فيها على إلغاء النهوة بينهم ليضمنوا ان اقاربهم لا يستطيعون ان يمنعوا زواج بناتهم فى المستقبل •

ويتعاون أعضاء الفخذ الواحد ويؤدي بعضهم لبعض خدمات كبيرة .
ففى الاعمال الكبيرة التى تحتاج لعدد كبير من الرجال ، كبناء مضيف أو
بيت ، فإن من المعتاد أن تطلب معاونة أعضاء الفخذ . وتدعى هذه العادة
(النخوة) ، ويعتبر من العيب الا يستجيب لها ، الا اذا كانت لدى الشخص
أسباب قوية تمنعه عن ذلك . والشخص الذى لا يستجيب للنخوة لن يجد
أحدا يبادر لعونه حين يحتاج العون وليس من المستطاع فى الجياش الحصول
على عمل بأجرة مطلقا . و (النخوة) واجب اجتماعى ملزم بين أفراد الفخذ
الواحد . وكون الشخص منهمكا فى العمل اليومى لكسب قوته لا يقبل كعذر
لعدم المشاركة فى (نخوة) مطلقا . وعلى هذا فإن النخوة تنطوى على خسارة
اقتصادية لمن يستجيب لها . وللمسنين والارامل وغيرهم من أفراد الفخذ
المحتاجين للعون الحق فى طلب المساعدة من أعضاء الفخذ القادرين على
القيام بالاعمال الشاقة مثل جلب العلف لماشيئهم . وعلى شباب الفخذ بصورة
خاصة واجب ملزم فى تلبية مثل هذا الطلب .

وعلى الفخذ ان يساعد والد العريس بتسرعات ومعاونات فى حفلات
الزواج ، ان كان الاب معوزا ، وباقراضه شيئا من المال ان كان المال اللازم
للزواج غير متوفر لديه . وبالإضافة الى هذا فإن على كل عائلة فى الفخذ ،
ويجب ذلك أيضا على كل عائلة فى القرية تربطها بعائلة العريس صلة ،
ان تأتى لتقدم تهانيتها وتجلب معها بعض الهدايا من السكر والسجائر
والدراهم . وتناسب هذه الهدايا مع الحالة المادية للشخص الذى يقدمها ،
ولكنها تكلف عادة بين مائة وخمسين فلسا وخمسمائة فلس . وفى صيحة
يوم الزواج يقدم الاصدقاء المقربون لعائلة العريس هدية من أكل مطبوخ
تسمى (ريوگ) يتكون عادة من الارز والدجاج وما يشبه ذلك وتكلف
بين خمسمائة فلس ودينار واحد . وتعتبر هذه ؛ السجاير والسكر والدراهم
و (الريوگ) ديونا مؤجلة بحيث اذا ما قدمت لرجل هدية من هذا النوع

فعلية ان يقدم هدية مساوية لها على الأقل في أقرب فرصة مناسبة • ويهتم أهل الجبايش كثيرا في عادة تقديم هدايا في مثل هذه المناسبات ويعاب كثيرا اولئك الذين لا يقومون بهذا الواجب ، خاصة ان كانوا مدينين • ويذلل الناس قصارى جهدهم ليؤدوا مثل هذا الواجب حتى لو أدى الامر الى استقرارهم دينا ، لان تكرار عدم القيام بهذا الواجب يؤدي الى ضياع الاعتبار الشخصي •

وفيما يلي دراسة مفصلة لفخذين من أفخاذ حمولة آل الشيخ •

فخذ آل حجي ساري :

كان هذا الفخذ قبلا يدعى فخذ (آل حلو) ، باسم والد (حجي ساري) • وعندما مات حلو ترك ثلاثة أولاد ؛ (ساري وعلي وجويد) • وكان (ساري) أكبر الاخوة وأكثرهم ثراء • ولقد استطاع ان يميز نفسه على بقية أخوته ويكون له سمعة طيبة ، ثم حج الى مكة فاضاف بهذا العمل كثيرا الى اعتباره الشخصي • فبدأ الناس منذ ذلك الوقت يدعون الفخذ (آل حجي ساري) باسمه هو •

ويتكون الفخذ الآن من خمسة أقسام Sub-lineages :

- ١ - آل عبدالسادة آل حجي ساري ، ويتكون من خمس عوائل •
- ٢ - آل عباس آل حجي ساري ، ويتكون من ثلاث عوائل •
- ٣ - آل خشان آل حجي ساري ، ويتكون من اربع عوائل •
- ٤ - آل علي آل حلو ، ويتكون من خمس عوائل •
- ٥ - بيت جويد آل حلو الذي يتكون من عائلة واحدة فقط •

يضاف الى ذلك سبع عوائل مسجلة مع الفخذ وكلها من أفخاذ مختلفة من حمولة آل الشيخ • ويبين الجدول التالي تكوين الفخذ •

الجدول رقم (٥)
تكوين فخذ آل حجي ساري

اقسام الفخذ	العائلة	رجال	نساء	أولاد	بنات	اطفال	المجموع
	١	٤	١	٢		٢	٩
	٢	١	١			٣	٥
١	٣	١	٢		١	٣	٧
	٤	٥	٤			٥	١٤
	٥	١	١	١		٥	٨
	١	٢	٦	٢	١	٤	١٥
٢	٢	١	١			٣	٥
	٣	٢	٢	٢		٨	١٤
	١	٢	٢	١		٥	١٠
٣	٢	١	١			٤	٦
	٣	١				٤	٥
	٤	١	١			٥	٧
	١	٢	٤	١	١	٢	١٠
٤	٢	٢	١			١	٤
	٣	١	١			٤	٦
	٤	٢	١			٢	٥
	٥	١	١			٢	٢
٥	١	٢	١	١	١		٥
المجموع	١٨	٣٢	٣١	١٠	٤	٦٠	١٣٧

تابع الجدول رقم (٥)

اقسام الفخذ	العائلة	رجال	نساء	أولاد	بنات	اطفال	المجموع
	١	٢	٣			١	٦
العوائل	٢	١	١	١		١	٤
الغريبة	٣	٣	٢			٢	٧
المنضمة	٤	١	١	٢	١	١	٦
للفخذ	٥	١	٣	١			٥
عن طريق	٦	٣	٣	١	١		٨
التبني	٧	١	١	١	١	٢	٦
المجموع	٢٥	٤٤	٤٥	١٦	٧	٦٧	١٧٩

ولقد كان هذا الفخذ يحوى :

- ١ - اثنتى عشرة امرأة غريبة عن الفخذ لم تدخل فى هذا الجدول
فى العوائل التى تزوجن فيها •
 - ٢ - خمس نساء من الفخذ تزوجن خارجه ولكنهن أدمجن مع
عوائلهن فى الفخذ فى الجدول •
 - ٣ - خمسة رجال متعددو الزوجات كل متزوج من امرأتين • وكانت
اربع من الزوجات غريات عن الفخذ •
- ويعيش كل آل حجبى سارى سوية فى عدد من الجزر المتجاورة ،
ويزرعون اراض تعود لرزيج آل سعيد ، سركال حمولة آل غريج ، وقطع
أخرى قليلة مجاورة لتلك الاراضى • ويبعد حجبى سارى ، مؤسس الفخذ ،
خمس اجيال عن أكثر الاحياء من اعضاء الفخذ ، وثلاثة أجيال فقط عن
المسنين منهم •

فخذ آلبو مخيور :

ان كافة اعضاء هذا الفخذ متحدرون من مخيور الذى يعد ستة أجيال عن مسنى الفخذ • ولم يكن فى الفخذ غرباء مسجلين ، وعلى هذا فكل اعضائه خلا النساء الغربيات أقرباء يرتبطون فى بعضهم عن طريق الآباء Agnatic kinsmen • ولا ينقسم الفخذ أقساما Sub-lineages لان كل عائلة تنسب الى مخيور رأسا • ويتكون الفخذ من ست وعشرين عائلة ، كما هو مبين فى الجدول رقم (٦) •

ولقد كان فى هذا الفخذ :

١ - ست عشرة امرأة غريبة لم تدخل فى الجدول مع العوائل التى تعيش فيها •

٢ - ثلاث نساء من الفخذ فقط متزوجات خارجة فادرجن فى عوائلهن بالفخذ •

٣ - خمسة رجال متعددو الزوجات ، اربعة رجال منهم تزوج كل واحد من زوجتين والخامس تزوج من ثلاث زوجات •

٢ - الحمولة THE CLAN

تتحد عدة افخاذ لتكون حمولة واحدة ، وهى مجموعة من الاشخاص يقوم التماسك بين أفرادها على أساس ادعاء نسب عام موحد • ويمكن ان تعتبر الحمولة كفخذ كبير^(١) Maximal lineage يكون الفخذ الذى وصفته سابقا اجزاء كبيرة فيه • ولكننى أميل الى تسميتها حمايل Clans عوضا عن افخاذ لان أواشج القربى بين المجموعات التى تتكون منها (ما سميناه افخادا) اما غير معروفة أو ان كانت معروفة فغير قوية ولا تعار أهمية • والحمولة

(١) يقسم بعض علماء الانثروبولوجى الفخذ الى :

Maximal, Major, Minor, Minimal.

الجدول رقم (٦) تكوين فخذ آلبو مغيور

المجموع	اطفال	بنات	اولاد	نساء	رجال	العائلة
٧		١	٢	٢	٢	١
٦				٤	٢	٢
١٤	٥	١		٢	٦	٣
٥	٢			٢	١	٤
٤	٣				١	٥
١١		١	١	٦	٣	٦
١١	٤	١		٤	٢	٧
٦				٦		٨
٧				٥	٢	٩
١٣	٤			٤	٥	١٠
٨	١			٤	٣	١١
٢		١			١	١٢
٥	٢		١	١	١	١٣
٥	٢			١	٢	١٤
٦	٣		١	١	١	١٥
٤	٢				٢	١٦
١٠				٥	٥	١٧
٦			٢	١	٣	١٨
٥	٢		١	١	١	١٩
٨	٥	١		١	١	٢٠
٨	٣			٣	٢	٢١
٦				٤	٢	٢٢
١٢	٣			٤	٥	٢٣
٢				١	١	٢٤
٤	٢			١	١	٢٥
٨	٤	١	١	١	١	٢٦
١٨٣	٤٧	٧	٩	٦٤	٥٦	٢٦

مجموعة اقليمية Territorial group ، تتراوح في حجمها من (١٥٥) الى (٤٥٠٠) شخصا • ويبين الجدول رقم (٧) حمايل الجبايش وافخاذها مع نفوس كل منها •

الجدول رقم (٧)

حمايل وافخاذ الجبايش وسكانها

أفخاذها	عدد سكانها	الحمايل
١ - آل سوّاد	٤٥٠٠	١ - آل الشيخ
٢ - ابو زديو		
٣ - آل ضمد		
٤ - ابو عايش		
٥ - ابو مخيور		
٦ - ابو هميل		
٧ - ابو عبيدالله		
٨ - ابو مخيمر		
٩ - آل عويتي		
١٠ - الدليفين		
١١ - البخاترة		
١٢ - ابو زهرون		
١٣ - آل خزام		
١٤ - آل راهي		
١٥ - آل روفه		
١٦ - آل حجي ستاري		
١٧ - آل شياع		

تابع الجدول رقم (٧)

أفخاذها	عدد سكانها	الحمايل
١ - آل حجي يعكوب ٢ - آل هلال ٣ - آل حمودي ٤ - آل الشارع	١٢٦٣	٢ - آل غريج
١ - بيت رشيدة ٢ - ابو عيدي ٣ - آل شيخ علي ٤ - آل هجول ٥ - آل حجي ٦ - بيت شنين	١٢٠٠	٣ - الحدادين
١ - آل خاطر	٧٧٣	٤ - آل خاطر
١ - آل عبدالمير ٢ - آل عبيد	٦٢٥	٥ - بني عسجري
١ - آل عيسى ٢ - آل الصعية ٣ - آل عتاب	٤٨٧	٦ - آل عيسى
١ - آل حجي عبدالله ٢ - آل شهب ٣ - الطرشان	٤٥٠	٧ - آل ونيس
١ - آل لمبر	٣١٥	٨ - آل لمبر
١ - آل ويس ٢ - بيت محمد آل راشد	١٥٥	٩ - آل ويس
٣٩ المجموع	٩٧٦٨	

ولا يميز افخاذ الحمولة الواحدة بعضها عن بعض تفضيل طبقى على اساس الوراثية أو القدم أو ما يشبه ذلك . ولكن مركز الافخاذ ونفوذها فى المجتمع يعتمد على العدد الفعلى لاعضاء الفخذ قبل أن يعتمد على أية عوامل اخرى . وهذا يفسر استعداد الافخاذ لتبنى الغرباء وضمهم اليهم . الا اذا كانت المجموعة التى تريد الانضمام الى حمولة ما كبيرة فى حجمها ، فستطيع عندئذ ان تطلب السماح لها بالابقاء على شخصيتها وان تعتبر فخذاً مستقلاً قائماً بذاته فى الحمولة التى ستضم اليها . والتماسك بين اعضاء الحمولة الواحدة اقل واضعف مما هو بين اعضاء الفخذ ، ولذا فان انفصال فخذ كامل عن حمولة وانضمامه لآخرى اكثر حدوثاً من انقسام فخذ على نفسه وانضمام جزء منه لفخذ آخر .

وتحمل اربع حمايل فى القرية وهى حمولة (آل الشيخ) و (وآل عيسى) و (آل ونيس) و (آل ويس) اسماء مؤسسيها ؛ (شيخ وعيسى وونيس وويس) ، وهم اربعة من اخوة خمسة كانوا أجداد الحمائل^(١) الاصلية لعشيرة بنى اسد . وأصل هذه الحمائل الاربع معلوم لا يقبل النزاع ، ولكن يصعب الاتفاق على رأى واحد بصدد الحمائل الخمس الباقية وهى (آل غريج) و (الحدادين) و (وآل خاطر) و (بنى عسجرى) و (آل لمعر) . فهناك اختلاف شديد فى الرأى حول هذه القضية ، ولكن أكثر الآراء قبولاً واقربها للصحة هو رأى عبد الهادى آل خيون وهو راوية موثوق به ويعتمد عليه فى مثل هذه الموضوعات . ورأيه ان :

- ١ - (آل غريج) غرباء عاشوا تحت رعاية (بنى اسد) وحمايتهم . واصلهم غير معروف ولكن المعتقد ان فخذاً واحداً منهم فقط وهو (آل الشارح) يتسبون لـ (بنى اسد) .

(١) الحمولة الخامسة « آل عباس » وتحمل اسم مؤسسها (عباس) تسكن (الخرفية) وهى تبعد عدة اميال شرق الجبايش .

- ٢ - (الحدادين) ليسوا من (بنى أسد) وأن اصلهم غامض .
 ٣ - (آل خاطر) غرباء وهم من عشيرة (بنى معرف) وكانوا قد تسجلوا مع (بنى اسد) ثم اصبحوا بعد ذلك حمولة مستقلة من حمايلها .
 ٤ - (بنى عسجری) يتسبون لـ (بنى خيگان) ومسكنهم الاصلى سوق الشيوخ . وكانوا اصلا يعرفون باسم (عساجرة) .
 ٥ - المعتقد أن (آل لمبر) كانوا من (بنى اسد) اصلا ولكنهم الان رغم انهم يعيشون معهم فى القرية فانهم لا يشتركون معهم فى الفصول .

ورغم ان اعضاء الحمولة الواحدة لا يشعرون بروابط قوية تربطهم ببعضهم فانهم مع هذا ينظر بعضهم لبعض كاقرباء . وتظهر الحمولة تماسكا قويا جدا مع الحمايل الاخرى للعشيرة فى امور خطيرة كالحرب ودفع التعويضات والنزاعات . واذا مات فرد من الحمولة فان مسؤوليتها ان تقدم المساعدة لعائلة المتوفى اما عن طريق جمع المعونة المالية لنقل جثمان المتوفى الى مدينة النجف أو عن طريق تقديم ثلاث وجبات غذاء مكونة من الرز واللحم نيابة عن عائلة المتوفى فى ايام الفاتحة الثلاثة لكل الذين يأتون لتقديم تعزيتهم لتلك العائلة . فان اختارت عائلة المتوفى الطريق المألوف وهو ان تتكفل هى بنقل الجثمان الى النجف ، فان الحمولة كلها تقسم نفسها ثلاثة اقسام يتحمل كل قسم مصروفات يوم واحد من ايام الفاتحة الثلاثة . ويقدم الافراد الذين يأتون الفاتحة ، ان كانوا من عوائل الحمولة نفسها أو من العوائل الاخرى التى تربطها بعائلة المتوفى أو أحد افراد عائلته صلة صداقة ، هدايا من قهوة وسجائر تكلف عادة بين مائتين وخمسين وسبعمئة وخمسين فلسا . اما المقتدرون ماليا فيقدمون (ذبيحة) تكلف قرابة ثلاثة دنانير .

ويحترم اعضاء الحمايل الكبيرة القوية ويخافون . فلم يعرف فى الجبايش مثلا ان أهين أو هدد عضو من حمولة آل الشيخ من قبل عضو من حمولة اخرى ، لان حمولة آل الشيخ اكبر واقوى حمولة فى القرية . ولا

يمكن أن يرفض طلب افراد مثل هذه الحمايل الكبيرة القوية فى الزواج من
حمايل اخرى • ومرد هذا للتقاليد القبلية القديمة حين كانت القوة العسكرية
المقياس الوحيد للاعتبار الاجتماعى •

وتتمتع الحمايل المختلفة فى القرية بمراكز اجتماعية مختلفة بحسب
حجمها واصلها • فأكثر الحمايل احتراماً هى الحمايل الاربع التى تتسبب
للأخوة (شيخ) و (عيسى) و (ونيس) و (ويس) ، وهم انفسهم يتسبون لـ
(أسد) • وبين هذه الحمايل الاربع تتمتع آل الشيخ بأوفر قسط من
الاحترام وأعلى مركز اجتماعى ، ليس لكبرها وفرط قوتها فحسب ، بل لان لها
اتصالاً وثيقاً بآل خيون بيت الرئاسة الذى يحكم العشيرة • فلقد كان شيوخ
العشيرة يعتبرون آل الشيخ بطانة لهم ويعينون من بينهم وكلاءهم وخدمهم
وحرسهم الخاص • ولذا فقد ازدادت قوة هذه الحمولة وازداد كذلك عدد افرادها
نتيجة لتسجيل عدد من الجماعات والأقسام من حمايل أخرى • وتختلف
الحمايل الخمس فى الاعتبار بحسب سعتها وعدد افرادها • فكلما ازداد عدد
افراد الحمولة سما مركزها فى المجتمع • ولكن هناك استثناءين لهذه القاعدة
هما حمولة (آل غريج) وحمولة (آل خاطر) • ف (آل غريج) ثانى
حمايل القرية سعة ولكنها أعطها مركزاً لغموض أصلها ولان أعضائها يزاولون
مهننا محترمة^(١) • أما مركز حمولة (آل خاطر) فواطئ لانهم أصلاً
(معدان) ، و (المعدان) ذوو نسب محترق • وان بعض افراد هذه الحمولة
ما زالوا يربون الجاموس ويحتفظون به خارج القرية •

٣ - العشيرة

كانت العشيرة فى الجبايش قبل عام ١٩٢٤ وحدة سياسية واجتماعية •
وكانت نواتها الحمايل الاربع التى تتسبب الى مؤسسيها الأخوة الاربعة الذين
هم من نسل (أسد) مؤسس العشيرة وجدها الأكبر • وكانت العشيرة
(١) بصدد المهن المحترمة راجع الفصل السادس عشر فى الجزء الثانى •

تحتوى ، بجانب هذه الحمايل الاربعة ، عددا من فصائل واقسام من عشائر وحمايل استولت عليها (بنى اسد) بالقوة أو ضممتها بالتبني اiban غزواتها وحملاتها العسكرية فى احوار الفرات . وبعد ذلك أدعت بعض هذه الفصائل والشراذم نسباً لـ (بنى اسد) نفسها فى حين ابقى بعضها الآخر على نسبه . وكانت (بنى اسد) قبيلة بدوية هاجرت من الجزيرة العربية قبل اكثر من ثلاثة عشر قرناً خلت واستوت فى عدد من المناطق مكونة عدة وحدات سياسية ودويلات قبل ان تضطر على اتخاذ منطقة الجبايش موطناً بعد أن دحرها جيرانها . وتبنت قبيلة (بنى اسد) البدوية فى هذه الفترة وخاصة حين سبقت الى الهور عددا من مجموعات وفصائل من قبائل وحمايل مختلفة ، بعضها من اصل بدوى وبعضها الآخر من أصل (معدان) واحتضنتها . وبذلك ازدادت قوتها العسكرية . والى أن ألغيت المشيخة فى عام ١٩٢٤ ، كانت العشيرة وحدة سياسية مكونة من هذه المجموعات المتنافرة تحت سلطة وسيطرة الشيخ الذى كان قائدها العسكرى .

ولا وجود للعشيرة اليوم كوحدة سياسية واجتماعية ، فلقد انحلت ثم تلاشت بالمرّة بعد الغاء المشيخة . فالحمايل كلها اليوم تحكم كوحدات مستقلة من قبل السراكيل تحت السيطرة التامة للحكومة المركزية . واهل الجبايش لا يشعرون بوجود العشيرة وكنتيجة لهذا فقد انفصلت بعض الحمايل وصارت تتصرف كوحدات مستقلة فى دفع فصولها وفى امور اخرى . والحروب العشائرية ، وهى المجالات التى تتصرف فيها العشيرة كوحدة ، لا يمكن ان تقع فى هذه الايام . وكانت الحرب الوحيدة التى وقعت بعد الغاء المشيخة هى حرب (ابو عجاج) ، بين عشيرتى (بنى أسد) و (آل حسن) القاطنة فى (گرمه بنى سعيد) بسبب نزاع حول ارض فى عام ١٩٤٥ . ولقد تصرفت الحكومة فى تلك الحرب بحزم فسحقت الحركة واعادت النظام الى نصابه وعاقبت الطرفين بشدة . ولقد هبت فى هذه الحرب كافة الحمايل فى

القرية كرجل واحد وفزع كل رجل بالغ بما فى ذلك الشيوخ الى ميدان القتال بغض النظر عن الاصل أو النسب ، تحت تأثير الدعاية والاثارة التى نشرها وسببها شيخ العشيرة السابق الذى كان موجودا فى ذلك الوقت فى القرية^(١) .

ان معنى لفظة عشيرة غير واضح الان فى اذهان اهل الجبائش خاصة فى اذهان الجيل الجديد ، لدرجة يلاحظ معها وجود خلط ظاهر بين معانى لفظتى (عشيرة) و (حمولة) اللذين يستعملان بغير ما دقة أو تحديد . فهم يتحدثون عن حمولتهم Clan كعشيرة Tribe ، ويقسمونها الى حمايل وافخاذ وعوائل . وبجانب الغاء المشيخة ساعد عاملان آخران على هذا الانحلال والانفراط . اولهما ان فصائل كثيرة من العشيرة تركت القرية لتعيش فى اقسام اخرى من القطر بسبب الحروب والجلالات العسكرية والصعوبات الاقتصادية . وثانيهما ان آل خيون ، وهم بيت الرئاسة ، كانوا شديدى الرغبة لاغراض عسكرية فى زيادة اتباعهم من (بنى اسد) فأدخلوا فى العشيرة فصائل من حمايل وعشائر كثيرة ، معدان وغير معدان ، اصبحوا جميعا يعرفون فيما بعد باسم (بنى اسد) . وحالما حطمت القوة التى كانت تلم شعث هذه الاشتات المتنافرة ، استقل الذين كانوا يعيشون خارج القرية استقلالاً ذاتياً وظلت الحمائل التى كانت تعيش فى القرية نفسها قائمة لا تتصل ببعضها الا بروابط واهية اسمية .

وهناك حمولة كاملة وعدد من الافخاذ وفصائل من حمايل من عشيرة (بنى اسد) تعيش خارج الجبائش . ويبين الجدول رقم (٨) الحمائل والفصائل المختلفة للعشيرة التى تعيش داخل وخارج الجبائش .

(١) راجع الفصل الثامن .

جدول رقم (٨)
مواطن بنى أسد

المواطن الثانوى	أفخاذ وأقسام من الحمولة تعيش خارج الموطن الرئيسى للحمولة	الموطن الرئيسى	الحمائل
المواجد الدين ابوسوبات الدين ابو سيابة جربة علي	السريجات الحجيميين السوارى البو شيب العواجى أقسام مختلفة من أفخاذ الحمولة	الجبايش	١ - آل الشيخ
		الجبايش	٢ - آل غريج
ابو سوبات قرب الجبايش • الجلعة على الحافة الجنوبية لهور الحمار •	فصائل من الحمولة آل رشيدة	الجبايش	٣ - الحدادين
الجرباسى على الضفة الجنوبية لهور الحمار، والدين وجربة علي	فصائل من الحمولة	الجبايش	٤ - آل ونيس
جربة علي	فصائل من الحمولة	الجبايش	٥ - آل عيسى
جربة علي	فصائل من الحمولة	الجبايش	٦ - بنى عسجرى
		الجبايش	٧ - آل ويس
		الجبايش	٨ - آل خاطر

تابع الجدول (٨)

الموطن الثانوى	أفخاذ وأقسام من الحمولة تعيش خارج الموطن الرئيسى للحمولة	الموطن الرئيسى	الحمائل
		الجبايش	٩ - آل لمبر
		الخرفية	١٠ - آل عباس
		حراوية	١١ - المواجد
		الهور المحيط فى الجبايش	١٢ - نواشى
الهور فى الجنوب الغربى لايران شرق أهوار العمارة مباشرة			١٣ - فصائل أخرى من بنى أسد

٤ - (الكتبة) و (الفصل)

من المفيد الان ان نرجع الى نظامين عشائريين هما (الكتبة) و (الفصل) لان كليهما ضرورى لفهم الحمولة والفخذ فهما كاملا •

ف (الكتبة) ، والكلمة مأخوذة من الكتابة ، تستعمل اصطلاحا بمعنى تبنى عائلة أو أكثر أو فخذ كامل من قبل فخذ أو حمولة أخرى ، وتوثق عملية التبنى بكتابة وثيقة تسجل هذه العملية • ويمنح التبنى العائلة أو المجموعة أو الفخذ عين الامتيازات ويلقى عليها نفس التبعات التى للجهة المتبنة • فيصبح المتبنى مساويا تماما للمتبنى وجزء منه • واسباب مثل هذا التبنى مختلفة كما يبدو انه حدث على نطاق واسع فى الماضى القريب ، لدرجة ان كثيرا من الافخاذ الحالية ، وحتى حمائل من (بنى اسد) كانت تعود اصلا الى افخاذ وحمائل وعشائر أخرى •

عندما كانت الحروب القبلية منتشرة وذات آماذ طويلة فى الماضى ،
لجأت كثير من الفصائل الضعيفة من عشائر اخرى الى عشيرة (بنى اسد)
القوية لتعيش تحت حمايتها ثم انصوت تحت لوائها واندمجت فيها عن طريق
التبنى . وبما ان هذا الاندماج حدث منذ زمن طويل ، وبما ان الانتساب
لاصل غريب يؤثر على الاعتبار الاجتماعى للفخذ أو الحمولة المختصة ، فان
من غير السهل ان نميز بوضوح بين من دخلوا عشيرة (بنى اسد) عن طريق
التبنى ومن كانوا اصلا ينتسبون اليها . ورغم هذا فمعروف عن كثير من
الافخاذ والحمائل انها غريبة ، كما راينا .

لقد حصلت فى السنوات الاخيرة ، خاصة بعد سنة ١٩٢٤ ، حركة
واسعة للتبنى بين الافخاذ واقسامها . ومن المهم ذكره هنا ان اغلب الافخاذ
والعوائل التى كان عليها ان تترك حمائلها لتندمج فى اخرى كانت تتشد
الاندماج بحمولة (آل الشيخ) ، ولم يتبن واحد من افخاذ هذه الحمولة
حمولة اخرى مطلقا . وسبب هذا ، مركز حمولة (آل الشيخ) الرفيع
بالقياس لبقية الحمائل . وهناك بعض الحالات التى تركت فيها افخاذ أو
فصائل من افخاذ حمائلها لتندمج عن طريق التبنى مع أحد افخاذ حمولة
(آل الشيخ) طلبا للمزيد من الاعتبار الاجتماعى ، ولكن يبدو ان هناك دائما
سببا آخر مع الرغبة فى الاستزادة من الاعتبار . ولا توجد حمولة ترغب فى
ان يقطع من جسمها فخذ أو جزء كما لا تقبل الحمولة التى يطلب الفخذ أو
الفصيلة الاندماج فيها ، ذلك الفخذ أو الفصيلة رأسا أو ترحب به كثيرا ما لم
يثبت لها ان الفخذ أو الفصيلة مصممه على الانفصال من حمولتها وان الحمولة
الاصلية غير راغبة فى الصلح أو استبقاء المجموعة الراغبة فى الانفصال .
والاسباب الاعتيادية لترك الحمولة والانضمام لغيرها بـ (الكتبة) هى النزاع
حول الاراضى أو الفصول . وبمقدور الافراد الغرباء الذين يأتون للسكنى بين
العشيرة أن يندمجوا فيها عن طريق (الكتبة) . ويعاملون بعناية واحترام
خاصين من قبل كل افراد العشيرة لانهم يعتبرون لاجئين أو اشخاصا ضعافا

تجب حمايتهم • وكافة الافراد الغرباء فى القرية مسجلون مع أحد أفخاذ حمولة (آل الشيخ) • فهم وكذلك الاقليات والفصائل الضعيفة التى تنفصل عن حمايلها ، يحاولون عادة أن يندمجوا مع فخذ قوى من حمولة (آل الشيخ) ليحصلوا بذلك على مزيد من الحماية • فمثلا ان عوائل (الصبة) الثلاث التى تعيش الان فى الجبايش ، مسجلة مع فخذ (آل عويتى) من حمولة (آل الشيخ) ، وهو فخذ كبير كان رجاله مشهورين كقطاع طرق ولصوص •

واجراءات التبنى كما يأتى :

تذهب الجماعة المتألفة الراغبة فى الانفصال عن حمولتها الى سركال الحمولة التى تروم الانضمام اليها وتعرض عليه رغبته وتعين الفخذ الذى تريد ان (تكتب) معه • فيتذاكر السركال فى الامر مع سركال و (اجاويد) حمولة تلك الجماعة ، فان ثبت له الا سبيل للوصول الى تسوية ، يأمر السركال رئيس الفخذ الذى اختارته الجماعة لـ (يقيدهم) مع فخذه • وتكتب نسختان من وثيقة التبنى وتسلم واحدة للجماعة المتبناة واخرى تحفظ عند رئيس الفخذ المتبنى • ويوقع هذه الوثيقة الرجال الراشدون من الفخذ المتبنى مع شاهد أو اكثر • وبعد توقيع وثيقة التبنى تسجل اسماء الذكور البالغين للجماعة المتبناة فى سجل التعويضات (دفتر الموادى) وحينئذ يصبح اولئك الذكور دافعى تعويضات (ودآية) •

وفىما يلى نص^(١) وثيقة تبنى فخذ (البومسعود) من حمولة (الحدادين) من قبل فخذى (آل سواد) و (ابو زديو) من حمولة (آل الشيخ) ومن المهم ان نلاحظ ان (الكتبة) هنا جرت مع فخذين عوضا عن فخذ واحد وسبب هذا ان هذين الفخذين يتسبان لبعضهما اتسابا وثيقا جدا ويتصرفان كفخذ واحد فى أمور هامة كالتبنى •

(١) هذا النص حرفى نقل كما ورد فى الوثيقة بالضبط •

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ ١٢/٤/١٩٤٤ م

٢٠/٥/١٣٦٤ هـ

يوم الجمعة •

وجه تحرير الورقة

نعم^(١) انا المحررة اسمائنا حمولت الحاج سواد مع حمولت البسديو
قد تكاتبنا وادخلنا انفسنا بالعمّة مع حمولت ابو مسعود سيد موكر السيد
يعقوب حاج داغر الشرهان طاهر الجابر كاظم الفيل جاسم المحمد زاير
محمد الفريخ هدار العلي خان امريخ المزبان ماهود الصبر عبد الله الرداد
زيدان الزاير محمد رشيد الشريجي سلمان الحجي على الصاغر ، ندى
مداهم في موادى الذى تصير علينا أم عليهم فقد العياذ بالله من السودة على
الذى يفعلها وغير ذلك نحنو اخوان وقد حررنا هذه الورقة الصحة واشهدنا
الله وجماعة من الحاضرين [مهورّة بتسعة عشر ابهاما] •

شاهد بذلك

عباس الخيون^(٢)

شاهد بذلك

سيد ياسين السيد مهنه

والفصل تعويض يدفع بالدرهم أو النساء بصورة اجماعية من قبل
عائلة مقترف الجريمة أو فخذة أو حمولته أو عشيرته • ويمكن اعتبار الفصل
مقياسا لوحدة الفخذ والحمولة والعشيرة لانه فى كافة الجرائم باستثناء تلك
التى تسمى (السودة) و (الفسدة) تتحمل الفصل كافة العشيرة ان كانت
الجريمة قد اقترفت ضد شخص من عشيرة اخرى أو تتحملها حمولة الفرد

(١) من المعتاد فى الاوراق والوثائق التى يكتبها الكتاب المحليون فى
العشائر والقرى ان تفتتح بغير ما داع بكلمة (نعم) •
(٢) ان الوثائق الهامة كهذه يجب ان يوقعها خيونى أو سيد أو كلاهما
كشاهد •

ان كان قد اقترفها ضد حمولة أخرى من العشيرة • اما اذا كانت الجريمة قد اقترفت داخل الحمولة ذاتها فان فخذة وحده هو الذى يدفع الفصل • وتشمل (السودة) الزنى و (النهية) ومحاولة اغراء امرأة (الصيحة) وتعتبر كل هذه الجرائم مخزية وعيا ويتحمل الفرد الذى يقترف مثل هذه الجرائم وعائلته وحدهم تعويضاتها بغض النظر عما اذا كانت الجريمة قد اقترفت داخل الفخذ أو العشيرة أو خارجها •

اما (الفسدة) فهى جرائم قتل الرئيس أو عضو من نفس الحمولة أو السرقة داخل القرية • وتعتبر هذه الجرائم وامثالها تهديدا لوحدة العشيرة والحمولة ولذا فلا تشارك الحمولة فى دفع تعويضات عنها •

ولقد مر ذكر طريقة تسوية جريمة تقع فيها المسؤولية على العائلة وحدها وهى قضية النهية^(١) • ولا يترك (الخوان) فى العادة مقترف الجريمة وهم اعمامه ولهم حق مباشر فى بنات واخوات بعضهم البعض عائلة مقترف الجريمة وحيدة ، ولكنهم قد يفعلون ذلك فيما اذا كانوا قد حذروا الجاني من ارتكاب جريمته أو ان كان قد عاود ارتكاب الجريمة اكثر من مرة •

ولبنى اسد قانون مكتوب يسمى (سوانى بنى اسد) يحوى عقوبة معينة لكل جريمة محتملة الوقوع • اما الجرائم التى لا يوجد فى (السوانى) نص على عقوبتها فانها تحل بخلق قواعد تضاف كمواجد جديدة للقانون من قبل مجلس عشائرى خاص يسمى (العمرة) •

وفيما يلى نص^(٢) سوانى بنى اسد •

١ - اذا قتل الرئيس من قبل أحد افراد عشيرته عمدا تكون الدية مائة وخمسون دينارا (٢٠٠٠ روبية) أم اربع نسوان ويجلى القاتل وتؤخذ

(١) راجع الفصل الرابع •

(٢) النص منقول حرفيا كما جاء فى وثيقة محفوظة لدى سر كمال حمولة

آل الشيخ •

- اراضيه الى الرئيس مدة الجلاء^(١) .
- ٢ - اذا قتل الرئيس من قبل افراد عشيرته خطأ تكون الدية عينا كما هي عمدا فقط لا يوجد بها غيظ^(٢) .
- ٣ - اذا قتل الرئيس عمدا من قبل فرد من عشيرة أخرى تكون الدية (٣٧٥ دينار) بدون غيظ^(٣) .
- ٤ - اذا قتل الرئيس خطأ من قبل فرد من عشيرة أخرى تكون الدية (٣٧٥ دينار) بدون غيظ .
- ٥ - اذا جرح الرئيس عمدا من قبل افراد عشيرته تكون الدية نساء اثنين فقط .
- ٦ - اذا جرح الرئيس عمدا من قبل افراد عشيرة أخرى تكون الدية اربع نسوان فقط .
- ٧ - اذا اريد قتل الرئيس من احد افراد عشيرته فأخطأ الرامي تكون الدية حشم نساء اثنين ويجلي وتؤخذ اراضيه مدة الجلوة .
- ٨ - اذا كان الرامي من عشيرة أخرى فأخطأ تكون الدية حشم اربع نسوان فقط .
- ٩ - اذا قتل شخص احد افراد عشيرته عمدا تكون الدية نساء اثنين والا الف روبية (٧٥ دينار) .
- ١٠ - اذا قتل فرد من العشيرة شخص من عشيرة أخرى عمدا تكون

(١) مدة الجلاء غير محدودة ولكنها عادة سنة فما فوق ويعود القاتل بعد استرضاء أهل الرئيس بـ (مشية) أى بوفد ترضية .

(٢) أى ان الامر لا يستدعى ارسال وفد (مشية) لاسترضاء أقارب المجنى عليه

(٣) يلاحظ فداحة الغرامة التي توازي عشر نساء فى حين انها داخل العشيرة اربع نساء فقط وذلك لصيانة الرؤساء من الاعتداء الخارجى .

- الدية حسب سوانى العشيرتين المتفق عليها^(١) .
- ١١ - اذا قتل أحد افراد العشيرة شخص من عشيرته خطأ تكون الدية (٧٥ دينار) ولا عليها غيظ .
- ١٢ - اذا قتل شخص من العشيرة من قبل شخص من عشيرة اخرى خطأ كذلك (٧٥ دينار) .
- ١٣ - اذا جرح احد افراد العشيرة شخص من عشيرته تكون الدية اما امرأة حشم أو بدلها (٥٠٠ روبية) .
- ١٤ - اذا جرح شخص من العشيرة من قبل شخص آخر من عشيرة اخرى تكون الدية حسب سوانى العشيرتين بينهم .
- ١٥ - ان دية الضرب بالعصا أو المكوار اذا لم يخرج الدم تكون مشيه فقط .
- ١٦ - ان دية الضرب بالعصا أو المكوار مع خروج الدم تكون مشيه فقط .
- ١٧ - اذا هدد الرئيس من قبل أحد افراد عشيرته تكون الدية مشية من اخيار العشيرة وطلب رضاه .
- ١٨ - اذا هدد الرئيس من قبل أحد افراد عشيرة أخرى كذلك مشية من اخيار العشيرة .
- ١٩ - اذا هدد أحد افراد العشيرة من قبل احد افراد عشيرته كذلك مشية فقط .
- ٢٠ - ان دية عضاب^(٢) العين الواحدة نصف الدية والعينين دية كاملة والرجل نصف دية والرجلين دية كاملة واليد نصف دية واليدين دية كاملة والسن خمس ربيات والاصبع خمس ربيات .

(١) العادة ان تتفق العشائر المتجاورة على (سوانى) خاصة فيما بينها تحل بموجبها الجرائم التي يقتربها افراد الواحدة ضد اتباع الاخرى .

(٢) العضاب بمعنى العضو .

- ٢١ - ان دية القتل عكبة^(١) من قبل أحد افراد العشيرة تكون الدية
فصل حسب سوانى العشيرة ويجلى •
- ٢٢ - اذا كان القتل عكبة من قبل احد افراد عشيرة اخرى كذلك
فصل حسب السوانى ويجلى •
- ٢٣ - تكون دية الشخص المسير^(٢) اذا قتل دية قتل حسب الفصل
الجارى ويؤخذ للمسير حشم نساء اثنين •
- ٢٤ - تكون دية الشخص المسير من عشيرة اخرى كذلك •
- ٢٥ - اذا قتل السارق من قبل أحد افراد عشيرته تكون الدية
الجارية بدون غيظ •
- ٢٦ - اذا قتل السارق من عشيرة اخرى كذلك دية الفصل الجارى
فقط بدون غيظ •
- ٢٧ - اذا اعتدى احد على امرأة من عشيرته بالضرب والجرح
مشية واذا قتل يفصل عين الفصل الجارى ، واذا كان من عشيرة اخرى
كذلك •
- ٢٨ - اذا راود شخص امرأة تكون (صيحه) اما اذا زنى بها
بالرضى أو الاجبار كذلك تكون حشم حرمة واحدة •
- ٢٩ - ان دية السب المخجل فى الشخص كرميه بالعبودية وعدم
اتسابه الى عشيرة يكون الفصل حشم حرمة أو يدفع بدل الحرمة دراهم •
- ٣٠ - اذا كان الطعن بالعرض فى احدى محرمات الشخص كذلك
الدية حشم حرمة واحدة

(١) عكبة أى خطأ •

(٢) المسير الذى يستصحب شخصا آخر ليسير فى حمايته فاذا ما
اعتدى على الشخص المحتفى يعتبر الاعتداء اعتداء على الحامى اى المسير ولذا
يطلب (حشم) • وتسمى العادة (تسيار) •

وكانت الفصول في الماضي تدفع باستثناء فصول الجرائم الصغيرة جدا بالنساء فقط . ولكن منذ أن دخل سكان الاهوار تحت الحكم العراقي في عام ١٩٢١ بذلت الحكومة المركزية قصارى جهدها لتقضى على هذه العادة . ورغم ان كثيرا من سكان الاهوار يصرون حتى الان على ان تدفع لهم التعويضات في الجرائم الكبيرة نساء ، خاصة ان كانت الجرائم قتل ، فانهم مع هذا يقدررون مآيب هذه العادة .

ويتزوج الشخص المعتدى عليه أو اقرباؤه النساء المعطاة كتعويض له أو لاهله . ولا تؤخذ امثال هذه النسوة كزوجات رغبة فيهن ولا تطلب ايديهن من بين اصدقاء ولكنهن يؤخذن كغرامة ويتزعن من بين اعداء . ولذا فالمعتقد ان امثال هذه النسوة تساء معاملتهن من قبل ازواجهن واهلهم .

ويبدو أن منشأ نظام اعطاء النساء في التعويضات هو طلب الجهة التي يقتل فيها شخص امرأة مكانه لتلد لهم عضوا مكان العضو المقتول . ولذا فان العادة بين بعض سكان اهوار العمارة حتى الان ان امثال هذه النسوة يستطعن الرجوع الى اهلهن ان شئن ذلك بعد أن يلدن ذكرا . ومن جهة اخرى فان للجهة التي تأخذ المرأة كتعويض ان تعيدها لاهلها وتستبدلها بغيرها ان ثبت ان المرأة عقيمة . ويقول اهل الجيايش (لو أبزرت فصلت) أى لو ولدت المرأة فقد أدت الفصل ودفعته ولكن الواقع في الجيايش ان النسوة المأخوذات في الفصل لا يعدن لاهلهن بعد أن يلدن ولا يستبدلن ان ثبت انهن عقيمات .

ويكره أهل الجيايش اعطاء بناتهم كزوجات في الفصول لانهم يعتقدون ان المرأة (الفصلية) تساء معاملتها جدا وتظلم للغاية . واذا ما اسيت معاملت فتاة في القرية من قبل زوجها أو أهلها فانها طالما تقول مستكرة (شهنى خاله . أنه فصلية) . ولكن رغم هذا الشعور ورغم جهود الحكومة المركزية فان أهل الجيايش يصرون على أخذ نساء كتعويضات في بعض

الجرائم خاصة فى تلك التى تسبب خسارة الجهة المعتدى عليها لاحدى نساها .

وللجهة الطالبة للتعويض الحق فى ان تختار أية امرأة من جهة أهل مقترف الجريمة أو الجهة المسؤولة عن الدفع . فيطلب والد الفتاة التى تدفع كعويض المهر الاعتيادى وعلى الجهة المسؤولة عن دفع التعويضات ان تجمعها فيما بينها وتسلمه له . فان كانت الجهة الواجب عليها دفع امرأة هى العائلة كما فى حالة جرائم (السوده) ، وكانت لا تملك فتاة فى سن الزواج فقد تختار الفتاة من بين العوائل القريبة لها فى الفخذ كعائلة الاخ أو العم . ويختلف مقدار التعويض الواجب دفعه كثيرا بالنسبة للجريمة كما رأينا من (السوانى) . فالتعويض عن قتل الرئيس اربع نساء أو ١٥٠/٠٠٠ ديناراً وعن قتل فرد من بنى أسد امرأتان أو ٧٥/٠٠٠ ديناراً ، بينما هو عن محاولة اغراء امرأة ٣/٧٥٠ ديناراً وعن كسر سن ٣٧٥ فلساً فقط .

وحين تقترف جريمة ما فتعين عقوبتها يدفع الرجال البالغون فى الفخذ أو الحمولة (الوداية) المسجلة اسماؤهم فى (دفتر الموادى) حصصاً متساوية ليواجهوا العقوبة المفروضة . ويدفع مقترف الجريمة فى مثل هذه هذه الحالة حصة كائى فرد آخر فى الحمولة . والمعروف بين بنى أسد أن (الوداية) هم كل الرجال القادرين على حمل السلاح . ويعتبر السن الذى يصبح فيه الشاب قادراً على حمل السلاح ست عشرة سنة . ولكن اذا ما رغب أب فى تسجيل اسم ابنه قبل ان يبلغ تلك العمر فان رغبته تجاب بترحيب .

ومن الواضح انه كلما صغر حجم المجموعة المسؤولة عن دفع التعويض كلما ازدادت حصة كل فرد فازداد حملة . فحصى التعويضات فى جرائم (السوده) و (الفسدة) اعباء اقتصادية ثقيلة بصورة خاصة . وفى حادثة

قتل وقعت بين حمولة (آل الشيخ) فى نيسان عام ١٩٥٢^(١) ، حكم على فخذ آل حجي سارى ، فخذ الرجال الاربعة المتهمين باقتراف القتل ، ان يدفعوا قرابة ٦٠٠/٠٠٠ دينار كتعويض عن القتل وعن تكاليف الدعوى وأجور مداواة للشخصين اللذين جرحا فى الحادث • وكان (وداية) فخذ آل حجي سارى اثنين وثلاثين شخصا فكانت حصة كل (ودای) حوالى ١٩/٠٠٠ دينار • وكان على بعض عوائل الفخذ ان تدفع كل واحدة منها ثلاث حصص تبلغ حوالى ٥٧/٠٠٠ دينار • وترتب مثلاً على مطلقك آل حسان ، أحد أعضاء هذا الفخذ ، ان يدفع عن نفسه وعن ولده حصتين تبلغ قرابة ٣٨/٠٠٠ دينار وهو مبلغ أكبر جداً من ان تدركه موارد مطلقك وامكانياته الاقتصادية • ولقد أخبرنى بانه لن يستطيع ايجاد وسيلة لدفع هذا المبلغ فيما لو نفذ الحكم بغير ان يبيع بقراته الثلاث وان يستقرض ديون جديدة •

وقد يبدو ان من الممكن ان تتعادل الخسارة التى تقع على أفراد الفخذ أو الحمولة نتيجة لارتكاب أفرادها جرائم بارتكاب أفراد خارجيين جرائم ضدهم أو ضد أفراد من حمولتهم • ولكن الواقع غير ذلك • فبناء على العرف العشائرى يجب أن تقسم الدراهم المستلمة كتعويض الى قسمين ، يعطى قسم لعائلة المعتدى عليه ويقسم الثانى على المجموعة ، التى لو كان مقترف الجريمة منها لدفعت هى الفصل ؛ أى الفخذ ان كان المعتدى من نفس الحمولة أو الحمولة ان كان من نفس العشيرة أو العشيرة كلها ان كان المعتدى غريباً • ورغم ان الحصة التى تستلمها العائلة دائماً كبيرة وذات قيمة فان حصة الفرد فى القسم الثانى تصبح ضئيلة تافهة خاصة اذا قسم الفصل على الحمولة أو العشيرة كلها لدرجة انها لا تستحق أن تجمع • وفى مثل هذه الحالات يستولى السراكيل على النصف الثانى الذى تستحقه المجموعة ،

(١) حادثة قتل زوجة عبودة آل سلمان وجرحه هو وابنته والتى اتهم فيها مكطوف آل خشان واخواه وولده •

ولكنهم لا يتحملون لقاء ذلك دفع شيء إذا اقترف عضو في حملتهم جريمة
تستوجب دفع التعويض • ومعنى هذا أن في الفصول دائما خسارة على الفخذ
أو الحمولة أو العشيرة في دفع غرامات عن الجرائم التي يقترفها أفرادها
وليس لهؤلاء الأفراد كسب ما يجب أن يؤل اليهم في حالة ارتكاب جريمة
ضد أحدهم يستحقون هم غرامتها •

ولقد كانت المسؤولية الاجتماعية لدفع التعويضات قبل إلغاء المشيخة
عام ١٩٢٤ عاملا عظيما في كيان الحمولة • وبما أن الحمولة الكبيرة تستطيع
توزيع حصص التعويضات بحيث يساهم كل فرد بمبلغ ضئيل فقد كان لدى
الحمايل ميل لزيادة عددها بالتبني • ولا تبيح التقاليد القبلية للحمولة أن
تتصل من تحمل مسؤولية أى عضو من أعضائها أو فخذ من أفخاذها في
حين لا يوجد ما يمنع الفخذ من تغيير الحمولة التي يرتبط بها ويدين لها
بالولاء • ولذا فإن تأثير التعويضات على العضوية في حمولة ما نافذ من جهة
واحدة فقط • أما فيما يخص الأفخاذ فلا توجد سبيل لطرد أحد أفراد الفخذ
أو لفظه ، وإن العضو لا ينفصل من أقاربه في الفخذ ما لم تكن لديه أسباب
قوية تحمله على ذلك •

الفصل السادس

الطبقات الاجتماعية

نوم بعض المجتمعات ، بدائية كانت أو متحضرة ، على أساس من طبقات اجتماعية Social classes . فتنقسم بعضها الى عبيد Slaves وأحرار Free men وبعضها الآخر على اشراف Aristocracy وعوام Commoners وعبيد Serfs ، وغير ذلك . وتقوم هذه الطبقات غالبا على أساس النسب Descent الذي تدعيه الطبقة ، أو القوة والسيطرة ، أو الثروة ، التي لها في المجتمع ، كما قد يكون ذلك الأساس هو المهنة التي يزاولها أفراد تلك الطبقة . ويترتب على وجود الطبقات في مجتمع ما اختلاف في حقوق وواجبات كل طبقة ، كما تميز كل طبقة نفسها ، في الغالب ، بتقاليد معينة وتتخذ لها ألبسة وشعارات خاصة بها . ومن أبرز ما تحيط به الطبقة نفسها من تقاليد لحفظ كيائها ودوام شخصيتها هو فرض نظام تزوج داخلي لها Class endogamy بحيث تضمن زواج رجالها ونسائها داخل حدودها . فاذا ما اقترن هذا التقليد بقيام الطبقة ذاتها على أساس النسب تصبح الطبقة عندئذ مقفولة تماما .

ومن شروط اعتبار مجتمع ما قائم على أسس الطبقات ان تكون الحواجز بين تلك الطبقات صعبة النخطة بحيث لا يستطيع فرد من طبقة واطئة ان يرتفع لآخرى أعلى من طبقته بيسر وسهولة ، وان تتصف تلك الحواجز بالدوام الزمني فلا تزول من تلقاء نفسها بعد زمن .

ويقترن نظام الطبقات الاجتماعية في مجتمع ما بالنظام الاقتصادي فيه ؛

تختص كل طبقة بنوع من الفعاليات الاقتصادية فتحاول بذلك التخصص
تميز نفسها عن الطبقات الاخرى ، أو تترفع بعض الطبقات عن مزاولة
أعمال خاصة أو قد تختص كل طبقة بمهنة معينة يزاولها كافة أفرادها ،
كما هو الحال في الـ^(١) Castes (الطوائف) في الهند .

وفي مجتمع الجايش اليوم يمكن تمييز ست طبقات اجتماعية هي :

- ١ - السادة و (الموامنة) .
- ٢ - آل خيون (بيت الرئاسة في بنى أسد) .
- ٣ - (السراكيل والمخاتير وأجاويد الطائفة) .
- ٤ - العوام .
- ٥ - العبيد .
- ٦ - الصابئة .

١ - السادة والموامنة

السادة هم الافراد الذين يدعون نسبا للرسول محمد . والمفروض في
كل السادة ان يكونوا نسل واحد من الائمة عن طريق فاطمة بنت الرسول
وزوجها علي بن أبي طالب ، ابن عم النبي ، ولذا فان لهم مركزا دينيا
مرموقا . وليس هناك طبعا طريقة للتأكد فيما اذا كان احد الناس متحدرا فعلا
عن النبي أو عكس ذلك ، ما دامت لا توجد لدينا سجلات أو أية وسيلة
أخرى يعتمد عليها لتحقيق ذلك ، وان الامر كله يعتمد على الادعاء وحده .
فكثير من الناس في منطقة الاهوار ومناطق مماثلة أخرى يدعون انهم سادة ما

(١) الـ Castes (الطوائف) نظام منتشر في الهند حيث ينقسم
مجتمع الهنـدو الى اكثر من ثلاثة آلاف طائفة منفصلة عن بعضها على أسس
اقليمية ومهنية وعنصرية وقبلية ودينية . ويحرم الاتصال الاجتماعي
والتزاوج بين اعضاء الطائفة والاخرى تحريما باتا . راجع مثلا

Hutton, J. H., Caste in India, Cambridge, 1946.

دام هذا الادعاء يضاف عليهم اعتبارا اجتماعيا كبيرا مع احتمال الحصول على ربح مادي كذلك . والاحتياط الوحيد الذي يلجأ له مدعي النسب هو تغيير مكان نشأته بحيث لا يتعرض ادعاؤه لفحص وتمحيص دقيقين .

وبما ان للسادة فرصا أحسن للحياة بين سكان الاهوار الشيعية ، لان مذهبهم قائم على الولاء للائمة وآل البيت ، فان السادة كثيرون في منطقة الاهوار ، وهم كافة غريبون عنها . ويعيش السادة في أغلب الاحيان في تلك المنطقة على الكدية والاستعطاء وعلى ما قد يمنحهم الشيوخ من أرض أو محاصيل زراعية . ويستغل السادة سكان الاهوار بادعائهم قوى خارقة لاشفاء الامراض أو رفع الاذى أو انزال الضرر . وفوق هذا فهم يكسبون كثيرا بمزاولة السحر والشعوذة وكتابة الادعية والتماائم .

وتوجد في الجبايش ثمان عوائل سادة مكونة من قرابة خمسين شخصا . ومعروف عن ست من هذه العوائل انها كانت تعيش في القرية منذ عدة أجيال . ويختلف سادة الجبايش عن سادة بقية مناطق الاهوار في عدة أمور . فشخصان منهم فقط يعيشان على الكدية ، اما البقية فيكسبون معاشهم من التجارة ، وادارة الدكاكين أو الزراعة وحياسة الحصر ولم يعرف عن أحد السادة في الجبايش انه زاول السحر أو ادعى مقدرة على اشفاء مرض أو القيام بعمل خارق . ومرد هذا الى العناية الفائقة والكرم المفرط التي كان يلقاها السادة من الشيوخ ، والى ما كان يخصص لهم من أراض واسعة وحصص وافرة في المحاصيل الزراعية ، بحيث اصبحوا ، نتيجة لكل ذلك ، يتمتعون بضمان اقتصادي . وباستثناء ادعائهم النسب لمحمد وباستثناء لبس نفر يسير منهم الكوفية (الشماغ) الزرقاء^(١) فان السادة في الجبايش أفراد عاديون في طرق حياتهم وأساليبهم في المجتمع .

(١) يميز الكثير من السادة في العراق انفسهم بلبس عمائم سوداء وزرقاء وخضراء أو كوفية زرقاء بحسب الامام الذي يدعون له نسباً .

ان عائلتين اثنتين من السادة مكوّنتين من ستة رجال بالغين هما أغنى أهل الجبايش كافة وبشكل لا يقبل القياس أو المقارنة • كما ان أفراد هاتين العائلتين هم أكبر تجار الحبوب والمحصر في القرية وهم أيضا أكبر مرابيهما وأوسعهم عملا • وعائلتان أخريان من السادة هم تجار حصر وأصحاب دكاكين ، ويأتي ترتيب رؤوسهما الثاني عشر والثالث عشرين أغنى عشرين رجلا في القرية^(١) وتعيش عائلتان من الاربع الباقيات على الزراعة وحياسة المحصر والعائلتان الاخريان على العمل بأجرة خارج القرية في هجرات العمل الموسمية أو في الزراعة بين آن وآخر •

وينظر أهل الجبايش ، كما يفعل بقية شيعة العراق ، الى السادة كرجال مقدسين يجب أن يوضعوا فوق بقية البشر كافة • فما داموا « أولاد رسول الله » فان احترامهم وتقديسهم واجب ديني • ويقسم أهل الجبايش الايمان بالسادة وخاصة في عدد قليل منهم معروفين بتقواهم وورعهم • ومن المفضل في حالات ارسال وفد لخطوبة فتاة أو لفصل قضية أو تسوية خلاف أو في إرسال وفد (مشية) لتطبيب خاطر شخص متآلم أو غضبان أن يتّأس مثل هذا الوفد سيد ، لانه لا يرد اذا طلب شيئا • ويجلس السادة في مكان الصدازة من المضاف ويعطون الافضلية والاسبقية اينما ذهبوا وحلوا • ولا يأخذ سراكيل القرية حصتهم من المحصولات الزراعية من السادة الذين يزرعون في أراضيهم •

ولان السادة أولاد النبي فالمفروض بمن يدعى انه سيد أن يكون متمسكا بتعاليم الدين وان يتعد عن التكالب على الربح المادى خاصة اذا انطوى ذلك على أخذ الربى المحرم في الدين الاسلامي • وفي الواقع ان اربعا من عوائل السادة في الجبايش وبصورة خاصة اثنتين منها ، لا تراولان

(١) للاستزادة عن الثروة والميزان الاقتصادي في القرية راجع الفصل الخامس عشر في الجزء الثاني •

الربى^(١) فحسب بل وتوشكان ان تحتكراه • وتفعل العائلتان الاخريان
الشي ذاته فى تجارة الحصر • ويتعد السادة اعضاء هذه العوائل الاربع
فى الواقع بسلوكهم هذا السبيل عن تعاليم الدين الاسلامى ويؤثرون كثيرا
على مركزهم كـ (اولاد محمد) ، وهم ، كما يبدو ، يستغلون هذا المركز
من أجل الكسب المادى • والناس يصدقونهم بلا تردد ولا يفكرون بمقاضاتهم
فى حالة نشوب خلاف لا عشائريا ولا عند الحكومة • فبمجرد أن يقسم
السيد قائلا (وجدى رسول الله) على الشخص أن يصدق ذلك حالا ،
والا فيصبح ، بعرفهم ، كافرا • ولقد كان هذا القسم وما زال غالبا ما يستعمل
وسيلة للكسب والغش • ولكن أهل الجياش يشعرون بسلوك السادة التجار
فى العمل ولذا فهم لا يكون لهم نفس الاحترام الذى يكونه للسادة غير
التجار الذين لا يسمحون للرجبة فى الكسب أن تؤثر على مركزهم الدينى •
ويجب ان نؤكد هنا أن السادة فى الجياش ليسوا طائفة Caste
كما انهم ليسوا حمولة Clan • فسادة الجياش يعيشون متفرقين فى كافة
أرجاء القرية ؛ خمس عوائل منهم تعيش مع حمولة آل الشيخ واثنان مع
حمولة آل غريج وعائلة واحدة مع حمولة آل لمبر • وتكوّن الثمانى
عوائل أجزاء من الحمائل التى تعيش معها • ولا توجد علاقة قريى بين
عوائل السادة التى تعيش فى الحمائل المختلفة ، وحتى سادة الحمولة
الواحدة ليسوا أقارب بصورة ضرورية • فسادة حمولة آل الشيخ مثلا
يكونون ثلاث مجاميع قريى مختلفة • والسادة فى الجياش يميلون بصورة
عامة للتزاوج فيما بينهم • ولكن يجب الا يفهم من هذا وجود قاعدة وجوب
التزوج بين السادة كمجموعة قريى Endogamy بصورة ملزمة • فلقد
وجدت بضع حالات تزوج فيها السادة نساء من غير السادة كما وجدت عكس

(١) ويشمل هذا الربى ربعا مركبا فاحشا يؤخذ عن اقراض مبالغ من
المال على طريقتى الـ « أخضر » والـ « قلاب » فى الجبوب والحصر • راجع
الفصول ١١ و ١٢ و ١٥ فى الجزء الثانى •

ذلك أيضا • فالواقع تجوّر التقاليد تزوج السيد أو المرأة (العلوية)
برجل أو امرأة من غير السادة ، ولكن ذلك نادر الحدوث •

اما (الموامنة) فهم الوكلاء الدينيون للمجتهد ، وهو الرأس الديني
لفرقة الشيعة ومقره في مدينة النجف • ويدعى مثل هذا الوكيل محليا
(المومن) وينادى باسم (الشيخ) • و (المومن) مخول شرعا من قبل
المجتهد تسوية القضايا التي تحل بموجب أحكام الشريعة الاسلامية كالزواج
والطلاق والميراث • والمفروض في المومن أن يكون متخرجا في احدى
مدارس النجف الدينية وان يعيش على ما يقدمه له الناس لقاء خدماته
الدينية • وبالإضافة الى هذا فللد (مومن) وظيفة هامة أخرى وهي ان يترأس
ويدير مجالس (القرايات) التي تقام في الايام العشرة الاولى من شهر محرم
لاظهار الحزن والتوجع على استشهاد الامام الحسين وآله وصحبه في موقعة
كربلاء • وتدفع أجور عالية لد (موامنة) في مجالس (القرايات) تجمع
من التبرعات التي يدفعها الذين يحضرون المجلس والذين يدفعون أقصى
ما يستطيعون لاعتقادهم أن الاجر يتناسب طرديا مع ارتفاع المبلغ المدفوع •

ويوجد في الجبايش (مومن) واحد وهو متخرج من مدرسة دينية
ومخول في كافة الشؤون الدينية • وهو ليس من أهل الجبايش أصلا ولكنه
مسؤول عن الشؤون الدينية والشرعية الخاصة بأهل الجبايش والمدينة^(١) •
وهناك الى جانبه عائلة كان رأسها المتوفى قبل عدة سنين مخولا دينيا •
وبعد وفاته بدأ اثنان من أولاده رغم انهما ليسا متقنين ثقافة دينية تخولهما
ذلك ، يزاويان بعض الطقوس التي لا تنطوي على مسؤولية دينية أو قانونية
مثل قراءة الادعية و (القرايات) • ولكن لا يتمتع احدهما بما يتمتع به
(المومن) المخول شرعا من اعتبار ومركز • وفي شهر محرم يأم الجبايش
واحد أو اكثر من العدد الكبير من (الموامنة) الذين يجوبون المنطقة ليقروا

(١) قرية تقع على نهر الفرات في منتصف المسافة تقريبا بين الجبايش
والقرنة •

فى مجلس (القرايات) المبثوثة فى كل مكان والتى يوجد منها فى قرية الجبايش حوالى خمسة عشر مجلسا يدير كل (مومن) عددا منها .
ويحترم (المواطنة) ، خاصة من كان منهم متخرجا من المدارس الدينية ، ويوضعون فى منزلة السادة . وهم فى العادة متفرغون لاعمالهم الدينية تماما ولا ينغمرون بأعمال معاشية دنيوية . ولكن بعضهم وخاصة اولئك الذين هم ليسوا مخولين شرعيا يزاولون الكدية باسم الدين ويستغلون سكان الاهوار الجهلة خاصة فى منطقة العمارة . اما مومن الجبايش فلقد كان منصرفا لواجباته وكان يتمتع باعتبار عال فى القرية لسعة معلوماته ولترفعه عن الكدية .

٢ - آل خيون

آل خيون هم بيت الرئاسة فى عشيرة بنى أسد وهم يتسبون الى (دحلة) الذى يبعد ثلاثة عشر جيلا عن أعضاء البيت الاحياء . وكان آل خيون قبل شيخ سالم آل خيون آخر شيوخ العشيرة يدعون انفسهم (آل حجبى ناصر) باسم (حجبى ناصر آل محمد) وهو أحد قادتهم وشيوخهم ، ثم صاروا يدعون انفسهم (آل حجبى جناح) باسم ولده . وعندما نصب سالم آل خيون شيخا على العشيرة فى سنة ١٩٠٤ ، بدأ يوقع (سالم آل خيون) مستعملا اسم جده (خيون) ، لانه كان أعظم قادة هذا البيت قاطبة . ومنذ ذلك الوقت صار البيت يدعى (آل خيون) . ولقد رأيت وثائق موقعة من قبل شيوخ حكموا العشيرة قبل شيخ سالم تحمل اسماء (آل حجبى ناصر) و (آل جناح) .

ظل آل خيون يحكمون بنى أسد مدة أربعة قرون تقريبا . وفى أيام مشيخة حجبى ناصر آل محمد ، اصطدمت (بنى أسد) فى نزاع بال سعدون وهى عائلة بدوية كانت تحكم اتحادا قويا من القبائل جنوب العراق . فدمرت (بنى أسد) وسيقت من الحلة ، حيث كانت لها هناك امارة ، الى منطقة الاهوار جنوبا حتى منطقة الجبايش . ولقد قاد الشيوخ الطموحون (جناح)

و (خيون) و (محي) و (حسن) بنى أسد فى حروب عقدت لهم فيها
الوية النصر ضد آل سعدون وآل حسن^(١) وعشائر مختلفة فى منطقة
العمارة ، كما قادوا العشيرة فى حروب عدة ضد الجيش العثماني • ولقد
عاشت (بنى أسد) عدة سنوات فى مناطق مختلفة من الاهوار مثل (المجرة)
و (البوشامة) و (العمارة) و (الحويزة) واشتركت فى حروب طويلة
وغزوات سلب عديدة كما تعرضت لنفى طويل من موطنها^(٢) •

ولقد عاش آل خيون حتى الغاء المشيخة فى عام ١٩٢٤ كطبقة
ارستقراطية عسكرية ، فكانوا يتمتعون بمركز ممتاز جدا وسلطة وقوة
عظيمتين للغاية • وكانوا ينظرون لكافة أفراد العشيرة كاتباع أو عبيد ، أقل
منهم درجة ورتبة • وحكموا حكما استبداديا عاملوا فيه اتباعهم بمنتهى
القساوة • فكان الشيوخ ، وهم رؤوس آل خيون ، يلجأون الى تغريم اتباعهم
وسجنهم فى قلاعهم^(٣) كطريقة اعتيادية فى العقوبة • والمفروض فى الفرد
من العشيرة ان يضع نفسه دائما فى خدمة (بيت الرياسة) لاي واجب
يطلب منه ، فكانت العشيرة كلها تعمل للشيخ وأقاربه آل خيون ، فيستولى هو
وأقاربه على أغلب المنتوج الزراعى ويأخذ الضرائب على اشجار النخيل
والماشية ويشارك حتى الآباء فى مهور بناتهم • وكان آل خيون يتطلبون
خضوعا تاما من كافة أفراد العشيرة لانهم السادة المتحكمين أو كما يطلقون على
انفسهم (بيت الرياسة) ؛ فلك (خيونى) الحق الذى لا يقبل المنازعة فى اهانة أو
ضرب أو اساءة معاملة (السداوى)^(٤) الذى يجب عليه ان يتقبل مثل تلك
المعاملة بدون أى اعتراض أو تدمير • ولد (خيونى) الحق فى التدخل

(١) عشيرة كبيرة تسكن منطقة كرمة بنى سعيد شرق سوق الشيوخ •

(٢) سندررس تاريخ العشيرة مفصلا فى الفصل الثامن •

(٣) كانت للشيوخ سابقا قلاع من طين مبشوة فى ارجاء منطقتهم
تستعمل كمراكز حربية ويقيم فيها عادة وكلاء عنهم ، وتسمى الواحدة
منها (حجرة) •

(٤) أحد افراد عشيرة بنى اسد •

فى أى نزاع أو أية قضية تخص أى فرد من بنى أسد بغض النظر عن كون (الخيونى) رئيسا أو غير رئيس ، لان المفروض فى كل (خيونى) انه رئيس • ويستطيع (الخيونى) فى حالة السفر أو الحاجة لعمل آخر ان يأمر أى عدد من بنى أسد لتقديم خدماتهم • فان أراد دراهم فيستطيع ان يجمعها من أفراد العشيرة ، لانه لا يعمل وواجهه ان يحكم فقط •

وعندما أُلغيت المشيخة والقبض على الشيخ سالم آل خيون وحوكم فسجن ، انشأت الحكومة وحدة ادارية قوية فى القرية^(١) • وكرد فصل طبيعى ظهرت العشيرة كلها الحكومة ضد آل خيون الذين وجدوا أنفسهم فى مركز حرج للغاية • فلقد كانت لدى الحكومة سياسة واضحة فى قلب آل خيون الذين اعتادوا ان يحكموا الناس منذ أمد طويل الى مواطنين مخلصين للدولة • ولكن آل خيون لم يرضخوا لهذه السياسة ، فهرب بعضهم الى الهور وقادوا عصابات من اللصوص وقطاع الطرق والفارين من وجه العدالة • فسيبوا للحكومة متاعب جمة قبل ان استطاعت ان تدحرهم وتقضى على قوتهم نهائيا وتنفي قادتهم من المنطقة • وترك بعضهم الاخر الجبايش الى العمارة ومناطق أخرى مؤملين حدوث تغير فى الحالة ولكنهم عادوا الى الجبايش بعد أن يشسوا من ذلك • وبقي قليل جدا من آل خيون العقلاء الذين يحبون السلام فى المنطقة وحتى انهم ايدوا الحكومة وساعدوها فى مجهوداتها لصيانة الامن والنظام • ولقد خصصت الحكومة فيما بعد رواتب لبعض آل خيون واقطعتهم اراض غنية خارج منطقة الجبايش •

واليوم يعيش معظم آل خيون فى الجبايش • ولهذه الحمولة^(٢) فروع تعيش فى گرمة على والعمارة ، كما يقسم آخر شيوخ العشيرة وقته بين بغداد حيث يملك بيتا عصريا وبين اراضيه الغنية فى لواء ديالى ، التى أعطيت

(١) راجع الفصل الثامن •

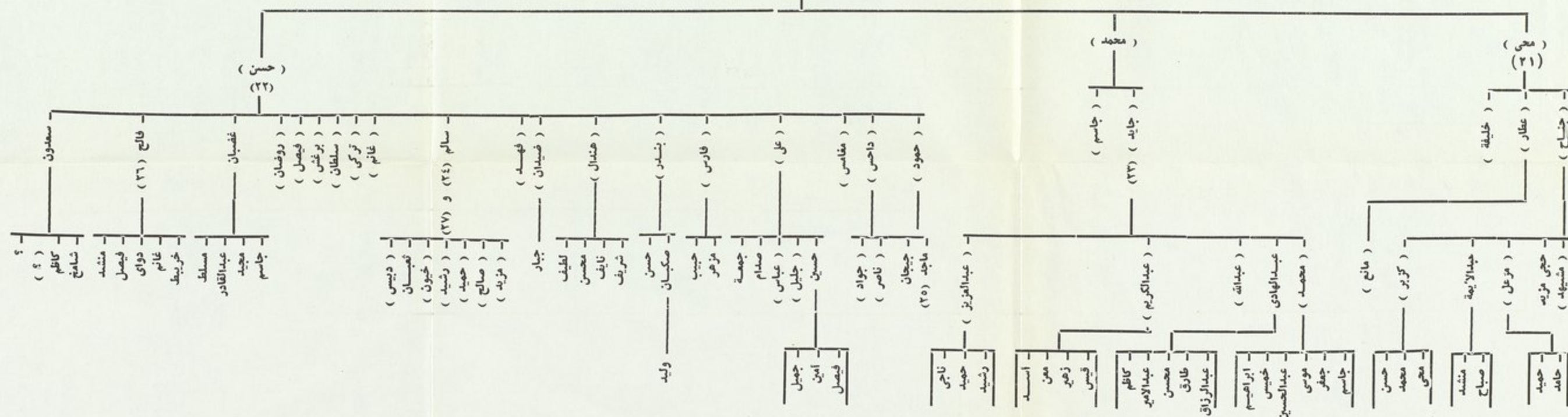
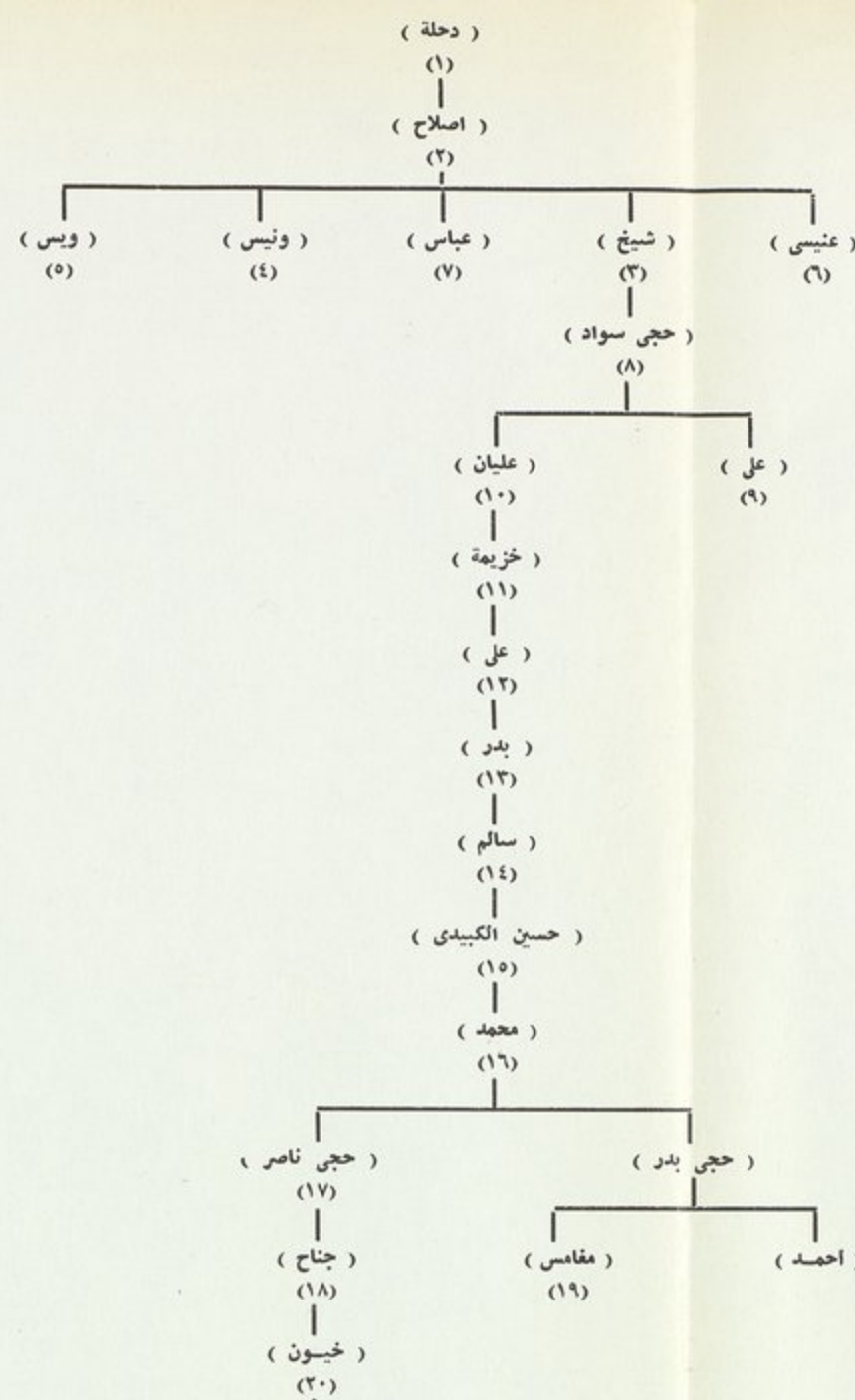
(٢) اننى اميل الى اعتبار آل خيون حمولة قائمة بذاتها والجدير بالذكر انهم ذاتهم يرون ذلك رغم انهم لا يعتبرون انفسهم حمولة من حمايل بنى اسد بل وحدة مستقلة •

له بعد ان عفت الحكومة عنه وأطلقت سراحه •

وتكون حمولة آل خيون الان من ثلاثة أفراد ؛ بيت حسن وبيت محمد وبيت محي^(١) • وتسكن الجياش الان منهم ثلاث عشرة عائلة فقط ؛ ثلاث من فخذ بيت محمد وعشر من فخذ بيت حسن ، تتكون كلها من واحد وثلاثين رجلا بالغا • اما فخذ بيت محي الذى يتكون من ثلاث عوائل فيسكنون العمارة • وتعيش فى الجياش عائلتان من آل خيون على الرواتب التى تدفعها لهم الحكومة بصفة (مخصصات منفيين) ، وعائلة واحدة على راتب رئيسها الذى هو موظف فى حكومة القرية ، اما العوائل العشر الباقية فتعيش من التزام الاراضى والتجارة والزراعة مع عائلة واحدة فقط تعيش على مبالغ مدخرة سابقا •

يجتاز آل خيون الان مرحلة انتقال من وضعهم السابق كرؤساء وكطبقة ارسنقراطية عسكرية الى مواطنين عاديين • وحالما جرد آل خيون من سلطتهم السياسية كان أهل الجياش على اتم استعداد ان ينكروا عليهم كافة امتيازاتهم القديمة وبدأوا يعاملونهم كبقية أفراد العشيرة • الا يوجد فى القرية اليوم حكومة أقوى بكثير من آل خيون وهى لا تميز بين (السداوى) و (الخيونى) فى الحقوق والواجبات وتعاملهما كمواطنين أنداد ؟ وباستثناء احترام سطحي محدود يمنح فى الواقع لافراد آل خيون الاختيار فقط ، فان بنى اسد اليوم لا يسمحون لآل خيون بأى من امتيازاتهم القديمة • والسبب فى تبدل سلوك العشيرة تجاه آل خيون واضح بآين • فلم يحترم آل خيون ، باستثناء واحد أو اثنين منهم فقط ، (الطائفة) ، بل كانوا لا يعرفون غير استغلال أفرادها الذين قاسوا كثيرا على أيديهم • وقاد آل خيون العشيرة الى حروب طويلة كان يضحي فى الافراد فيها فى حين يجنى آل خيون وحدهم ثمار النصر وينعموا بالاسلاب والغنائم •

(١) راجع المخطط رقم (٤) •



ملاحظة : تشير الاقواس الى ان الاشخاص اموات والارقام الى تسلسل المشيخة في الحمولة .

مخطط رقم (٤)

حمولة آل خيون

(الرجال البالغون فقط)

وترتب على آل أن يقبلوا مجبرين سياسة الحكومة وسلوك أفراد العشيرة حيالهم • فبدأوا يكيفون أنفسهم للوضع الجديد ؛ فأخذ بعضهم ، لأول مرة فى تاريخ آل خيون ، يزرع الارض ويربى الماشية • وانخرط بعضهم الآخر فى خدمة الحكومة ككتاب وجنود وزاول قسم منهم منها يتردد حتى أفراد العشيرة العاديون فى مزاولتها ، كسيير الزوارق البخارية ، لأنها تعتبر ، من وجهة نظر التقاليد المحلية ، منها محقرة^(١) •

ولا يزال آل خيون يختلفون حتى اليوم فى طريقة حياتهم ، ويحافظون بصورة عامة على مستوى فى المعيشة أعلى من بقية أفراد العشيرة • فيسكنون باستثناء عائلة أو اثنتين ، بيوتا أحسن ، تحوى غالبا أثاثا جيدا كالكراسى ودواليب وصناديق الملابس وما الى ذلك • ويلبسون ملابس كملايس بقية أفراد العشيرة فى طرازها ولكنها بصورة عامة أحسن نوعية وتمثل ترفا ورفاهية • وتلبس نساؤهم ملابس أحسن كثيرا مما تلبس نساء القرية ويستعملن الحلى وأدوات الزينة • ويأكلون بصورة عامة طعاما أقرب الى طعام أهل المدن وأحسن من طعام أفراد العشيرة • ويحافظ آل خيون على تقاليد خاصة فى بيوتهم يحرصون لحد بالغ على تطبيقها والتقيدها • فمثلا يجب ان يظهر (الخيونى) الصغير احترامه للكبير حتى ولو كان أصغر منه بيوم واحد فقط ، ويعبر عن هذا الاحترام بالوقوف له فى الاماكن العامة ، وان كان فى سن والد الشخص فبتقبيل يده • ولا يسمح للنساء (الحيونيات) ان يأكلن مع الرجال أو بحضورهم ، كما لا يسمح لهن بالذهاب الى الفراش للنوم قبل أزواجهن • ولا يجوز (لخيونى) ان يغرف أو يدفع نفسه فى (مشحوف) • وأغلب الجيل المسن من الحمولة يقرأون ويكتبون ، ولا يوجد (خيونى) واحد ولد بعد تأسيس مدرسة القرية فى عام ١٩٢٤ لا يعرف القراءة والكتابة •

(١) راجع الفصل السادس عشر فى الجزء الثانى •

وأقوى تقاليد آل خيون هو الزواج فيما بينهم ، وهو قاعدة تنفذ بلا استثناء بصدد نسائهم ولا يخرج عليها الا نادرا في حالة الرجال . فقبل ايام الشيخ حسن آل خيون ، أى قبل قرابة تسعين عاما زوج عدد قليل جدا من نساء آل خيون الى فخذ (آل سهر) ولكن الفخذ كله انقرض بعد ذلك . وزوجت امرأتان منهم الى رجلين من فخذ (آل سواد) ، ولكن الامرأتين كانتا عاقرتين فطلقتا وزوجتا مرة أخرى من رجلين خيويين . وزوجت احدى بنات الشيخ جناح واحدة بنات الشيخ خيون فى العمارة ، ولكنها ماتتا دون ان يخلفا ذرية^(١) ومنذ أيام الشيخ حسن آل خيون لم تزوج خيونية واحدة خارج الحمولة . ولكن رجال آل خيون يتزوجون فى بعض الحالات نساء غريات عن الحمولة . فكل شيوخ آل خيون تقريبا تزوجوا من نسوة غريات بالاضافة الى نسائهم الخيونيات . فكان ، مثلا ، الشيخ جايده آل خيون متزوجا من بين زوجاته الاربع بأنتين غريبتين . وتزوج الشيخ سالم آل خيون من خمس نساء كانت اربع منهن غريات . وقليل من رجال الجيل الحاضر من آل خيون متزوجين من نساء غريات كذلك . ولقد أدى هذا الوضع ، وهو عدم تزويج نساء آل خيون خارج الحمولة مع السماح للرجال منهم بالتزوج خارجها ، الى حصول فضلة فى النساء الخيونيات غير المتزوجات فى الحمولة ، رغم ان وجود نظام تعدد الزوجات يفرض كثيرا من التوازن . وفى عام ١٩٥٣ كانت فى الحمولة ست عوانس طاعنات فى السن وعدد من النساء قد تخطين سن الزواج . ولقد جعل وجود قيد الزواج داخل الحمولة ، المفروض على النساء فقط ، الخيونيات يقاومن بقوة أية محاولة من رجالهن للتزوج بزوجات غريات . فاذا ما حدث مثل هذا الزواج ، رغم تلك المقاومة ، فان تلك النسوة لا يقعدن عن بذل كل مجهود فى طوقهن لافساد الزواج والتسبب فى تطليق الزوجة الغريبة ، يلجأن لتحقيق ذلك الى أمور

(١) ولذا فان من المعتقدات الشائعة بين نسوة القرية ان المرأة الخيونية لا تخلف نسلا مطلقا من غير رجل خيوى .

عدة كالسحر الذى تخصصن فبرعن فيه لحد كبير والشجار والمؤامرات • ومن جهة أخرى فان أهل الجبايش يترددون كثيرا بل ويفرض بعضهم بصورة باتة تزويج بناتهم الى آل خيون ، رغم ما يسبغه مثل هذا التزويج من اعتبار وشرف على أية عائلة من بنى أسد ، وذلك لسلوك النساء الخيونيات تجاه الزوجات الغريات •

٣ - (السراكيل) و (المخاتير) و (اجاويد الطايفة)^(١)

• كان شيوخ بنى أسد يختارون رجلا بارزا من كل حمولة ويعينونه وكيلا لهم فيها • وكانت وظائف اولئك الوكلاء الاساسية تنفيذ أوامر الشيوخ والعمل كضباط ارتباط بينهم وبين أفراد حمايلهم • وكان الوكلاء يعتمدون فى دورهم ، فى الامور الهامة ، على رؤوس الافخاذ التى تتكون منها حمايلهم • وحين اقصى آخر شيخ للعشيرة عينت الحكومة ، وكان عملها ذاك اجراء حكيما صائبا ، كافة وكلائه (سراكيل) ، كلا فى حمولته • ثم مكنتهم من السيطرة على حمايلهم وأعطت كل واحد منهم الاراضى التى كانت تزرعها حمولته فى ذلك الوقت لصالح الشيخ • كما انها اعترفت برؤوس الافخاذ كـ (مخاتير) •

وتحتوى كل حمولة على عدد من الرجال ، يعرفون بـ (اجاويد الطايفة) ، هم اعضاء افخاذ كبيرة ومعروفون بانهم أخيار وذوو نخوة ومحبون للسلام ولهم معرفة بالتقاليد والقانون العشائرى وان يكونوا ذوى آراء صائبة ومشورة يركن اليها • وهم مع (السراكيل) و (المخاتير) يألفون الطبقة الثالثة فى مجتمع الجبايش •

ولا يختلف أفراد هذه الطبقة عن بقية أفراد العشيرة فى العادات أو التقاليد ولا يتمسكون بقاعدة التزوج فيما بينهم كطبقة متميزة • وباستثناء

(١) بصدد حقوق وواجبات (السراكيل والمخاتير و اجاويد الطايفة) السياسية يراجع الفصل الثامن •

الثراء النسبي الذى يتمتع به السراكيل نتيجة لسيطرتهم على الاراضى ولاخذهم عوائد ورسوم أخرى ، وباستثناء النفوذ السياسى الذى يتمتع به السراكيل والمختاير ، لا يختلف أفراد هذه الطبقة الا قليلا عن بقية أفراد العشيرة العاديين • وترتبط حقوقهم وامتيازاتهم بمنزلتهم الاجتماعية وبالاحترام الذى يتمتعون به فى المجتمع ، وبالدور الذى يلعبونه فى حل كافة الامور التى تهتم المجتمع كله •

٤ - العوام (١)

العوام هم الاغلبية الساحقة من سكان الجبايش • وهم يعيشون على حياكة الحصر والزراعة والهجرة الموسمية من أجل العمل ويربون الماشية ويملكون اشجار نخيل على جزرهم • وكافة أفراد هذه الطبقة فقراء بصورة عامة والاغلبية الساحقة منهم مثقلون بالديون اما لتجار الحصر أو للمرايين • لقد المعنا سابقا بان العوام قاسوا كثيرا فى الماضى من ظلم واستغلال شيوخهم • ولكن هذا الظلم والاستغلال غير ممكنين فى الوقت الحاضر • فكافة السراكيل فى القرية ، خلا اثنين ، ليسوا من آل خيون والحكومة موجودة لتحول دون أى سوء تصرف • فحقوق السراكيل السياسية محددة واضحة لا يستطيعون تجاوزها • وصحيح ان على العوام ان يطيعوا سراكيلهم وان ينفذوا أوامره بدقة ، ولكنهم ليسوا ملزمين بالخضوع لهم • وللعوام مطلق الحرية ان يزاولوا أى عمل كان وان يزرعوا أية أرض ويعيشوا فى أى قسم من القرية • كما ان باستطاعتهم ان يغيروا انتسابهم الى الفخذ والحمولة عن طريق التبنى شريطة ان يوافق على ذلك سر كمال الحمولة التى يريدون الانتساب اليها (٢) • والعوام أحرار فى شؤونهم الشخصية كالزواج

(١) لدراسة مفصلة عن اقتصاديات هذه الطبقة راجع الفصول ١١ - ١٦ من الجزء الثانى •

(٢) راجع الفصل الخامس •

والطلاق والرهن والبيع وما يشبه ذلك • ولا يستطيع السراكيل أو المخاير التدخل فى أمثال هذه الشؤون مطلقا • وتنحصر واجبات أفراد هذه الطبقة فى التزام التقاليد والقوانين العشائرية واطاعة الحكومة والسراكيل بقدر ما يتعلق الامر فى قيام السراكيل بتطبيق أوامر الحكومة أو تنفيذ القانون العشائرى فقط •

ويكون العوام طبقة واحدة متساوية فى الحقوق والواجبات مع وجود تفريق واحد يؤثر على اعتبار Prestige الفرد وليس على منزلته Status . ويقام هذا التفريق اما على اساس انتساب الفرد لحمولة معينة أو مزاولته مهنة معينة • فحمائل العشيرة تختلف اختلافا كبيرا فى اعتبارها الاجتماعى كما بينا فى الفصل الخامس ؛ فعضو من حمولة آل غريج أو من حمولة آل خاطر مثلا أقل احتراماً فى المجتمع من عضو من حمولة آل الشيخ أو حمولة آل عيسى • اما المقياس المهنى كما سنشرحه فى الفصل السادس عشر فى الجزء الثانى ف قائم على أسس تقليدية تعتبر بعض المهن محقرة مخزية ولذا فالتوقع من كافة أفراد بنى أسد الامتناع عن مزاولتها وكل من يحترفها يعرض نفسه لفقدان اعتباره بغض النظر عن الحمولة التى يتنسب إليها •

٥ - العبيد (١)

كان من الخواص المميزة لبيوت الشيوخ ايام المشيخة القديمة كثرة العبيد الذين كانوا يعملون خدما وسقاة للقهوة فى بيوتهم ومضايفهم ونوتية فى زوارقهم وسعاة لنقل أوامرهم ووكلاء عنهم فى أجزاء من مقاطعاتهم •

(١) فى اللهجة المحلية الدارجة فى الجبايش تعنى كلمة « عبد » (الشخص المعلوم الحرية) أو (المنحط المركز) ولكنها لا تعنى (الشخص الذى يمكن التصرف فيه) Chattel slave • فاذا ما اريد هذا المعنى الاخير استعملت الكلمة موصوفة كقولهم « عبد مملوك » •

وكان كافة العبيد زنوجا من أفريقيا جلبوا من الجزيرة العربية وبيعوا في أسواق العبيد في البصرة وبغداد ابان ازدهار تجارة العبيد في العراق . ورغم ان العبيد كانوا يباعون ويشترىون كأية بضاعة أخرى ، فلقد كانوا في الجبايش محتكرين من قبل الشيوخ وآل خيون فقط وان كافة العبيد الموجودين خارج بيوتهم قد جاءوا أصلا من تلك البيوت عن طريق الهبة . وفي تلك الايام ، حين كان حتى أحرار العشيرة عبيدا لشيوخهم ، كان العبيد لا يملكون أى مركز اجتماعى أو قانونى . فلقد كانوا يعيشون في بيوت أسيادهم « بأكل بطونهم » وبالقليل من الملابس التى كان يتكرم بها عليهم اولئك الاسياد . وكان اسيادهم هم الذين يختارون الوقت والنساء لزوجهم . وما كانوا يستطيعون ملك أو ارث أية ثروة . واذا ما اقترف عبد جريمة أو اعتدى عليه فان سيده هو الذى يحل الامر ويدفع أو يستلم عنه الفصل بموجب القانون العشائرى . وكان أسيادهم يضربونهم ويقيدونهم بالحديد واذا ما قامت أية شكوك عن علاقة جنسية بين العبد واحدى سيداته فان العبد يقتل حالا بدون أى اعتبار لظروف الاتهام .

وكانت وظائف العبيد الاساسية اما داخل بيوت الشيوخ كتحضير وتقديم القهوة فى المضيف وجلب الحشيش للماشية والتجذيف فى مشاحيف الشيخ وما الى ذلك ، أو خارج بيوت الشيوخ اذ يعملون كرسل يلفون رسائل الشيوخ الشفوية ويحملون الخطية منها أو وكلاء فى الحقول ليشرفوا على الزراعة وقسمة المحاصيل . اما اولئك العبيد الذين كانوا يعينون وكلاء فى المقاطعات البعيدة فانهم يتمتعون بسلطة كبيرة ويجمعون لانفسهم ثروة . وكانت العادة ان يختص الشيخ بعبد واحد فيؤليه فائق ثقته فيكسب العبد نتيجة لهذه الثقة منزلة كبيرة ويتمتع بسلطة وسيطرة واسعتين فى العشيرة . فمن هؤلاء العبيد من بنى مضاف ، وهى دليل على المركز الاجتماعى العالى ، فكان أهل القرية يأمون مضافهم ويشدون رضاهم . والعبد الخاص

بالشيخ سالم آل خيون مثلاً ، كان يلبس كالشيخ نفسه تماماً ويستحم بماء معطر ، وقد دفع مبلغاً ضخماً كمهر لامرأة بيضاء (حرة) جلبها من بغداد .
وحين أُلغيت المشيخة واجه العبيد وضعاً جديداً لا عهد لهم فيه . فقد تركوا كلهم تقريباً وبصورة مفاجئة بلا أسياد ؛ فلقد القى القبض على الشيخ وفر معظم آل خيون الى الهور ليعيشوا فيه ككوار وخارجين على الحكومة .
أما القليلون الذين تخلفوا منهم في القرية فكانوا أفقر من أن يقوموا أودهم .
وكان في الجبايش في ذلك الوقت ما لا يقل عن خمسين عائلة من العبيد ، فهاجر بعضهم الى البصرة وبغداد ليشغلوا عمالاً مأجورين أو لينخرطوا في قوات الجيش والشرطة المؤسستين الحديثتين التكوين اللتين كانتا في حاجة دائمة الى المزيد من الرجال .
لقد كان الغاء المشيخة فرصة نادرة للعبيد ليكسروا أغلال العبودية ، اذ حتى العبيد الذين آثروا البقاء في القرية انفصل أغلبهم عن بيوت اسيادهم وابتدأوا يكسبون عيشهم كمواطنين أحرار .

ولا يوجد اليوم في الجبايش غير اثنتين وعشرين عائلة من العبيد مكونة من مائة وتسعة اشخاص . ست عوائل منها فقط لا يزال افرادها يعيشون كعبيد بمفهوم الكلمة القديم ؛ خمس منها تعمل في أربع عوائل خيونية وواحدة في بيت رئيس فخذ في حمولة آل غريج . ولقد اضطرت كل واحدة من هذه العوائل لاسباب معينة ان تظل في مركزها السابق ، فلم تختار ذلك بمحض ارادتها . ومن الطريف ذكره هنا ان اثنين من عوائل العبيد التي بقيت في القرية رضيتا ان تعود للعمل في عائلتين خيونيتين كـ (خدم) وليس كـ (عبيد) ؛ فلقد كانت كل واحدة منهما تستلم راتباً وتحتفظ في بيتها وكوخها المستقل . وكانت ثمانى عوائل من الاربعة عشرة عائلة الباقية تكسب عيشها من الزراعة وحياسة الحصر وست تعيش على رواتب تستلمها من اثني عشر فرداً من افرادها يعملون خارج الجبايش كجنود وموظفين في خدمة الحكومة .

والآن ، لقد كيف العبيد انفسهم ، كما فعل أسيادهم آل خيون ، بحيث اصبحوا يعيشون كأفراد عاديين فى العشيرة . فهم الآن يتحدثون عن انفسهم كـ (بنى اسد) وليس كـ (عبيد آل خيون) رغم انهم يعترفون انهم كانوا جميعا فى وقت ما كذلك . وعلاقتهم بآل خيون الآن علاقة اعضاء فى عشيرة واحدة ، بأستثناء اولئك الذين يعيشون فى بيوت اسيادهم القديما . ويكسب العبيد عيشهم الآن بكل حرية ويتمتعون بحقوق تامة فى المجتمع ، ويعاملون فى كافة الشؤون العشائرية كالزواج والفواتح والفصول كأفراد عاديين وليس عليهم التزامات أو تبعات اضافية .

ورغم ان العوائل الست استمرت تعيش فى بيوت اسيادها فان بمقدور أفرادها ان يتمتعوا بحرية تامة لو يريدون ذلك . فلا يستطيع أحد ان يمنع الآن عبدا من ترك خدمته ، كما لم تق اليوم آثار لتلك القسوة القديمة التى كان يعامل بها العبيد فى الماضى لانهم قد يهربون لو اسيئت معاملتهم . وبالإضافة الى هذا وبناء على المركز القانونى التام الذى يتمتع به العبيد الآن فان اجراءات قانونية قد تتخذ ضد السيد الذى يقسو على عبده . والواقع ان هذه العوائل الست تتمتع بقدر كبير من الحرية فى شؤونها الخاصة . فالعلاقة بين أفرادها وبين اسيادهم ليست علاقة العبودية القديمة بل علاقة ولاء للعوائل التى كانوا فى خدمتها منذ أمد طويل . وفوق هذا فمثل هذه الحياة تخول العبد طمأنينة وضمانا فى العيش . ومن جهة أخرى يحتاج الاسياد خدمات اولئك العبيد فيحتفظون بهم لان من غير الممكن ايجاد خدم فى الجبايش . ولذا فان حقيقة العلاقة بين هؤلاء العبيد الخدم وبين اسيادهم هى شبه عبودية مع وجود حق للعبيد فى الحرية يسكون عن التمتع به بصورة اختيارية بحتة .

ولا يوجد تزاوج بين العبيد وبقية أهل الجبايش ، ولكن حدثت حالات نادرة وقع فيها اسياد فى حب (وصيفاتهم) فتزوجوهن . ولدينا على ذلك

مثلان ؛ خيونيان لا يزال احدهما حيا ، تزوجا وصيفتيهما • ولا يستطيع الاولاد الناتجون عن مثل هذا الزواج ، ويسمون (مولدين) ، رغم انهم يعتبرون احرارا ، ان يتزوجوا نساء حرات ، بل هم يتزوجون فى العادة عبات أو نساء (مولدات) مثلهم • ولم تعرف القرية حالة واحدة أعطيت فيها امرأة حرة كزوجة لعبد • أما حالة خادم الشيخ سالم آل خيون الشخصى المشار اليها سابقا فقد كانت الحالة الوحيدة التى تزوج فيها عبد من حرة والمرأة كما قلنا من سكان المدن وقد جلبت من بغداد • وفى حادثة (نهية) وقعت بين حمولة (الحدادين) وحمولة (آل ونيس) منذ عدة سنين ، طلب أهل الفتاة المنهوبة فصلا عاليا فوق العادة لان الناهب كان ذا ملامح زنجية ، فظن لهذا السبب ان أمه قد حملته سفاحا من عبد ، ومن العيب المخزى على أهل الفتاة ان ينهب رجل فيه دم عبد ابنتهم الحرة •

وليس للعبيد تقاليد خاصة بهم • فجيلهم الجديد يقدر لحد كبير الفرص التى يتيحها وجود المدارس وتيسر الثقافة ويستفيد من الوظائف والاعمال الحكومية المفتوحة امامهم • والذين يعملون منهم فى البصرة وبغداد يميلون الى الاستقرار نهائيا ويأخذون عوائلهم الى هناك • ولقد حدث مثال على ذلك حين كنت فى الجبايش • فلقد أخبرتنى مخبرتى بان عبدا كان يعمل فى بغداد لعدة سنوات قد ارسل فى طلب أخته التى كانت تعيش فى أحد بيوت آل خيون ، ولان أبوى هذه العبدة كانا من عبيد والد صاحب ذلك البيت ، فانه رفض وأصر على الاحتفاظ بها ، ثم طلب تدخل مخبرتى ذاتها ، وهى عبدة عجوز من عبيد آل خيون أصلا ، لتوقف الفتاة من اللحاق بأخيها مدعيا انها عبده ، لان اباهما كان عبدا لايه • ولكن مخبرتى رفضت التدخل قائلة (الوكت تبدل والفرخ يريد أخته) • ومثل هذه الحادثة تصور بوضوح الى أى مدى يشعر العبيد بالظروف التى تبدلت والى أى حد هم مستعدون ان يستفيدوا من هذا التبدل •

٦ - الصبة

(الصبة) أقلية دينية تعيش فى جنوب العراق بصورة أساسية قرب الاهوار وعلى سواحل الانهار ، لان الماء شىء هام جدا لهم للاغتسال والوضوء . وهم يدعون انهم اتباع القديس يوحنا المعمدان St. John, the Baptist . ولهم كتب مقدسة مكتوبة باليد بلغة تقرب من اللغات السريانية والآرامية ، تسمى اللغة المندائية Mandaean . وأهم طقوسهم الوضوء والاغتسال بالماء . فهم يعتقدون ان الماء هو العنصر الذى يعطى الحياة للجسم والروح ولذا فهم يغتسلون به بقدر ما يستطيعون وفى أوقات مختلفة . فكل شىء يؤكل يجب ان يغسل بالماء الجارى . ويذبح قسسمهم الحيوانات التى يأكلونها ويعقدون الزيجات وقيمون احتفالات الدفن . وللصبة أيام أعياد وصوم خاصة . وهم لا يتزوجون بغير النساء الصابئيات ويتجنبون أى اتصال وثيق مع ذوى الاديان الاخرى . ويبلغ عددهم حوالى الاربعة آلاف نسمة فى العراق ومنهم الاساسية الحدادة وصياغة الفضة وبناء الزوارق (والبلاد)^(١) .

ان المركزين الهامين لد (صبة) فى العراق هما منطقتا العمارة وسوق الشيوخ . والى ما يقرب من اربعين سنة كانت قرابة مائة وعشرين عائلة من (الصبة) تعيش فى الجبايش ، ولكن كل هذه العوائل هاجرت تدريجيا الى القرنة وسوق الشيوخ وذلك لانها فى فترة الاضطرابات السياسية فى (١٩١٤ - ١٩٢٤) كانت دائما يعتدى عليها وتسرق ممتلكاتها من قبل بعض آل خيون . كما أن الهبوط الكبير فى موارد تلك العوائل المعاشية نتيجة للاضطرابات السياسية المذكورة ولتزايد اتصال الجبايش بالعالم الخارجى وميل أهل القرية الى استيراد كثير مما كانوا يشترونه من (الصبة) فيها ، دفع بعوائل (الصبة) القليلة الباقية خارج القرية . فمثلا كانت كافة الزوارق

(١) لزيادة المعلومات عن الصابئة راجع مؤلفات Drower, E. S. المعروفة سابقا باسم Stevens, E.S. ، خاصة كتابها

Mhe Mandaean of Iraq and Iran, Oxford, 1937.

و (البلاد) التى يستعملها أهل الجياش بنى محليا من قبل (الصبّة) ولكن بناء على ازدياد الاتصال بالعالم الخارجى ، بدأ أهل الجياش يشترى زوارقهم و (بلامهم) من (الهوير) ، وهى قرية فى الهوير تبعد حوالى خمسة عشر ميلا شرق الجياش ، لان (مشاحيف) و (بلاد) أهل (الهوير) كانت أجود صنعا وأقل سعرا .

وتعيش الآن ثلاث عوائل (صبّة) فقط فى الجياش ، تكون من ثلاثة عشر شخصا . ورجال كل هذه العوائل الثلاث حدادون يصنعون (القول)^(١) والمناجل و (المشكات) لتفشيّق القصب و (المساحى) والمسامير وغير ذلك . وهم لا يزاولون الزراعة أو حياكة الحصر ولكنهم يربون الماشية .

ولان (الصبّة) ليسوا مسلمين فان أهل الجياش يعتبرونهم انجاسا فلا يؤاكلونهم ولا يشربون من الاوانى التى يشربون منها . ولا يمكن طبعا تصور حدوث تزواج بينهم وبين الصابئة . ولقد حدث ان حاول أحد عبيد القرية التزوج بفتاة (صبّة) عن طريق (التهية) . فنهبا ، ولكن أهلها بذلوا مجهودات كبيرة لالقاء القبض على الناهب والمنهوبة ، ثم رفضوا ، حين تم لهم ما أرادوا ، ان يقبلوا فصلا عن فتاتهم بحسب ما تقتضيه التقاليد العشائرية ، لانهم لم يرضوا اعطاء فتاتهم زوجة ، كما يلزمه حل القضية عن طريق الفصل ، لمسلم هو عبد فى الوقت عينه .

ويعيش (الصبّة) فى الجياش فى عزلة تامة عن بقية أفراد العشيرة ، رغم ان الجزر التى يسكنونها تقع داخل (النزل) . وكنيجة للسرقات والاضرار التى تعرضوا لها فى الماضى ، سجلت العوائل الثلاث التى اختارت البقاء فى الجياش مع فخذ (آل عويتى) من حمولة آل الشيخ وكانوا عندئذ مشهورين بانهم سراق وقطاع طرق ، لكى تضمن تلك العوائل الثلاث مزيدا من الامن والطمأنينة . ورغم هذا التبنى والسكنى داخل العشيرة ، ورغم ان

(١) جمع (فالة) وهى رمح لصيد السمك .

(الصبّة) يشتركون في كافة الفصول مع أفراد العشيرة ، فهم لا يحلون مشاكلهم عن طريق سركال الحمولة المسجلين معها ، ولا يشتركون في فعاليات القبيلة ، فهم يرجعون للحكومة ويعتمدون عليها في الشؤون الخاصة بالحماية وللحصول على حقوقهم .

٧ - التقسيم الطبقي بين أهل الجبايش

ان التقسيم الطبقي بين بنى أسد يقوم ، كما حاولت ان أبين ، على أساس الوراثة في حالة اربع من الطبقات هي السادة وآل خيون والعبيد والصابئة . اما في حالة الطبقتين الاخرين وهما (السراكيل والمخاتير وأجاويد الطايفة) والعوام ، فالذى يقرر كون الفرد عضوا في أحدهما ليس الوراثة بل المركز الذى يحصل عليه الفرد عن طريق السلوك الحسن والسمعة الطيبة والمعلومات بالقانون العشائرى وما الى ذلك مما ذكرناه آنفا . فيستطيع عضو من طبقة العوام مثلا ان يصبح من (أجاويد الطايفة) أو رئيسا لفخذ أو سرкала لحمولته . كما قد يطرد مختار أو سركال من مركزه . وفي حالة تعيين السراكيل^(١) تعار الوراثة أكبر أهمية . فابن السركال المتوفى هو المرشح الاول والمرغوب فيه للمركز شريطة ان يملك بعض المؤهلات الاخرى . ولكن مجرد كونه ابنا للسركال المتوفى لا يضطر الحكومة على تعيينه بعد والده بلا تدبر أو تمحيص . ولذا فان الارتقاء والهبوط فى السلم الاجتماعى ممكن فى هاتين الطبقتين فقط . وينقسم مجتمع الجبايش الى هذه الطبقات الست بشكل مستقل عن تقسيمه الى حمايل وأفخاذ . ففى كل فخذ أو حمولة يمكن ان نجد ممثل أو أكثر لاربعة من هذه الطبقات هي السادة و (السراكيل والمخاتير وأجاويد الطايفة) والعوام والعبيد . اما آل خيون فهم حمولة مستقلة ، وأما الصابئة ، فرغم اندماجهم فى حمولة آل الشيخ عن طريق الكتبة ، فانهم فى الواقع لا يعدون أفرادا فى الحمولة لاسباب دينية .

(١) راجع الفصل الثامن .

لقد كانت الحواجز بين الطبقات الاجتماعية فى الماضى أكثر صلابة وقوة مما هى عليه الآن • فلقد بينا كيف ان كلا من آل خيون والعبيد يكيفون أنفسهم للحياة كأفراد عاديين فى العشيرة عن طريق الامتزاج بها ؛ ففقد آل خيون أكثر امتيازاتهم وحقوقهم القديمة وتحملوا واجبات جديدة ، كما تخلص العبيد من كل معوقاتهم الاجتماعية تقريبا وحصلوا على حقوق وامتيازات جديدة • وبعد ثلاثين عاما من ذلك التحول الجوهري السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، فان آل خيون الآن لا يعدون طبقة اجتماعية الا اذا نظر لهم من حيث النسب والتاريخ ، وهذا عين الامر فيما يخص العبيد • ورغم ان حاجز الوراثة لا يزال فعالا بالنسبة للسادة ، فان كونهم جميعا ، بحكم الضغط الاقتصادى ، قد بدأوا كلهم يكسبون حياتهم بعد الغاء المشيخة مباشرة بطرق مختلفة ، قد محا كثيرا من الصفات والمميزات القديمة لهذه الطبقة • فلقد رأينا كيف ان اربع عوائل من السادة يزاولون الربى فيدمرون بذلك اعتبارهم ، وكيف ان رجلين منهم كانا يستعطيان للحصول على عيشهما • ولا يعيش سيد واحد اليوم فى الجبايش ، كما كان يفعل كافة أفراد هذه الطبقة سابقا حتى الغاء المشيخة ، كرمز دينى يجب على الناس ان يقدموا له الخبز والاحترام • ولا يوجد أحد فى القرية الآن ، بعد التطور السياسى الذى جعل فرض الضرائب عملا من اختصاص الحكومة وحدها ، ليقدّم للسادة «خمس جدهم»^(١) • وعلى هذا فعليهم أن يعملوا ليكسبوا معاشهم •

(١) للسيد ، بموجب تعاليم مذهب الشيعة ، حق فى خمس ثروة المسلم • وكان الشيوخ فى الجبايش يجمعون هذا الخمس من افراد العشيرة ويقدمونه الى السادة • اما الآن فلا يدفع أحد فى الجبايش هذا الخمس الا اذا ازمع الحج لبيت الله ، اذ المعتقد ان (التخميس) اجراء ضرورى لضمان قبول الحج • وحتى فى هذه الحالة فان الخمس يدفع عن الثروة النقدية فحسب وفى مدينة النجف حيث يوزع بموجب نظام معين بين كافة السادة فى القطر أو يستخدم لاغراض دينية اخرى •

ان الاتصال بين أفراد طبقة وأخرى مسموح به ولا يتقيد بأية قواعد أو تقاليد ، باستثناء حالة (الصبة) اذ لا يتعدى الاتصال الكلام واللمس . أما السادة وآل خيون و (السراكيل والمخاتير وأجاويد الطائفة) والعوام والعبيد فإنهم يجلسون معا ويتعاملون ويتحدثون مع بعضهم بحرية . وحتى الزواج داخل المجموعة ، كما بنا ، فانه يتقيد به فيما يخص (الصبة) لاسباب دينية فقط . ولا يتزوج بنى أسد مع العبيد ، الذين كانوا قبلا طبقة حقيرة مملوكة ، لمثل فى النقاء العنصرى ، لان العبيد من أصل زنجى . ولقد رأينا ان آل خيون يزاولون نوعا محدودا من التزوج داخل حملتهم بقدر ما يتعلق الامر بنسائهم . ومن المشكوك فيه جدا ، بناء على زيادة عدد النساء غير المتزوجات فى الحمولة وبناء على الضعف التدريجى الذى صار يتسرب لكافة تقاليد آل خيون ، ان يستطيعوا المحافظة على هذا التقليد طويلا .

اما التمييز المهنى فانه مستعمل من قبل بنى أسد لتمييز أنفسهم عن الفرق والفصائل من القبائل والعشائر التى انضوت تحت لوائهم أو اندمجت فيهم عن طريق الكتب كما سيظهر ذلك من الفصل النهائى للجزء الثانى . ولكن هذا التمييز المهنى لا يستعمل داخل العشيرة للتمييز بين طبقاتها الاجتماعية المختلفة . كما لا يوجد اتصال واضح بين المكانة الاجتماعية والمزايا الاقتصادية . فمثلا يوجد بين السادة وهم أرفع طبقة اجتماعية فى العشيرة تجار وأصحاب أراض ودكاكين وزراع وشحاذون ، وكذا يوجد بين العبيد أصحاب دكاكين وموظفين وزراع وحائكو حصر . وهذا صحيح بالنسبة لكافة الطبقات الاجتماعية فى القرية . ولا يمنع فرد من أية حمولة من مزاولة أية مهنة بسبب منزلته الاجتماعية ، كما ان الغنى والفقر بذاتهما لا يمكن ان يقررا مطلقا المركز الاجتماعى للفرد .

الفصل السابع

المضيف

المضيف مركز هام من مراكز الحياة القبلية • ففي ملكه وبنائه يتقرر المركز الاجتماعي لصاحبه • والدور الذي يلعبه المضيف في الحياة الاجتماعية والسياسية للعشيرة بالغ الأهمية • وينظر أهل الجبايش لتقاليد المضيف وآدابه نظرة تقديس واحترام • والمضيف مكان تلتقى فيه الطبقات الاجتماعية وتتصل ببعضها طبقا لنظام وعرف دقيقين •

١ - ملك وبناء المضيف

كان بناء المضاييف أيام (مشيخة) آل خيون ، وبصورة خاصة بعد ما اتخذت (بنى أسد) الجبايش موطناً دائماً ، امتيازاً خاصاً بالشيوخ وبالاعضاء البارزين من حمولة آل خيون فقط • ولكن حين ضعفت سلطة آل خيون في الأيام الأخيرة من حكمهم ، ثم حين تلاشت تلك السلطة نهائياً عندما الغيت (المشيخة) ، صار كثير من رجال العشيرة وخاصة أفراد طبقة (السراكيل والمخاتير وأجاويد الطايفة) المستحدثة ، ينون لانفسهم مضاييف خاصة •

وكان في عام ١٩٥٣ قرابة ستمائة مضيف في الجبايش تملكها الالف وستمائة واربع عوائل القاطنة في القرية • وكانت المائة وعشرون عائلة التي أحصيتها تملك تسعا واربعين مضيفا بمعدل مضيف واحد لكل ٢٤٥ عائلة • والسبب الاساسي في كثرة وجود المضاييف في القرية هو أن المضيف لم يعد

امتيازاً وحققا خاصا بالشيوخ وبآل خيون ، وان بناءه وملكه أصبح مصدرا للاعتبار الاجتماعى للفرد العادى فى العشيرة .

والمضيف عبارة عن كوخ قصبى بالغ السعة يشاد من أعمدة ضخمة من قصب قوى (شباب) وحصر قصبية كبيرة (بوارى) ، ومن جدارين جانبيين يقامان من قصب وحصر أيضا . وتتلخص عملية البناء بما يأتى :

تقام حوامل من قصب لتصنع فوقها (الشباب) ، تدعى (الطزل) . ثم يفرش القصب على (الطزل) بطول وعرض (الشبه) المطلوب ، ثم يحزم حزمًا قويا بأربطة مصنوعة من قصب مفشق ملوى تدعى (بنود) . وتصنع (الشبه) بحيث تكون سميكة فى قاعدتها ورفيعة فى طرفها العلوى . ويجهز العدد المطلوب من (الشباب) بحسب حجم المضيف وسعته . ويبدأ البناء الحقيقى للمضيف فى يوم يسمى (يوم التشجيخ) ، الذى يكون عادة يوم أحد ، فتحفر فى ذلك اليوم حفر بعدد (شباب) المضيف فى صفين متقابلين وعلى خطين متوازيين ومتساويين ، يمثل طول كل منهما طول المضيف والبعد بينهما عرضه ، ويمتدان من الشرق الى الغرب . ثم ترفع كل (شبة) وتفرز قاعدتها السميكة فى الحفرة وتملأ الحفرة بالتراب ثم تسند (الشبة) من الخلف بأعمدة خشبية قوية وتلك الحفرة بعد ذلك دكا قويا متقنا بأعمدة من خشب أيضا لضمان تماسك الارض وعدم ميل (الشبة) . وتفرز (الشبة) فى حفرتها بوضع مائل الى الورا بحيث تشكل (الشباب) مع أرض المضيف زوايا منفرجة درجة كل واحدة منها حوالى ١٢٠ درجة . وعندما يكون المضيف كبيرا واعمدته ضخمة يقتضى رفع (الشبة) الواحدة وغرزها فى حفرتها عددا كبيرا جدا من الرجال يتراوح بين ٦٠ - ٨٠ رجلا ، واستعمال جبال قوية وبكرات ضخمة . ثم تجهز ال (هطر) ، وهى أعمدة طويلة من القصب ، طول كل واحد منها بطول المضيف ولكنها رفيعة السمك ، تربط كقواطع أفقية على الهيكل الرئيسى المكوّن من الاقواس

الناجمة من حنو (الشباب) وربط رؤوسها • ثم يحل ما يسمى بـ (يوم
البنان) ، وهو اليوم الاساسى فى بناء المضيف والذي يحشد فيه أكبر عدد
من (العوانة) • وتجنّى فى هذا اليوم (الشباب) وتربط رؤوسها بعد فك
(البنود) العليا لكل (شبتين) متقابلتين واعادة شدهما معا بحيث يتساوى
سمكهما فيكونان قوسا واحدا متسق الانحناء والسمك ، ويتم ذلك بشد حبال
قوية لرؤوس (الشباب) وسحبها الى الاسفل من قبل عدد من الرجال •
ويلاحظ فى (الحنيان) أن تكون قمم الاقواس على ارتفاع واحد ودرجة
انحنائها واحدة • ثم (تلبس) (الشباب) كلها بقصب يختار بعناية بحيث
يكون جميل المنظر وذا سمك واحد ومقشر • فتلف كل (شبة) ، بعد ان
تفك بنودها القديمة ، بطبقة من هذا القصب وتحزم بـ (بنود) أخرى
جديدة منتقاة • ويقام بكل هذه العمليات بكثير من العناية ومزيد من الصبر •
ثم تشد (الهطر) ؛ فيربط اسمكها ويدعى (الابو) فى منتصف تقويس
الحنيات من الاعلى متقاطعا مع كافة (الشباب) • ويشد الى جانبيه اثنان
آخران أقل منه سمكا ، يسميان (الخلفات) • ثم تشد (الهطر) الباقية ،
التي يجب ان تكون كلها متساوية فى سمكها ، بحيث تغطى كافة الهيكل
بشكل خطوط مستقيمة متوازية متساوية البعد فيما بينها وتاركة مسافة لا تزيد
على ثلاثة أقدام من الارض على جانبى الهيكل • ثم يصنع الجداران اللذان
يسدان فتحتى المضيف الجانبيين ، ويسميان (الكواسر) • فيغرز فى كل
جهة نصفاً جذع نخلة قوية ويصنع حول كل نصف (شبة) كبيرة من
القصب بحيث يصبح نصف جذع النخلة قلبا لد (شبة) ويكون البعد بين
(الشبة) والاخرى متساويا ويقسمان معا الحائط الجانبى لثلاثة أقسام
متساوية • ثم يقام على (الشبتين) حائط من (مشبج) و (بوارى) له باب
وفتحتان جانبيتان كشباكين • وتجعل الباب الرئيسية للمضيف فى (الكوسر) المواجهة
للغرب (الجبل) حيث تقع الكعبة ومكة تيمنا وطبقا للتقاليد • وآخر عملية
فى البناء هى اكساء هيكل المضيف كله بـ (البوارى) ، فتلقى أولا البوارى

الجديدة الكبيرة ، التي تحاك خصيصا لهذا الغرض ، فوق الهيكل بوجوهها الى الجهة السفلى وتلقى فوقها طبقة ثانية من (بوارى) قديمة ثم تفرش فوق هذه طبقة ثالثة من (بوارى) جديدة كبيرة ثم تثبت (البوارى) كلها بـ (هطر) خارجية • وتسد المسافة القليلة بين الارض و (البوارى) التي تغطي الهيكل حتى آخر ال (هطر) الجانبية بـ (مشبج) يمتد على طول المضيف لغرض ادخال الهواء فى أيام الصيف الحارة •

ويختلف حجم المضيف فى الجبايش من ٢٤ - ٩٨ قدما طولا ومن ١٠-١٥ قدما عرضا ، ويتراوح عدد (الشباب) من ٧ - ١٧ (شبة) ويجب ان يكون عددها ، طبقا للتقاليد ، فرديا • ولضخامة حجم المضيف بالقياس لحجم الكوخ العادى ، فان المضيف تلوح للقدامى للقرية من بعيد بهياكلها الضخمة وألوانها الصفراء ، فتبدو بجانبها الاكواخ صغيرة متواضعة المظهر •

ويمكن تقسيم المضيف بحسب أهميتها والادوار التى تلعبها فى المجتمع قسمين متميزين ؛ مضيف الحمايل ومضيف (المخاتير والاجاويد) • فتكون مضيف الحمايل عادة أكبر حجما وتعتبر المركز الاجتماعى والسياسى للحمايل • وتقدم القهوة فيها كل صباح ، فتدق مع بزوغ الشمس ويتقاطر رجال الحمولة على مضيفهم ليمضوا فيه ساعة أو اثنتين قبل ان يتفرقوا لاداء أعمالهم اليومية • وعلى (السركال) ان يحضر المجلس الصباحى فى مضيفه كل يوم ، فان منعه عن الحضور مرض أو أى سبب آخر فيجب ان يظل المضيف مفتوحا ، وان تقدم القهوة فيه كالعادة ، وينوب عن (السركال) فى الحضور أبن أو أخ • وتفتح مضيف الحمايل لكل طارق ، ان كان فردا من الحمولة أو غريبا ، يستطيع ان يرتاده ويشرب القهوة • والاهمية الاساسية لمضيف الحمايل فى الدور السياسى الذى تلعبه فى حياة الحمولة كما سنرى ذلك فيما بعد •

وتقدم القهوة فى الصنف الثانى من المضيف بعد الظهر وفى أيام

الاعياد والمناسبات الدينية • ويحضّر بعض (المخاتير والاجاويد) القهوة فى أيام معينة معلومة من كل اسبوع ، فى حين لا يفعل ذلك بعضهم الاخر الا فى المناسبات ؛ كأن ينزل عليهم ضيف أو حين تكون لديهم أخبار أو شؤون هامة يريدون تبليغها لآخوتهم فى الفخذ أو عرضها عليهم لمناقشتها وتبادل رأى فيها • وفى مثل هذه الحالة يستخدم الهاون النحاسى الذى تدق فيه حبوب القهوة كأشارة أو كجرس لجمع كافة أفراد الحمولة الذين يطرق اسماعهم صوته ، واهل الجبايش ذوو قابلية خارقة لالتقاط صوت الهاون وتعيين مكانه بكل دقة • وتحضّر فى العادة كمية قليلة من القهوة للاجتماعات المسائية لقلّة عدد الرجال الذين يحضرون ، فالمادة ان رجال الفخذ والجيران فقط هم الذين يرتادون المضاييف الخاصة ولكن الاصدقاء وأفراد الحمولة الذين يسمعون صوت الهاون أو لفظ الرجال المجتمعين أو الذين يلمحون الدخان يتصاعد من المضيف ، قد يأتون لشرب القهوة وتمضية بعض الوقت فى السمر •

ويعاد بناء المضاييف الكبيرة عادة كل خمسة عشر عاما أو ما يقرب من ذلك ، ولكنها يجب ان تصلح مرتين فى النصف الثانى من هذه الفترة • وتدوم المضاييف الصغيرة مدة أطول ولكن الفيضانات العالية المتكررة قد تقصر هذا الامد فتتداعى المضاييف وينهد هيكلها فى فترات أقصر • ولا سبيل الى بناء المضيف الا بالعمل الاجماعى Communal work فتبنى مضاييف الحمايل من قبل كافة رجال الحمولة البالغين • وبما ان المضيف يعتبر (مضيف الطائفة) فواجب كل فرد من أفراد الحمولة ان يساهم فى العمل • فيقرر (السركال) الراغب فى بناء مضيفه موعد ابتداء العمل ويطلب بعد ذلك شخصا العون من رجاله الذين يحضرون مضيفه كل يوم (ينخاهم) ، أو قد يرسل ابنا أو أخا لـ (ينخى) الرجال مارا بعوائلهم واحدة واحدة • فان تعذر على كافة رجال عائلة ما ان يشاركوا فى بناء المضيف ، خاصة فى أيام معينة من البناء تقتضى عددا كبيرا من الرجال كيوم اقامة الاعمدة وغرزها

(يوم التشيخ) أو يوم حنيها وتغليفا (يوم البنيان) ، فلا أقل من ان ترسل العائلة فردا واحدا يمثلها وينوب عن بقية رجالها • وفي أيام البناء التي لا تحتاج الى عدد كبير من الرجال ، يستعين (السركال) بالذين يعيشون قريبا منه أو باصدقائه المقربين أو بذوى المسؤوليات الاقتصادية القليلة • فالكميات الهائلة من القصب اللازم لصنع (الشباب) أو (الهطر) يجب ان تقطع وتجلب من أماكن بعيدة في الهور يصعب الوصول اليها • والحصر البالغة السعة والتي تحاك خصيصا يجب ان تقدم من كافة عوائل الحملة المختصة •

ويتصرف كل فخذ من أفخاذ الحملة في بناء مضيف حملتهم كوحدة منفصلة ، فيأخذ كل واحد على عاتقه مسؤولية غرز وحني وتغليف زوج من الاعمدة بالقصب المنتقى ، ويعرف ذلك الزوج بعد تمام البنيان باسم الفخذ • وتتنافس الافخاذ فيما بينها لتتم العمل المنوط بها على أكمل وجه وفي أسرع وقت • وقد يتراهن فخذان فيعينان جائزة وحكما يحتكما اليه بعد تمام العمل • و (يهوس) الرجال اثناء العمل (هوساتهم) المألوفة وحيانا (هوسات) تؤلف خصيصا في مدح صاحب المضيف • وقد يحضر الرجال البارزون في القرية كالسادة أو الافراد البارزين في حملة آل خيون ليشجعوا الرجال العاملين على بذل قصارى جهدهم في العمل وليكرموا صاحب المضيف ويشرفوه بحضورهم • ودور أمثال هؤلاء الرجال في البناء شكلي محض ؛ فهم يراقبون ويصدرون بعض التوجيهات ويقومون بأعمال رمزية معينة كمنعوتهم في رفع وغرز (الشباب) وما الى ذلك •

وعلى صاحب المضيف ان يقدم لكافة الرجال الذين يعملون في بناء مضيفه (العوانة) وجبتى طعام في كل يوم من أيام العمل ؛ الاولى ، وتدعى « ريوك » ، تكون من التمر وتقدم في حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا والثانية ، وتدعى (غده) ، ويجب ان تكون من الرز واللحم ، وتقدم في حوالى الساعة الثانية بعد الظهر •

وعملية بناء مضيف حمولة ، وهو كبير يتكون عادة من احدى عشرة الى سبع عشرة (شبة) طولا ، باهضة التكاليف . فحين بنى مضيف حمولة آل الشيخ فى شباط - مارت عام ١٩٥٣ ، اقتضى العمل ٧٣٨٤ ساعة^(١) صرفت فى ٢٨ يوما ، واشتغل فيه فى (يوم الشحيج) حوالى ١٥٠ رجلا لمدة ست ساعات وفى (يوم البنيان) حوالى ١٦٠ رجلا لمدة ثمانى ساعات . وفى يوم آخر اشتغل حوالى ١٠٠ رجل لمدة سبع ساعات وفى ستة أيام أخرى اشتغل بين ٥٠ و ٨٠ رجلا بمعدل يتراوح بين ست الى عشر ساعات يوميا . وفى الايام التسعة عشر الباقية اشتغل بين ٣ الى ٣٠ رجلا فى أعمال صغيرة غير أساسية فى البناء .

ورغم ان كافة المواد الاولية اللازمة لبناء المضيف تقدم من الحمولة ، وان العمل ، باستثناء عمل (الاسطة) الذى يشرف على البناء ، يقدم من قبل أعضاء الحمولة عن طريق (النخوة) ، رغم هذا كله فان بناء مضيف حمولة يكلف كثيرا من المال . فلقد تكلف بناء مضيف حمولة آل الشيخ مبلغ (١٤٠/٢٥٠ دينار) :

٩٩/١٥٠ دينارا منها صرفت على الطعام لك (عوآنه) كالارز واللحم والتمر والسكر والشاى والقهوة والسجائر وما الى ذلك . و
٤١/١٠٠ دينارا ثمن حبال وجذوع نخل وأجور لك (اسطة) ولعمال من (المعدان) دفنوا بعض أقسام من ارض المضيف ولشراء بعض (البوارى) وأجور (بلام) وتراب ومصاريف متفرقة أخرى .

ويتكفل (السركال) بكافة هذه المصروفات ويقدمها من جيبه الخاص . وتقع مسؤولية بناء مضيف رئيس الفخذ أو الرجل البارز فيه على رجال فخذهم وحدهم ، ولكن قد يساهم فى ذلك الجيران والاصدقاء وخاصة فى اليومين اللذين يستلزمان عددا كبيرا من الرجال . ولرئيس الفخذ الحق فى

(١) نقصد بالساعة هنا ما يسمى Man-hour

طلب معونة عائلة أو أكثر من الافخاذ المجاورة ، على ان يكون قد استفد عون
العوائل التابعة لفخذه . ولا تختلف مسؤوليات والتزامات صاحب المضيف
و (العوانة) فى البناء فى هذا النوع من المضيف عما سبق ذكره فى
مضيف الحمائل . ويكلف بناء المضيف الصغيرة بين ٥٠/٠٠٠ و ١٠٠/٠٠٠ دينار .

ان الاعتبار الاجتماعى Social prestige فى الجبايش يتقرر بعوامل
كثيرة من أهمها بناء وادامة مضيف . ومهما تكن المؤهلات الاخرى التى
يملكها الفرد فى العشيرة فانه قد لا يوفق للارتفاع الى مرتبة (أجاويد
الطايفة) ان لم يملك مضييفا ، ويواضب على استقبال الناس فيه . فهناك
أمثلة فى القرية على أشخاص فقدوا اعتبارهم الاجتماعى لانهم أهملوا
مضيفهم بسبب انشغالهم فى الكسب المادى . ومن ناحية أخرى فان كثيرا
من الرجال الذين لم تتوفر فيهم الشروط والمؤهلات الاعتيادية الكافية للحصول
على الاعتبار الاجتماعى ، بلغوا ذلك عن طريق بناء مضيف وتقديم القهوة
فيه للضيوف بين حين وآخر .

ويملك كافة رؤوساء الحمائل والافخاذ مضيف لانها من مستلزمات
مركزهم . ولا يستطيع الفرد العادى فى العشيرة الذى يرغب فى ان يظفر
باحترام واعتبار اجتماعى عن طريق بناء مضيف ان يحصل على ذلك بمجرد
قدرته على تهيئة نفقات البناء . فان أهم عنصر فى بناء المضيف فى الواقع
هو العمل الاجتماعى الذى لا يمكن للشخص الحصول عليه ما لم يكن قد
بلغ مرتبة من الاعتبار بين فخذه أو حمولته تخوله طلب ذلك . فرغبة أفراد
الفخذ فى تقديم العمل شرط اساسى يجب توفره قبل الاقدام على بناء المضيف .
وفى الواقع حين يصل شخص ما الى مرتبة من الاعتبار والتميز الاجتماعى
بحيث يستحق معها ان يملك مضييفا يقترح عليه أفراد فخذه أو حمولته ان
يبادر لبناء مضيف ويعرضوا عليه العون والعمل ، فيأتى الاقتراح فى أغلب
الحالات من أفراد الفخذ أو الحمولة وليس من الشخص الراغب فى البناء

نفسه • وحتى اذا ما أصر رجل على ان يميز نفسه ويرفع مستواه الاجتماعي عن طريق بناء مضيف قبل ان يصبح مخولا اجتماعيا ان يفعل ذلك ، بان يشتري القصب و (البوارى) وبقية المواد الاولية بالمال ، فانه لا يستطيع ان يشتري العمل • اذ لا سبيل الى الحصول على عمال اجيرين فى القرية للقيام بعمل كبير ضخّم كبناء مضيف • ففى يومين أو ثلاثة من ايام البناء يحتاج حتى اصغر المضيف الى ما لا يقل عن ثلاثين رجلا •

والاعتبار الاجتماعى لا يحصل عليه بواسطة ملك المضيف فحسب ولكن له علاقة بحجمه ايضا • فالناس يحاولون ان يبنوا مضافهم بأوسع ما يستطيعون ، ولكن المركز الاجتماعى للمالك المضيف يقرر ويحدد سعته • فكلما ارتفع مركز الفرد كلما اصبح بمقدوره ان يوسع مضيفه • فقد كان اكبر مضيف فى الجبايش مضيف الشيخ سالم آل خيون الذى كان مشادا على عدد (الشباب) التقليدى^(١) لآل خيون وهو ثلاث عشرة (شبة) ، وعندما غيّر الشيخ سالم (الشباب) تحت تأثير اغراء سيد من السادة الى خمس عشرة انتقد الشيخ انتقادا لاذعا بسبب ذلك المسلك • وحين اقصى ذلك الشيخ عن (المشيخة) واحرق الطائرات فى الحركات التأديبية التى قامت بها الحكومة ضده مضيفه الجديد فى نفس السنة التى بناه فيها ، اعتقد كثير من اهل الجبايش ان قد حصل له ذلك لاهماله التقاليد والعادات العشائرية بما فى ذلك تبديله عدد (الشباب) التى بنى عليها مضيفه • وفى عام ١٩٤٧ بنى ولده ، ثعبان آل خيون ، الذى ما هو شيخ ولا سركال ، مضيف اكبر حتى من ذلك الذى بناه والده ، اذ اشاده على سبع عشرة (شبة) • وترتب على ذلك ان انتقد نقدا لاذعا وبشكل صريح • فحتى رئيس آل خيون الذى هو بعين الوقت (سركال) اكبر حمولة فى القرية وهى حمولة آل الشيخ ، لم يتجاوز مضيفه الثلاث عشرة (شبة) • واذا

(١) تتخذ بعض البيوت والعوائل اعدادا تقليدية لـ (شباب) مضافها تحافظ عليها وتطير من تغييرها •

اراد اليوم شخص بارز فى القرية ان يبنى مضييفا اكبر كثيرا مما يسمح له به مركزه الاجتماعى فانه يمنع من قبل (الاجاويد) والبارزين فى فخذة أو حملته فيصّر بان فلانا وفلانا من (المختاير) و (الاجاويد) الذينهم أرفع منه مقاما لهم مضايف اصغر مما يريد هو ان يبنى لنفسه •

واذا اخذنا بنظر الاعتبار مستوى المعيشة للاغلبية الساحقة من اهل الجبايش والكلفة العالية لبناء المضيف ، يظهر جليا ان ملك وحجم المضيف ليس مجرد رمز اجتماعى فارغ ، بل هو دليل قاطع على الحالة الاقتصادية للمالكه • فانعدام المقدرة المادية اذن هو السبب الوحيد الذى يمنع كثيرا من الاشخاص المخولين اجتماعيا بناء مضايف عن تحقيق ذلك الحلم العزيز على نفوسهم • ويجوز ان يساعد امثال هؤلاء الرجال ، خاصة ان كانوا (مختاير أو اجاويد) ، تبرعات أو قروض من الاصدقاء أو من اعضاء افخاذهم وحمائلهم ليتمكنوا من بناء مضايف •

ويسبغ المضيف على صاحبه اعتبارا وامتيازا اجتماعيا لان افراد العشيرة يجتمعون فيه حول صاحبه ، وكما يقول اهل الجبايش (يشربون جهوته ويسمعون حجه) • ولقد اعتاد افراد العشيرة سابقا ان يجتمعوا فى مضايف شيوخهم ورؤسائهم فيسمعوا قراراتهم واوامرهم بصدد الحروب والنزاعات والفعاليات الاقتصادية • وعلى هذا المنوال يكتسب مالك كل مضيف اعتبارا ويصبح متنفذا لان الناس يجتمعون فى مضييفه كما كانوا يجتمعون فى مضايف الشيوخ والرؤساء • ومالك المضيف الذى يثلم شرفه لارتكاب احدى نساء بيته الزنى أو (النهية) ، يجب ان (يجفّى الدلال) و (يسد باب مضييفه) ولا يفتح مرة اخرى ويعود لعمل القهوة الا اذا استعاد شرفه بقتل المذنبة أو الحصول على (الفصل) • وما لم يفعل ذلك فلا يعتبره احد لائقا ان يزار ولا ان تشرب قهوته • وبنفس الطريقة لا

يستطيع ابن ان يبنى مضييفا لنفسه ما دام ابوه حيا ويسكن معه فى القرية ، لان المفروض فى الولد الا ينافس والده فى الحصول على مركز اجتماعى اعلى من مركزه .

لقد بدأ الاتصال الوثيق بين الجياش والعالم الخارجى منذ الحرب العالمية الاولى ، فأدى هذا الاتصال ، وادخال اساليب ادارية واقتصادية جديدة لم تألفها القرية من قبل ، الى خلق طبقة جديدة من التجار واصحاب الحوانيت والمستخدمين فيها . ومن الواضح ان طبيعة عمل افراد هذه الطبقة يتنافى مع التقاليد العشائرية^(١) . ويبدو هذا التنافى جليا جدا فى المضيف . لقد ترتب على اغلب افراد هذه الطبقة الجديدة ان يتركوا مضاييف ابائهم أو المضاييف التى بنوها هم انفسهم وكانوا يديرونها قبل ان ينغمروا فى اعمالهم التجارية . فلقد تبين لهم انهم لن يستطيعوا ايجاد الوقت الكافى لىستضيفوا الناس كل يوم ساعات فى مضاييفهم ، كما انهم صاروا اقل اهتماما فى الشؤون العشائرية التى تبحث وتناقش فى المضيف ، هذا بالاضافة الى انهم يدخلون بضمن القهوة وغيرها من المصروفات اللازمة . ومهما يكن من أمر فان اولئك الذين فرطوا بالمضيف ، وهو أعز واغلى التقاليد العشائرية ، من اجل الكسب المادى ، فقدوا كثيرا للغاية من اعتبارهم الشخصى فى نظر اهل العشيرة . ولقد حاول بعض افراد هذه الطبقة ان يعوض ذلك الفقد بتخصيص غرف فى بيوتهم المبنية من الطابوق ، تسمى الواحدة منها (ديوانية) تستعمل لاستقبال الضيوف فى مناسبات خاصة كالاعیاد وما يشبه ذلك ويقدم فيها الشاى وربما القهوة ولكن اهل الجياش لا يعتقدون ان هذه الغرف المبنية بالطابوق يمكن ان تقارن بالمضيف . فلقد اخبرنى طارق آل خيون اثناء بناء مضيف والده مثلا ، بأن فى مقدورهم ان يبنوا (ديوانية) فى كلفة اقل من كلفة بناء المضيف . ولكن هذا لا يتفق ورغبة اهل العشيرة الذين يريدون مضييفا يلتقون به ، ولا

(١) لدراسة مفصلة عن هذه الطبقة وحياتها راجع الفصل الخامس عشر فى الجزء الثانى .

(ديوانية) فى رأيهم تعدل مضيف القصب • ولقد قال مرة احد رجال حمولة آل الشيخ وهو ثرى صاحب دكاكين ويعيش فى بيت حديث مبنى من آجر ، انه مصمم ان يبنى لنفسه مضيفا من قصب رغم انه يملك فى بيته (ديوانية) ، لانه يعتقد ان ذلك لا يبرر اهماله بناء مضيف من قصب وهو رمز الاعتبار الاجتماعى • ثم اضاف (مجان الدلال المضيف ، موش الديوانية) •

ان ظهور هذه الطبقة الجديدة من رجال الاعمال والمستخدمين فى القرية ، ووجود عدد من افراد الشرطة والمعلمين والموظفين الذين لا يستطيعون بحكم اعمالهم وبحكم سكنهم فى قسم (الناحية) من القرية ، اوجد عددا من المقاهى فى ذلك القسم تدار تجاريا كما هى الحال فى المدن • وفى عام ١٩٥٣ كانت فى الجبايش اربع من هذه المقاهى يقدم فيها الشاى ، وليس القهوة ، لقاء ثمن معين ويرتادها الناس فى أى وقت فى النهار وأول الليل ليشربوا الشاى ويمضوا اوقات فراغهم • والجدير بالتنويه هو ان رواد هذه المقاهى كلهم اما من الغرباء عن العشيرة كالفئات المار ذكرها أو من الشباب وذوى المراكز الاجتماعية الواطئة من اهل القرية • أما افراد العشيرة ذوو المركز الاجتماعى الرفيع فانهم لا يجلسون فى هذه المقاهى مطلقا • وموضوعات الاحاديث الغالبة فى هذه المقاهى الاربعة الاسعار والبضائع والاشاعات عن الحكومة وموظفيها ، عوضا عما يسمع فى المضيف اعتياديا من اخبار ايام العشيرة وتقاليدها و (الفصول) و (السوانى) وشؤون الحصر والزراعة وما الى ذلك • ويلعب فى هذه المقاهى القمار خاصة فى الليل وهو عمل كرهه شنيع فى نظر اهل الجبايش • وطبيعى الا يكون مجال فى هذه المقاهى لتقاليد المضيف وآدابه •

٢ - دور المضيف فى المجتمع

يلعب المضيف دورا هاما للغاية فى حياة المجتمع كمركز اجتماعى وقاعة للاجتماعات السياسية ومحكمة عدل •

فيجتمع افراد العشيرة فى المضيف لتمضية اوقات فراغهم فى شرب القهوة والتدخين وتبادل الاخبار • وفى المضيف تقام احتفالات الزواج حيث يغنى المحتفلون ويطلقون العيارات النارية ويولون الولايم • وتقام فى المضيف كذلك الفواتح على ارواح الموتى ، حيث يأتى الناس لمدة ثلاثة ايام ليقدّموا تعازيهم لعائلة المتوفى ، وحيث تقدم لهم فى المضيف القهوة والسجائر والطعام • وفى المضيف ايضا تقام الاحتفالات الدينية فى شهر محرم فى ذكرى استشهاد الامام الحسين واهله وصحبه فى موقعة كربلاء • فيقيم (سر كال) كل حمولة فى مضيفه مجالس (القرائية) لمدة عشرة ايام نيابة عن كافة افراد حمولته • كما ان بعض وجوه القرية يقيمون (مجالس) خاصة فى مضيفهم بالاضافة الى (المجالس) المقامة فى مضيف حمايلهم • وفى العيدين ؛ (عيد رمضان) و (عيد أضحية) يجب ان يجهز مالك كل مضيف كمية كافية من القهوة والشاي و (الشربت) والسجائر ليحتفى بكل الذين يأتون مضيفه لتقديم التهاني فى هاتين المناسبتين • وينزل كل مسافر أو غريب فى مضيف أحد اصدقائه ان كان له فى القرية اصدقاء أو يذهب الى أى واحد من مضيف الحمائل حيث يقدم له فيه الطعام وحيث يمضى فيه ليلة أو اكثر • وفى أى مضيف يحل الغريب يجب ان يقدم له فيه الاكل والقهوة ويعد له فيه منام الى اية مدة يرغب أن يمضيها فى القرية •

وللمضيف دور هام آخر فى المجتمع • فهى اما كن أو قاعات للاجتماعات السياسية تدرس وتحسم فيها كافة الشؤون السياسية للحمولة كالضرائب وشؤون الاراضى والامور المتعلقة بالحكومة • وتوضع فى المضيف كافة الخطط وترسم الخطوط الاساسية للحمولة كوحدة سياسية من ناحية علاقتها بغيرها من الحمائل أو بالحكومة • وكان المجلس الحربى المسمى (العمرة) يعقد سابقا فى المضيف ، اما اليوم فتعقد فيه مجالس ومؤتمرات (اجاويد الطائفة) • والطريقة الوحيدة الصحيحة للتعرف على رأى العام فى معضل أو مشكل معين فى الحمولة أو العشيرة كلها هو ان يعرض الامر على الافراد المجتمعين

فى المضيف وينصت للتعليقات والمناقشات ورد الفعل • وترفع الدعاوى وتحل المنازعات فى مضاييف الحمائل ؛ فان كانت الدعوى من النوع الذى يجب ان يرفع للحكومة فان كافة الاتصالات بين (السر كمال) والطرفين المتقاضين يجب أن تتم فى المضيف • وتحدد التعويضات و (الفصول) فى المضيف وتدفع فيه •

وينظر اهل الجبايش للمضيف كمكان مقدس ؛ فهم يقسمون به الايمان ، خاصة بمضاييف الحمائل والمضاييف الكبيرة الاخرى وبصورة اخص بمضيف سيد أو رئيس خيوى • فيقسمون مثلا قائلين « وحك هذا بخت (١) عبد الهادى » أو « وحك هذا مضيف السيد » أى اقسم بمضيف عبد الهادى وبمضيف السيد • وفوق ذلك فان الافراد الذين يملكون رغبة عزيزة يتمنونها ويطلبونها فى المضيف • فيقف الممنى عارى الرأس ويضع يده على احدى (شباب) المضيف ويطلب أمنيته بقلب خاشع ونية خالصة كما يفعل بالضبط فى مرقد الائمة • و (يدخل) المذنب فى المضيف ، حتى لو كان ذلك مضيف اعدائه ، لاجئا ومحتما ، حيث يضمن الامن فلا يستطيع أحد ان يعتدى عليه • ففي اخرايام الشيخ حسن آل خيون مثلا ، (دخل) عشرة من زعماء آل حسن ، اعداء بنى اسد التقليديين ، فى مضيف الشيخ • فجاءوا فى فجر أحد الايام مرتدين اكفانا وربط كل واحد منهم نفسه الى (شبه) من (شباب) المضيف ، طالبين الموت أو السلام بين العشيرتين • فعفا الشيخ عنهم ومنحهم هدنة و (جسأهم) (٢) ، فعادوا الى عشيرتهم سالمين • ولو حدث أن قبض على أى من اولئك الرجال العشرة خارج المضيف قبل (الدخالة) لقتلوا بلا رحمة ، خاصة وان احدهم حاول قتل الشيخ محى آل خيون سلف واخ

(١) يطلق على المضيف احيانا اسم (بخت) فى هذا المعرض فقط دلالة على ان من يملك مضيفا لابد وان يكون صاحب بخت وحظ أوصله الى هذه المنزلة التى خولته بناء مضيف •

(٢) من عادة الشيوخ الكبار فى ايام (المشيخة) القديمة ان يهبوا ضيوفهم الممتازين أو من يرضون عنهم بعد اعتذار أو (دخالة) هبة من ملابس هى فى العادة (زبنات) و (عبي) •

الشيخ حسن آل خيون نفسه ، ولكنه اخطأه في الظلمة فقتل عبده . وكل اهانة أو اذى يقع على أى فرد فى المضيف يحتمل مسؤوليتها صاحب ذلك المضيف . ويعتبر الاعتداء على شخص فى مضيف جرما كبيرا وغلطا فاحشا . والمفروض بمن يقع عليه الاعتداء أو يهان ان يتمتع عن حضور ذلك المضيف احتجاجا على صاحبه حتى يعتذر منه بارساله وفدا خاصا (مشية) . فلقد اهان مثلا حسن آل بندر آل خيون مرة گنيص آل عباس من حمولة آل الشيخ فى مضيف الحمولة فلم يستطع الاخير اجابة الاهانة لانها حدثت فى المضيف ولكنه امتنع عن ارتياده قرابة عامين حتى ذهب اليه سر كمال الحمولة نفسه كـ (مشأى) ليعتذر منه ويلطف خاطره . وعندئذ فقط عاد گنيص يحضر المضيف بانتظام كل صباح كما كان يفعل سابقا .

وعلى نفس الاساس لا تقدم القهوة فى المضيف للذين يقتربون جرائم منكرة . فلقد ذكرنا فى الفصل الرابع ان رجلا كان يتهم باقتراف الزنى بزوجة ابنه فلا تقدم له القهوة فى مضيف القرية . وان من الوسائل الفعالة فى اثارة حفيظة الرجال أو شحذ همهم أو تحديهم الامتناع عن تقديم القهوة لهم فى المضيف كناية عن انهم ليسوا بكبيرة الرجال ذوى الحيثة والمكانة ليستحقوا قهوة يسقونها فى مضيف عام . ولا بد لصاحب المضيف ان يبين السبب الذى يحدو به الى الامتناع عن تقديم القهوة لهم . ويعتبر الرجال ذلك العمل عيا وخزيا كبيرين وواجبهم ان يمتنعوا البته عن ارتياد ذلك المضيف حتى يفعلوا ما اتهموا بالتقصير فيه والى ان يستعيدوا اسمهم وشرفهم كاملا بصدد ذلك الامر . فان لم يكن لدى صاحب المضيف سبب داع يبرر امتناعه عن تقديم القهوة لاولئك الرجال فلهم ان يطالبوه بتعويض (حشم) عن هذه الاهانة . ففى ايام الشيخ سالم آل خيون قدم (المواجد) وهم حمولة من عشيرة (بنى اسد) تعيش خارج الجياش للشيخ شكوى عن (البوشامة) وهى عشيرة مجاورة لهم عن اعتداءات قامت بها تلك العشيرة ضدهم . فارسل الشيخ حسين آل عويتى ، وهو كبير فخذ (آل عويتى) أحد افخاذ الجياش

الى عشيرة (البوشامة) ليحذرهم مغبة تصرفاتهم تلك وينذرهم بان يتجنبوا احداث اية مشاكل (للمواجد) فى المستقبل • ولكن عشيرة (البوشامة) لم تأبه لرسول الشيخ ولم تحترمه ، كما انها لم تعده تحسين معاملتها مع (المواجد) • فأعثر حسين آل عويتى سلوك (البوشامة) معه اهانة كبيرة له ولشيخه ، و اراد ان ينتقم منهم برجال فخذة • فعاد مسرعا الى الجياش ودق قهوته فاجتمع اليه رجال فخذة فى مضيفهم • فحمل دلة القهوة بنفسه ودار على الرجال المجتمعين فى المضيف دون ان يقدم لاي منهم فجاننا من القهوة • فبهت الرجال ثم طالبوه ببيان السبب ، فكان جوابه (خايبين ياهو بيكم يستاهل كهوة ؟) • ثم فصل لهم الاهانة التى لقيها من (البوشامة) ، ف (هوس) الرجال ، وسرعان ما انطلقوا فى نفس ذلك المساء مع رجال اخرين من العشيرة الى مساكن (البوشامة) • وفى فجر اليوم التالى وقعت معركة بينهم وبين عشيرة (البوشامة) دحرت فيها الاخيرة اندحارا تاما •

٣ - آداب المضيف

تصور آداب المضيف بشكل واضح الاحترام بل التقديس الذى يكتنه اهل الجياش للمضيف • فعلى الرجال الذين يرتادونه ان يأتوه بكامل ملابسهم خاصة العبادة (البشت) و (العغال) • ويجب عليهم الا يتكلموا فيه مالم يخاطبوا أو يؤذن لهم بذلك ، خاصة ان كانوا من مركز غير رفيع فى المجتمع • ويجب على الجالسين فى المضيف ان يتجنبوا النكات والضحك الذى لا موجب له ، وعليهم فى حالة الغضب والمناقشات الحادة ان يتكلموا بوضوح وهدوء تامين • كان لرجل من آل الشيخ يدعى عنيد آل محمد ولدان كثيرا الخصام والشجار فيما بينهما • وتشاجرا يوما فاعتدى احدهما على الآخر فأغضبا والدهما لدرجة رأى معها الاب وجوب رفع شكوى ضدولديه عند (السركال) • فذهب الى المضيف غاضبا مسرعا فأنسى فى سورة غضبه ان يلبس عقاله • وحين اوضح شكواه (للسركال) لم يستطع ان يضبط نفسه ، فتكلم بغير ما ووضح

أو اتران • فأنصت (السركال) اليه ببرود شديد وحين اتم عنيد عرض قضيته لامي (السركال) وقرعه بعنف لعدم احترامه للـ (ديوان)^(١) اولا لحضوره الى المضيف بلا عقال وثانيا لخلطه وارتابكه فى الحديث • ثم اضاف (السركال) متهمكما مؤنبا (عبالى وحده من العجايز ناهبة) ، قاصدا بذلك احدى نساء عنيد ومشيرا الى العادة العشائرية التى تقضى بان الرجل الذى تنهب احدى نساء بيته لا يضع العقال ، وهو رمز الرجولة وعنوانها ، على رأسه حتى يستعيد شرفه المهدور • فان اردا امثال هؤلاء الرجال ان يحضروا مضيفا قبل ان يعودوا للبس العقال فيحق لهم ان يفعلوا ذلك خلافا للعرف الجارى •

وآداب المضيف ايضا مقياس واضح للمركز الاجتماعى للرجال المجتمعين فيه • فكل رجل يحضر المضيف يجب ان يجلس فى المكان المناسب لمنزلته الاجتماعية • فذوو المنزلة الرفيعة مثل السادة وآل خيون و (اجاويد الطايقة) يجلسون فى مكان الصدارة من المضيف الذى يميز عادة بفراش من سجاد ووسائد • ويضبط المركز الاجتماعى للفرد بمقدار بعده عن مكان الصدارة الذى يكون شتاء فى منتصف المضيف امام الموقد الذى تحضر فيه القهوة وصيفا قريبا من احد الحائطين الجانبين (الكواسر)^(٢) • ويستطيع صاحب المضيف ان يظهر احترامه لزائر ممتاز أو لغريب ذى منزلة خاصة بان يقوده شخصا الى المكان اللائق به فى المضيف وان يقدم له السجائر بيده أو ان يأمر ساقى القهوة ان يجهز الشاى ليقدم له بالاضافة الى القهوة المعتادة •

وحين يدخل الشخص المضيف وحالما يبلغ بداية صف الرجال الذين يجلسون دائما بصفين متقابلين متكئين على حائطى المضيف الطولين ، يسلم قائلا (سلام عليكم) ، فيرد عليه الكل (عليكم السلام) مع بعض عبارات ترحيب اضافية اخرى تقتضيها فى بعض الحالات منزلة القادم • وعلى الرجال

(١) المقصود بالديوان الرجال المجتمعون بالمضيف •

(٢) ان عادة رؤساء آل خيون ان يجلسوا متكئين على (الشبة) الثالثة فى الجهة اليمنى بالنسبة للداخل الى المضيف من جهة الغرب (الجبلية) فى الصيف وعلى السابعة وهى فى منتصف المضيف تماما امام الموقد فى الشتاء •

الجالسين فى المضيف ان يظهر وا احترامهم لاي قادم بالطريقة التى تلائم مركزه الاجتماعى ، وبموجب عرف ثابت معروف • فعلى الرجل ان يهب قائما على قدميه للذينهم ارفع منه مركزا • فمثلا على كافة افراد طبقتى العوام والعبيد ان يقوموا لافراد الطبقات الثلاث السادة وآل خيون و (السراكيل المختاير واجاويد الطايفة) ، وهى طبقات اعلى مركزا من الطبقتين المذكورتين • وأحد مقاييس المكانة الاجتماعية للـ (خير) ان تكون له (گومة بالمضيف) أى ان يقوم له المجتمعون فى المضيف احتراما واجلالا لسمو مكانته وعلو مركزه • وتختلف درجة القيام اظهارا للاحترام للقادم الى المضيف باختلاف مكاتنى القادم والجالس ومركزهما فى المجتمع • فيتراوح ذلك بين القيام والاتصاب وقوفا على القدمين حتى يصل القادم مكانه ويجلس فيه ، الى مجرد محاولة القيام التى لا تتمدى فى بعض الاحيان رفع العجز عن الارض عدة انجسات •

وحين يستقر القادم فى مجلسه يجب ان يحييه كل جالس قائلا (صبحكم الله بالخير) وعليه ان يرد على كل فرد بنفس التحية أو بأحسن منها ، قائما أو محاولا القيام عند اجابته ذوى المراكز الاجتماعية الارفع من مركزه • ويصبح هذا النظام المعقد فى اداء التحية وردها ، والذي يعتبر الفشل فى اتباعه على الوجه الاكمل عيبا ونقصا ، محيرا مربكا فى الساعات الاولى من النهار حين يصل القادمون الى المضيف بمجموعات صغيرة متلاحقة ، ويترتب على ذلك تكرار القيام والقعود ورد التحية وادائها بسرعة وتلاحق مع وجوب عدم الاخلال بقواعد وتقاليد المضيف ومع معرفة التصرف حيال كل رجل قادم بما يتناسب ومركزه الاجتماعى • وهذا أمر يتطلب انتباها وحضور ذهن لضمان عدم الاخلال بالعرف العشائرى •

وحين يقدم الطعام فى المضيف فى مناسبات كالاعراس والفواتح وايام الاعياد ، فمن التقاليد ان يدعو صاحب المضيف كل رجل موجود فيه ساعة تقديم الطعام ليأكل • وبما ان عدد الرجال يفيض على عدد من يستطيعون منهم ان

يجلسوا ليأكلوا دفعة واحدة ، فأن اطباق الطعام تصف على ارض المضيف ويدعى الرجال ليأكلوا على دفتين أو ثلاث الواحدة تلو الاخرى . وهنا يبرز مبدأ التفريق بحسب المنزلة الاجتماعية مرة أخرى . وبما ان كافة المشتركين فى الاكل ان يغسلوا ايديهم قبل الاكل فان صاحب المضيف ، وقد ينوب عنه فى ذلك اخ أصغر أو ابن أو ربما عبد ، يدور على الرجال الجالسين حاملا ابريقا وحوضا (ابريق ولغن) ، ويدعوهم ان يغسلوا ايديهم مناديا عليهم بالاسماء . فيبدأ بأرفع الرجال منزلة واسماهم مركزا ، كسيد أو (مومن) ، ثم ينحدر منه الى من هم انزل مرتبة . فان حدث فارتكب صاحب المضيف عن غير ما قصد خطأ بان اهمل احدا أو قدم رجلا ذا مرتبة واطئة على من هو اعلى منه فانه ينه من قبل اولئك الذين يريد ان يرفعهم على من هم اعلى منهم مكانة . وان رفع الابريق والحوض رجل آخر فان صاحب المضيف نفسه ينادى بالاسماء ، فيغسل الرجال ايديهم بحسب ذلك . وحين تدعى المجموعة الاولى للاكل فيجب على صاحب المضيف ان يدعو افرادها بصورة شخصية وأن يلاحظ تطبيق مبدأ التفاوت فى المنزلة والاعتبار الاجتماعى بدقة وضبط . وحين تنتهى المجموعة الاولى من الاكل تدعى الثانية ويجلب مزيد من الطعام ان ظن ان ما بقى منه غير كاف للمجموعة الثانية . وتعدم فى طعام المجموعة الثانية الاطباق الخاصة كالديجاج والحلوى التى تزين بها المائدة الى جانب الارز واللحم ومرقه وهى الاشكال الثابتة فى ولائم اهل العشائر . وبالإضافة الى هذا فان من التقاليد المتبعة ان يفرز الرجل صاحب اعلى مقام واسما منزلة فى المجموعة الاولى طعاما لساقى القهوة فى المضيف يسمى (سهم الكهوجى) ، قبل ان يبدأ الاكل ، كما يجب ان توضع امام ذلك الرجل ذى المقام والمنزلة راس (الذبيحة) التى ذبحت فى تلك المناسبة . فان كانت الوليمة قد اقيمت تكريما لمضيف أو غريب فيوضع راس (الذبيحة) امامه وعليه عندئذ القيام بفرز طعام ساقى القهوة .

لقد رأينا فى الفصل السابق ان هناك مجالا للارتفاع والهبوط فى

الاعتبار الاجتماعي في طبقتي العوام (والسراكيل والمخاتير واجاويد الطائفة)
ويبدو هذا الارتفاع والهبوط في الاعتبار واضحا في المضيف • فالعوام
الذين يقتربون من منزلة الـ (اجاويد) يعطون مجالا للجلوس في اماكن
احسن ويحيون تحية تنطوي على كثير من الاحترام والاهتمام بالقياس الى
ما يستحقونه كافراد في طبقة العوام • و (السركال) أو (الخير) الذي
يلمس انه فقد اعتباره لامور اقترفها هو أو احد افراد عائلته ، يبادر نفسه
الى الجلوس في مكان احط من مكانه الذي تسمح له به منزلته في الحالات
الاعتيادية ، ولن يحاول في مثل هذه الحالة أحد ان يمنعه من وضع نفسه
في المكان الذي تقتضيه منزلته الجديدة • ويكسب الرجل من طبقة العوام
مثلا كثيرا من الاحترام بعد عودة من حج أو زيارة لمرقد أحد الائمة فيجلس
في مكان احسن من مكانه الاعتيادي •

ولكن الاحترام الذي يعامل به الرجل في المضيف قد لا يكون في
كل الحالات متفقا مع نظام الطبقات الاجتماعية المتعارف عليها في القرية •
فقد يحترم العبد المسن اكثر من بعض شباب طبقة العوام ، خاصة ان كان
معروفا بانه (خير) ، وعلى ذلك فقد يجلس في المضيف في مكان ارفع من
مكان اولئك الشباب • وبنفس الطريقة قد يجلس سيد أو خيوني شاب في
مكان انزل من مكان (سركال) أو (مختار) مسن (خير) • ومن الجدير
بالذكر انه لا يسمح صاحب المضيف ولا الرجال المجتمعون فيه للسادة ، في
اغلب الحالات ، ان يجلسوا في مكان احط من مكانهم المعتاد لان احترامهم ،
كما اسلفنا ، واجب ديني • وبموجب قاعدة احترام الكبار في السن المتبعة
بدقة بين آل خيون ، يترتب على الخيوني الشاب ان يجلس بعيدا عن الخيوني
المسن في المضيف تصغيرا لنفسه امامه واحتراما للعضو المسن امام الناس ،
خاصة ان كان ذلك الخيوني المسن رئيسا بنفس الوقت ، ورغم ان الشاب
الخيوني في فعلته تلك يضع نفسه في مكان احط مما تخوله اياه منزلته كفر
من افراد طبقة آل خيون • فكننت لاحظ مثلا ان كافة شباب آل خيون

يجلسون فى مضيف حمولة آل الشيخ بعيدا عن مكان السر كال عبدالهادى آل خيون ، وهو رئيس خيونى مسن ، وبمكان لا يتفق ومنزلتهم بين المجتمعين . فاذا ما ترك الخيونى المسن المضيف فعلى الخيونى الشاب الذى جلس فى مكان انزل من مكانه ان يغيره . والواقع ان الحاضرين فى المضيف يحملونه على عمل ذلك . اما اذا ذهب الخيونى وحده الى مضيف ما فانه يجلس فى موضع الصدارة بغض النظر عن سنه .

ان اهل الجايش يعرفون قواعد المضيف وآدابه ويتمسكون بها تمسكا تاما . فكل فرد يعرف منزلة الفرد الاخر ويعامله بدقة على هذا الاساس . واذا انقطع فرد من الافراد عن ارتياد المضيف لمدة طويلة لاسباب كالمرض أو السفر أو غير ذلك فربما يلجأ تأديبا أو تواضعا الى أخذ مجلس فى المضيف انزل كثيرا مما تسمح له به منزلته الاجتماعية ، وعلى صاحب المضيف أو على اولئك الذين وضعهم ذلك الفرد بأختياره مكانا احط مما يستحق فى موضع ارفع من موضعهم الاعتيادى أن يطلبوا اليه بل ويحملوه على اخذ مكانه الصحيح فى المجلس . وحين يفشل الرجال الذين يخرجون لتواضع هذا القادم فى حمله على اخذ مكان ارفع كثيرا ما يلجأون الى وضع الامر فى نصابه بان يبادروا هم الى تغيير اماكنهم بشكل يجعله ارفع منهم موضعا .

وتقدم القهوة فى المضيف فى اكواب صغيرة (فناجين) يعطى لكل قادم منها ثلاثة . ويستطيع الرجال الذين يشعرون بالاكفاء من القهوة بعد شرب الفنجان الاول أو الثانى ان يرفضوا المزيد منها بهز الفنجان لساقى القهوة بعد شرب محتوياته . ويقدم للرجال ذوى المراكز العالية أى عدد من الفناجين حتى يكتفوا . ويستطيع صاحب المضيف ان يشرف الضيف ذا المركز الخاص أو الغريب الزائر بان يطلب من (الكهوجى) ان يسقيه القهوة مرة اخرى بعد مرور فترة وجيزة من الزمن على شربه لها اول مرة بعد قدومه مباشرة .

وينبه الرجال الذين يرتكبون اخطاء عمدا أو سهوا بوجوب مراعاة وتطبيق آداب المضيف وقواعده ، اما من قبل صاحب المضيف بصورة مباشرة أو بواسطة أخ أو صديق له • فان تعمد الرجل خرق تلك الاداب والقواعد بقصد وتكرار لفت نظره وانذر وربما طرد من المضيف ، ويتوقف ذلك طبعاً على نوع المخالفة وعلى مركز وخلق المخالف نفسه •

والجدير بالذكر ان النظام المتبع فى السلوك والاداب التى تراعى فى مضاييف الحمايل لا تنفذ بعين الدرجة من الدقة والضبط فى المضاييف الصغيرة التى يملكها رؤوس الافخاذ أو (الاجاويد) ، خاصة ان كان عدد المجتمعين من الرجال قليلا أو كانوا كلهم اعضاء فخذ واحد أو جيران وهم لذلك لا كلفة بينهم ويألف بعضهم بعضا لدرجة كبيرة • وحتى فى المضاييف الكبيرة ، حين يتركها الرجال ذوو المراكز العالية أو حين لا يبقى فيها الا عدد قليل من الرجال ، يبدأ الجو فيها يتحول تدريجيا من التكلف والوقار والجد الى الالفة والتبسط فى الاحاديث والتحرر من القيود •

القسم الثالث

النظام السياسي

POLITICAL ORGANIZATIO

الفصل الثامن

النظام السياسى فى الجبايش

١ - المشيخة الاقطاعية القديمة

لقد ظل كافة سكان القبائل فى العراق طيلة القرون السبعة الماضية يعيشون تحت وطأة النظام العشائرى الاقطاعى ويحكمون من قبل شيوخ اقطاعيين • ولقد تزايدت مصاعب الحياة وانعدم الامن والطمأنينة بسبب اندثار وسائل الرى وانعدام طرق المواصلات وعدم وجود ادارة منظمة أبان الحكم العثمانى الذى دام اربعة قرون من بداية القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين • ومع هذه الحال من انعدام الامن والنظام سادت الاضطرابات والحروب بين القبائل بشكل مستمر ، فزادت هذه الظروف الاقطاع قوة ورسوخا •

وكانت عشيرة (بنى أسد) ، كبقية العشائر العراقية ، تعيش فى مثل هذه الظروف ولكن الحياة العسكرية التى كانت تحياها العشيرة قوت الاقطاع وارتست جذوره • فلقد كانت القوة كلها فى مثل هذه الوحدات السياسية الاقطاعية (العشائر) مركزة بيد الشيوخ الذين كانوا بصورة عامة حكاما مستبدين يقبضون بأيديهم على حياة ومصائر اتباعهم ، وكانوا اصحاب الاراضى والقادة العاملين للجيوش والمحكمين الذين يتون فى كافة الشؤون •

والمفروض ابان الاحتلال العثمانى ان يستأجر شيخ بنى أسد الارض من الوالى وان يدفع له ضريبة أو ايجاراً عنها • ولكن فى الواقع ما كان الشيخ يستأذن الوالى فى استثمار أية أراض وما كان يدفع له أية ضرائب أو ايجارات عما كان يستغله منها • ولم تكن لاراضى الشيوخ حدود معروفة

ثابتة ، بل كانت الحدود تتوقف على المدى الذى يستطيع به الشيخ ان يدفع جيرانه وينحيهم بالقوة العسكرية فيستولى على الارض التى لم تكن ملكه ولا ملكهم ، وعلى الامد الذى يستطيع ذلك الشيخ المحافظة به ، بالقوة العسكرية أيضا ، على الارض التى يسيطر عليها • ولم يكن هناك نظام معين يتبعه الشيخ فى تقسيم الاراضى التى يسيطر عليها بين اتباعه • فلقد كان يهب الارض لاتباعه طبقا لرغباته الشخصية ليزرعوها له • ورغم ان المفروض وجود قاعدة لقسمة الحاصلات الزراعية بين الشيخ مالك الارض وبين الفلاح ، هى فى العادة ثلث للشيخ وثلثان للفلاح ، فلقد كان الشيخ يتصرف دائما بما تفرضه عليه رغبته الشخصية لا تحده قاعدة ولا يضبطه قانون • فكان بمقدوره ان يصادر كافة المحصول الذى ينتجه الفلاح دون ان يكون للاخير حق فى عوض • وكانت الضرائب التى يفرضها الشيخ على اتباعه غير حصته فى المحصول الزراعى كثيرة ؛ فلقد كانت هناك ضريبة مقدارها ريپتان^(١) ونصف الريبية (١٨٧ فلسا) عن كل مائة (بارية) تنتج ، تسمى (ساس البوارى) ، وضريبة تساوى قرانين ونصف القران^(٢) (٤٧ فلسا) تؤخذ سنويا عن كل رأس من الجاموس ، تسمى (كودة) ، وضريبة النخيل التى كانت تتراوح بين قرانين ونصف (٤٧ فلسا) وروبية واحدة (٧٥ فلسا) من سنة لسنة بناء على رغبة الشيخ وحاجته المادية • وكان الشيخ يصادر كل بندقية يستعملها الفرد من عشيرته داخل العشيرة فى شجار أو اعتداء ويفرض الغرامات المالية على الافراد من اتباعه الذين يجروأون على الاخلال بالنظام • واذا ما قتل رجل من العشيرة فان الشيخ يستلم (فصله) ، فيأخذ لنفسه النصف الذى يجب ان يوزع على (الوداية) ويترك النصف الآخر لعائلة المقتول • وكانت الزيجات فى العشيرة ترتب

(١) الريبية وحدة من العملة الهندية التى استعملت فى العراق ردحا من الزمن ، وتساوى (٧٥) فلسا •

(٢) القران ربع الريبية ويساوى حوالى ١٩ فلسا •

من قبل الشيخ أو على أقل تقدير بعد أخذ موافقته • وعلى هذا فكان بمقدوره ان شاء أن يأخذ أى قدر من المهر • وحين كان يريد الشيخ السفر الى البصرة أو بغداد أو عندما كان يريد ان يزوج ولدا أو أخا فكان على العشيرة ان تساهم بمقادير من المال يقوم بجمعها وايصالها الى الشيخ وكلاؤه فى الحمائل •

وكان باستطاعة الشيخ ان يأخذ الارض من أى من اتباعه ويعطيها لغيره، وان ينفى أى واحد من اتباعه من اقليمه ، والذين يعصون أوامر الشيخ تحرق أكواخهم وتنهب ماشيتهم وممتلكاتهم • فاذا وجد أحد أفراد العشيرة ان الشيخ لا يرغب فى بقاءه فى منطقته ، أو ان كان ذلك الفرد على خلاف مع الشيخ ، فلا سبيل امام ذلك الفرد غير ان يهجر منطقة الشيخ مستصحبا ، فى أغلب الحالات ، كافة أهله معه •

وكانت سلطة الشيخ التنفيذية ممثلة بـ (مختير^(١) الحمائل) وبأفراد حمولة آل خيون خاصة أخوة الشيخ وأولاده ، وبعييد الشيخ • ولم تكن لد (مختير) سلطة خاصة لهم مطلقا • فلقد كانوا لسان حال الشيخ ؛ ينفذون أوامره ويجمعون له الضرائب والغرامات • فان كانوا يرهبون كثيرا من قبل أفراد حمائلهم فذلك ليس الا لانهم يمثلون الشيخ ويتصرفون نيابة عنه • وكان أهل بيت الشيخ المقربون من آل خيون يتمتعون بسلطة كبيرة ؛ كل يتصرف كحاكم مطلق وسيد مستبد • فلقد كانت لهم وظائف مختلفة تحت أمرة الشيخ ، يمثلونه فى الاجزاء النائية من مقاطعته أو يتوكلون عنه اثناء غيابه أو يقومون مقامه فى مهام خاصة • ومن المهم ان نذكر هنا انه غير معروف فيما يعيه مسنو العشيرة وحافظوا تاريخها أن عين خيونى (مختار) أو رئيسا دائما لحمولة تحت أمرة الشيخ الخيونى • ويبدو ان السبب كان الخوف من حصول المنافسة من خيونى قوى • فقد يتضح بعدئذ ان هذا

(١) كان رؤساء الحمائل فى ايام (المشيخة) القديمة يدعون (مختير) وليس (سراكيل) •

المنافس خصم عنيد يجب الاعتراف به أو القضاء عليه ، والاعتراف يؤدي الى المشاركة في السلطة وهي أمر غير مستحب ، اما التصادم بين خيوانين بارزين فترتب عليه أوحش العواقب وربما ادى الى انقسام العشيرة نفسها • وكان العبيد يقومون بواجبات رجال الشرطة والسعاة كما كان بعضهم يعين وكلاء عن الشيخ أو ممثلين له •

والسلطة القضائية محصورة في الشيخ • فكان القضاء يقوم على (السواني) وهي القانون العشائري التقليدي • فيصدر الشيخ أحكامه في القضايا البسيطة بصورة شخصية ، فان كانت القضية معقدة فانه يجمع بعض (أجاويد الطائفة) خاصة أولئك الذين لهم المام طيب بالقانون العشائري في مجلس قضائي يرأسه هو • ولهذا المجلس صفة استشارية فحسب ، فالقرارات تصدر دائما عن الشيخ نفسه •

لقد اشرنا فيما سلف الى أن آل خيون كانوا طبقة ارسقراطية عسكرية قادوا (بنى اسد) الى كثير من الحروب القبلية • ففي فترة أمدتها قرابة مائتين واربعين عاما ، بين هجرة (بنى اسد) الى منطقة الجايش وبين اقامة ادارة حكومية في القرية عام ١٩١٥ ، دخلت العشيرة في عدد كبير من حروب ضد كافة العشائر القاطنة في المنطقة ، وضد عدد من عشائر مناطق (العمارة) و (الحويزة) وضد الجيش العثماني • فشيخ خيون آل جناح مثلاً حكم اربعين عاما قضى أغلبها في حروب وغزوات طويلة في منطقة (العمارة) و (الحويزة) وعاش في هاتين المنطقتين عدة سنوات • وعاش ولده الشيخ حسن آل خيون ، خمسة أعوام في أرض اعدائه في (المجرية) • وبعد زمن هرب هو نفسه مع أغلبية بنى أسد الى (الحويزة) ، بعد ان دحروا في موقعة حربية دارت بينهم وبين الجيش العثماني قرب (المدينة) ، حيث عاشوا زمنا امتد بعضهم مثل الشيخ وبعض أهل بيته والمقربين من بطائنه أحد عشر عاما •

ولم تكسب العشيرة من كافة هذه الحروب الطويلة شيئا • فلقد كانت تلك الحروب مسببة بصورة دائمية عن الرغبة الشخصية للشيخ وعن منازعات وخصومات خاصة بينه وبين انداده من شيوخ ورؤساء المناطق المجاورة • وكان الشيوخ يهدفون من وراء هذه الحروب لكسب الاعتبار والشهرة العسكريتين للشيخ وأهله آل خيون • اما بالنسبة لأفراد العشيرة فلم تكن الحروب غير مناسبات لقتل اشخاص ليس لهم معهم مطلب أو ثار ، ولقد عدد من ابنائهم وأخوتهم وأفراد حملتهم • ولقد صورت وجهة نظر أفراد العشيرة في هذا الموضوع في (هوسة) تقول :

« چانه سهمی الماو والفرننی لغیری ؟ » (١)

ومعناها حرفيا (اذن حصتي انا العيارات النارية والحلوى لغیری) • وهي تصور شعور أفراد العشيرة المحاربين بالمرارة والالام اذ يتعرضون هم للقتل والجرح بينما ينفرد قادتهم العسكريون ، الشيخ وآل خيون ، وحدهم بالغنائم والاسلاب والاعتبار العسكري ، ويتمتعون وحدهم بالاحتفالات والولائم التي تلو النصر • ولقد تحملت (بنی أسد) خسائر فادحة وقاست الفقر والفاقة نتيجة لتلك الحروب المتكررة والجلالات العسكرية الطويلة • ولقد أصيبت العشيرة أكثر من مرة أبان حملاتها وغزواتها العسكرية بأوبئة فتاكة وكان أشدها وطأة انتشار الهیضة بين أفرادها في حربهم مع عشيرة آل حسن بعد مقتل الشيخ محی آل خيون •

وحین كانت حياة (بنی أسد) الاعتيادية سلسلة حروب وغزوات مستمرة تقبلت العشيرة قيادة آل خيون العسكرية وتحملت المصاعب وشظف العیش لانهما من الصفات الملازمة لحياة الحرب والغزو ومن مثل وقیم المجتمع الحربی • ولكن حين فرض النظام والامن فی المنطقة

(١) الماو : الرصاص ، والفرننی : حلوى تصنع من الحليب والسكر (محلبی) تعتبر هي والدجاج من الزم الاطباق فی الولائم العشائرية التي تولم للرؤساء والاشخاص الممتازین •

نتيجة لاقامة ادارة فعالة مهيمنة ابتداء من عام ١٩١٥ ، فامتعت الحروب واستحال السلب والغزو اصبحت العشيرة لا تقبل الخضوع والطاعة التي تفرضها الطبقة الارستقراطية العسكرية في المجتمع والامتيازات التي تحيط بها طبقة القادة نفسها ، وهو ما كانت تقره وتتقبله مضطرة أيام الحروب والغزوات . وهذا يفسر استعداد (بنى أسد) الكبير الذي أظهره فيما بعد للخروج على طاعة آل خيون والتحرر من طوق عبوديتهم .

عندما دحر الشيخ حسن آل خيون في حربه مع الجيش العثماني وفر عبر الحدود الايرانية الى الحوزة تبعه عدد كبير من (بنى أسد) ولكنهم سرعان ما وجدوا الحياة شاقة هناك . وذلك رغم ان (بنى طرف) ، سكان الاهوار الايرانيين ، قبلوا اعطائهم أول الامر اراضي يزرعونها في منطقتهم الا انهم صاروا بعد ذلك يسدون الماء عن حقولهم ويضايقونهم شتى المضايقات . فابتدأ كثير من بنى أسد يعودون الى الجياش . اما في القرية حيث عينت السلطات العثمانية چايد آل محمد آل خيون ، ابن أخ الشيخ الفار ، شيخا مكانه ، فلقد كانت الاوضاع سيئة للغاية بل وأسوأ مما كانت عليه في أى وقت مضى في تاريخ العشيرة . فلقد كان آل خيون كثيرا ما يعبرون الهور من الحوزة الى الجياش ليسلبوا ويقتلوا وكان الاتراك اضعف من ان يستطيعوا فرض النظام والامن في تلك الربوع . وبعد مضى ثلاثة أعوام على تنصيب چايد آل خيون شيخا ، قتل ضابط في رتبة رئيس في الجيش العثماني وزوجته وأخته في الهور قرب الجياش واتهم في تلك الجريمة جاسم آل محمد آل خيون أخ الشيخ چايد . وكنيجة لهذه الحادثة ولفشل الشيخ چايد في المحافظة على النظام وضمن السلام في المنطقة ، نحي عن المشيخة ، وقرر الاتراك حكم (بنى أسد) بصورة مباشرة . وبدأ الشيخ حسن آل خيون ، الذي كان يعيش في المنفى ، يثير الاضطرابات ، فصار يرسل أولاده العديدين ليسبوا كثيرا من المصاعب لرجال الادارة العثمانيين في الجياش ولسكان المنطقة ذاتهم ، فلقد كانوا يأتون

القرية ليجمعوا الضرائب بالقوة وليسرقوا المسافرين ويقطعوا طرق المواصلات
فى النهر والهور •

وظهر عنصر جديد اضاف الى تبرم (بنى اسد) واستيائهم من سادتهم
ومن النظام الاقطاعى القديم كله ، وهو النضال والصراع من أجل السيطرة
بين آل خيون أنفسهم خاصة بين أولاد الشيخ حسن • فالشيخ حسن الذى
أضحى بعد نفيه هرما معذما والذى أقعده مرض الفالج فيما بعد ، فقد بصورة
تدرجية كل أمل فى عودته الى السلطة و (المشيخة) وترك الامر أخيرا
بالمرة لأولاده التسعة عشر^(١) • وأخيرا نجح ولده السابع عشر ، سالم آل
خيون ، بعد سنوات طوال من محاولات متصلة عنيدة مع والى البصرة وبعد
فترات طويلة من السجن ، بفضل قابلياته الشخصية وطموحه ، بان يحمل
الوالى على الاعتراف به شيخا لبنى أسد مكان أبيه المنفى^(٢) • ولكن الصراع
بين أفراد عائلة آل خيون لم ينته رغم تعيين شيخ جديد • واشتعلت نار
العداوة المسببة عن الصراع المرير من أجل السلطة والثفوذ فى مناسبات
عديدة فأتت الى مصادمات عنيفة ، وتسببت مرة فى مقتل ستة من أولاد الشيخ
حسن اذ أطلق النار بعضهم على بعض فى مضيف أخيهم الشيخ سالم فقتلوا
كلهم • وكنتيجة مباشرة لتقاتل هؤلاء الاخوة الستة قتل أخوان آخران
أخوين لهما أيضا •

(١) تزوج الشيخ حسن آل خيون عددا من زوجات أخويه الكبارين
الشيخ محى آل خيون ومحمد آل خيون بالإضافة الى زوجاته فبلغ مجموع من
تزوجهن تسع زوجات خلف منهن جميعا تسعة عشر ولدا وثمانى بنات •
(٢) من جملة ما لجأ اليه سالم آل خيون انه اشترى من كاتب فى دائرة
والى البصرة مضروفا رسميا يحمل شعار الولاية وزور أمرا بتعيين نفسه
شيخا ثم هرب سرا الى الجبايش وخدع الموظف المحلى فى قرية الحمار بالوثيقة
المزورة ونصب نفسه شيخا • وحدث فى ذلك الوقت ان ارسلت الحكومة
العثمانية باخرة حربية لقتال بعض عشائر المنطقة فجنحت فى الطين قرب
الحمار فاهتمل سالم آل خيون هذه الفرصة فهب لتخليص الباخرة وقدم
طاعته للوالى الذى كان فيها فرضى عنه و (خلع عليه) وأقر تعيينه شيخا على
عشيرته (بنى اسد) •

لقد أظهر الشيخ سالم آل خيون قابلية خارقة في تدبير شؤون (المشيخة) وتسيير دفتها ، رغم وجود مطالب ومطامع أخوته الكبار . ولكنه لم ينجح في أداء دوره السياسي كشيخ الا لقاء ثمن باهض دفعته العشيرة نفسها . اذ انه أطلق أيدي أخوته في العشيرة يعيشون فيها فسادا . فلقد كان كل واحد من أخوته الاكبر منه سنا وهم ستة عشر أخا ، يشعر انه أحق من الشيخ سالم بـ (المشيخة) . وكانت نتيجة هذا التنافس والصراع بين الاخوة وبالا على العشيرة وازادت كثيرا لماسى (بنى أسد) اذ لم يكن الشيخ سالم في مركز يخوله ردع أخوته الكبار والسيطرة عليهم . وكانت الاحداث التي وقعت بين عامي ١٩١٤ و ١٩٢٤ بمثابة ضربات قاصمة لعلاقات الولاء التي تربط (بنى أسد) بآل خيون . ولقد اتخذ الشيخ سالم آل خيون رغبة منه في تقوية مركزه سياسة موالية للعثمانيين لدرجة انه اشترك معهم في محاربة عشائر مجاورة لعشيرته . وبسبب سياسته تلك بادرت قوات الاحتلال البريطانية التي استولت على البصرة في بداية الحرب الماضية الى القاء القبض عليه في الجبايش في شهر كانون الاول عام ١٩١٤ فأخذته أسيرا الى الهند لتضمن تنحية شخص موال للعثمانيين ومتنفذ لحد كبير من تلك المنطقة . فهما غياب الشيخ سالم عن الجبايش فرصة طيبة للبقية من أخوته واعضاء حمولة آل خيون الآخرين أن يتنافسوا من أجل السيطرة والنفوذ . فاختارت قوات الاحتلال البريطانية ابن أخ للشيخ سالم ، ماجد آل حمود آل خيون ، مهملة كافة أخوة سالم ، وعينته مكانه شيخا على (بنى أسد) . فارتكبت تلك القوات في تعيينها ماجد آل خيون واهمالها كافة أعمامه غلطة اسناد (المشيخة) لشخص لا يعتبر من وجهة نظر التقاليد العشائرية أكثر الذكور من آل خيون أحقية فيها ، وهي نفس الغلطة التي ارتكبتها العثمانيون حين عينوا (سالم آل خيون) تارकिन كافة أخوته الاكبر سنا . ولقد اثبت ماجد آل حمود في مدة (مشيخته) البالغة حوالى اربعة أعوام ضعفا وفسادا حكما . فلقد كان (شيخ حرب)

بحق ، ركز اهتمامه على الكسب الشخصي^(١) تاركا العشيرة فريسة باردة لاعمامه ولبقية أفراد آل خيون ، الذين عاثوا فيها فسادا وسيبوا كثيرا من المآسى بظلمهم وجورهم .

وحتى الشيخ سالم آل خيون خيب ظنون (بنى اسد) حين عاد من الهند بعد خمس سنوات قضاها في الاسر هناك . فلقد عاد كما يصفه مسنو العشيرة ، « رجلا جديدا قد تغير في كل نواحي حياته . فلقد ترك في تلك السنوات الخمس القيام بواجباته الدينية » و (ونسه السادة والعباس وزين لحيته وگام يشرب عرگ) . ولقد عاد متأثرا بأفكار حديثة لدرجة لم تعرف العشيرة معها فيه على الشيخ سالم القديم . فلقد عاد (يحجى بالسياسة ويربى چلاب)^(٢) . وكان رد الفعل في العشيرة قويا غيفا بحيث سرعان ما تفرق (بنى أسد) عن الشيخ سالم ، وهم الذين التفوا حوله منذ بضع سنوات خلت . وكان أكبر ما خيب آمال (بنى أسد) في الشيخ سالم شربه الخمر وهو بدعة جديدة في حياة أهل العشيرة وخطيئة دينية عظيمة في نظرهم . ولقد شعر الشيخ سالم بعد عودته الى الجبايش من الهند انه غريب بين (بنى اسد) ، فلا وجود في القرية لحفلات (الكوكيل) و (لاخبار المجتمع واشاعته) ولا احاديث (سياسية) . وبما ان احداثا جساما كانت تقع ببغداد في تلك الفترة عقب انتهاء الحرب العالمية استعدادا لخلق مملكة جديدة في العراق ولان الشيخ سالم آل خيون كان تواقا لتطبيق

(١) كان الشيخ ماجد آل خيون بالاضافة الى الراتب الضخم الذي يتقاضاه من الانجليز يسيطر على المرور في النهر ويمنح وسائل النقل اجازات لقاء رسوم باهضة وكان دخله اليومي كبيرا لدرجة ان اهل الجبايش يذكرون ان يد اخيه وهو سكرتيره ومحاسبه كانت تسود من كثرة ما يحسب من الربيات كل يوم فيضطر الى غسلها بالماء والصابون . وهو واخوه الى الآن يعيشان على ما ادخراه من مال في ايام (مشيخة) ماجد .

(٢) مما يروى في العشيرة ان سيدا رأى عبدا من عبيد الشيخ سالم آل خيون يغسل لكلب من كلابه بالماء والصابون فقال معلقا (ان نعمة آل خيون لن تدوم بعد ذلك مطلقا) .

ما تعلمه في الهند عن السياسة وشؤونها ، فلقد طار الى بغداد وصار يقضى أغلب وقته في الفترة الواقعة بين عودته من الهند في شهر آب ١٩١٩ وبين القاء القبض عليه بعد عصيانه في كانون الاول عام ١٩٢٤ في مدينة بغداد بعيدا عن الجياش وعن (بنى أسد) . فترك الشيخ سالم العشيرة في هذه السنوات الخمس في ايدي أخوته فسبوا لها مآسى وارتكبوا فيها مظالم . ولقد اختار أخاه غضبان آل خيون نائبا عنه ، وهو معروف بانه أشد آل خيون قسوة وأكثرهم فسادا في الادارة والحكم . هذا بالاضافة الى أن اقامة الشيخ سالم المتواصلة في بغداد حيث كان يعيش في بذخ وبقيم الولائم ويلعب القمار اقتضت المزيد من النفقات . وكان المورد الوحيد الذي تأتي منه هذه المصروفات الباهضة والذي يسد جشع أخوان الشيخ وبعض أفراد حمولة آل خيون المتسلطين في الجياش استغلال حائكي الحصر والمزارعين من (بنى أسد) . وفي هذه المرحلة الاخيرة من عمر (المشيخة) الانطاكية في الجياش كانت الاسباب الثلاث الرئيسية التي عصفت بولاء رجال العشيرة للشيخ وأهله من آل خيون واضحة جلية للغاية وهي الاستغلال الاقتصادي ، والحكم المستبد الفاسد ، واهمال العشيرة وشؤونها اهمالا تاما من قبل الشيخ . وحين عاد الشيخ سالم الى الجياش والى العشيرة بعد ان خسر كل شيء في بغداد في حقل السياسة ، وجد الاحوال في القرية قد بلغت حدا لا يمكن معه السيطرة عليها . فلقد كانت العشيرة كلها ضده وضد آل خيون وكانت (بنى أسد) قد فقدت ايمانها وثقتها بشخصيته وزعامته منذ أمد بعيد .

وعوضا عن ان يحاول الشيخ سالم استعادة ثقة الشعيرة به بتركيز همه وحصر جهوده في شؤون العشيرة فانه أشغل نفسه في معضلات جديدة . فلانه كان عضوا في المجلس التأسيسي ووزيرا بلا وزارة في الحكومة العراقية الانتقالية الاولى ، فلقد وجد مما يتنافى وكرامته ان ينصاع لاوامر متصرف اللواء . ثم ابتداء حركة عصيان فصار يثير العشائر القريبة منه

ويحرضها ضد المتصرف والحكومة المركزية . (فبعد عودته الى الحمار^(١) أخذت التقارير تتوارد عن حركاته السياسية والادارية والعشائرية كبسط سلطانه على كافة الاراضي والرؤساء باتفاقات مع الرؤساء المجاورين لتقوية مركزه ضد الحكومة المركزية وكذا التقارير عن تراكم البقايا من التزامات الحكومة وعدم دفعه الدين المستحق عليه للحكومة . مما استدعى الحكومة ان تطلب حضوره الى بغداد ولكنه ذهب الى الناصرية حوالى ايلول ١٩٢١ وقطع على نفسه عهدا بمساعدة الحكومة في ادارتها . على ان التقارير التي وردت عنه في غضون عام ١٩٢٣ كانت تفيد عودته الى أحواله السابقة اذ طلب التزام كافة الاراضي في الجبايش والحمار لمدة خمس سنوات وقدم شروطا بذلك . غير ان هذه الوزارة لاحظت بان حصر كل هذه المقاطعات في يد واحدة مما يولد اختلافات وضغائن بين العشائر قد تؤدي الى سفك الدماء والاخلال بالامن . ولهذا فقد رفضت مطالبه^(٢) . (وفي حزيران ١٩٢٣ طلبت وزارة الداخلية حضوره الى بغداد فأبلغته متصرفية لواء المنتفك بذلك غير انه أجابها بكتب شديدة اللهجة مبينا عدم ارتياحه من سياسة الادارة وبعض الوزراء ومن بينهم المرحوم ناجي السويدي وزير العدلية وقتذاك تجاهه وتجاه أفراد عشائره^(٣) .

(وبدأ في آب ١٩٢٣ بعقد اجتماعات يدعو اليها بعض رؤساء عشائر سوق الشيوخ ويعرض عليهم طلب الحكومة حضوره الى بغداد مبينا لهم ان هذا الطلب لم يكن الا لنفيه وابعاده عن هذه المنطقة وأخذ يتجول ما بين عشائره حيث كانت تقابله بالهوسات مناصرة له وقد أمر الشيخ سالم عشائره بعدم مراجعة مركز ناحية الحمار وطلب اليهم تنظيم مضابط وتقديمها الى الحكومة بطلب العفو عنه وعدم حضوره الى العاصمة خلال

(١) قرية تبعد حوالى خمسة اميال غرب الجبايش وكانت مركزا للناحية .

(٢) عن تقرير سرى محفوظ في وزارة الداخلية ببغداد .

(٣) نفس المرجع .

ثلاثة أيام والا فانه سيكون مجبرا على معارضتها • واما أخوه غضبان آل خيون فقد أمر عشيرة (عبادة) المرابطة في ناحية الحمار ببناء استحكام بقرب عشيرة ابو حمدان من بنى مشرف بمحل يسمى (الكناصية) •

(على ان الشيخ سالم ارسل بتاريخ ٤-٩-١٩٢٣ كتابا الى مستشار وزارة الداخلية يعرض فيه اخلاصه وحسن نيته للحكومة العراقية وتأييده لسياسة بريطانيا وسير الانتخابات وطلب التوسط لدى صاحب الجلالة والمندوب السامي ورئيس الوزراء للعفو عنه واذا صدر منه ما يخالف هذا الميثاق فانه يقبل بكل عقاب تنزله الحكومة به • غير ان أخاه غضبان استمر في حركاته ومشاكساته للإدارة والمأمورين ومداخلته بشؤون وظائفهم ، حتى ان بعض العشائر في منطقة الحمار امتعت عن السماح للمأمورين بتعداد نخيلهم ما لم يحصلوا على أمر منه • وكان الشيخ سالم في بغداد وبعد ان قدم بتعهداته للحكومة وافقت الوزارة على عودته الى لواء المنتفك بعد ان وعد بارسال أخيه غضبان الى الناصرية وتأمين اطاعته وأمر الحكومة •

(ورغم هذه التعهدات التي قطعها على نفسه فقد وردت لهذه الوزارة في حزيران ١٩٢٤ برقيات من شيوخ ووجهاء سوق الشيوخ تضمنت الشكوى ضده وانحرافه عن طرق المصلحة العامة لتوسيع نفوذه الشخصي متخذاً النيابة وسيلة لتبرير هذه الاعمال •

(وفي تموز ١٩٢٤ أفادت التقارير بانه يعمل لبسط سلطانه والتصالح مع اعدائه المجاورين له واطهار استعدادده باعطاء اراضى (العبد) الى الشيخ بدر الرميض اذا وافق الاخير على معاضدته في عصيانه ضد الحكومة الى غير ذلك من عقد الاجتماعات والتنديد بالرؤساء الآخرين وايوائه المجرمين • (وفي آب ١٩٢٤ بينت متصرفية لواء المنتفك مباطلته في دفع ما بذمته للحكومة وقيامه بأعمال استفزازية مخلة بالامن وطلبت اتخاذ الاجراءات السريعة ضده فأصدرت هذه الوزارة أمرا بجلبه الى مركز اللواء وربطه

بكفالة بعدم مغادرته المكان غير انه أرسل كتابا الى المتصرفية يعتذر فيه عن الحضور لاعتلال صحته . الا ان اعماله وحركاته أخذت في الاستمرار المتزايد مما حدا بمتصرفية المنتفك ان تطلب في تشرين الاول ١٩٢٤ لزوم قيام الحكومة بالاجراءات التأديبية خلال خمسة عشر يوما على ان تشمل هذه الاجراءات الحركات العسكرية من الجند النظامي والمدافع الجبلية والطائرات لضبط القلاع واشغالها قبل البدء في الحركات (١) . ولقد جاء في تقرير الحكومة البريطانية المرفوع لعصبة الامم عن ادارة العراق بصدد هذا الموضوع ما يلي (٢) (لقد صار « الشيخ سالم آل خيون » يعتبر شيخا عاما على كافة منطقة بحيرة الحمار والى الشرق حتى حدود لواء البصرة . وكان يجنى ضرائب الحكومة الهامة لنفسه ويسيطر سيطرة تامة على موظف الادارة ، مدير الجبايش ، ولا يعير أوامر المتصرف اهتماما) . ولقد حاولت الحكومة تجنب القيام بأعمال تأديبية ضده ، وحذرته مرارا مغبة أعماله ولكنه لم يهتم بتحذيراتها ورفض مقابلة متصرف لواء المنتفك . وبعد ان أظهرت الحكومة صبرا وأناة كبيرين أضطرت ان تقوم بتلك الاعمال . ففي مطلع كانون الاول عام ١٩٢٤ ألقت الحكومة انذارا من الجو نصه (بناء على عصيان الشيخ سالم آل خيون فان قرية الجبايش ستدمر من الجو غدا وعلى كافة أهلها ان يتركوها وينجوا بأرواحهم) . وفي صبيحة اليوم التالى حلقت فوق القرية اربع طائرات فقصفت مضيف الشيخ وبيته واحرقتهما . واحتلت الشرطة القلعة المسماة (العكبة) باراضى بنى مشرف العائدة للشيخ سالم ، وهدمتها . فأخذ رؤساء عشائر الحمار يعرضون (دخالتهم) وطاعتهم على الحكومة . وحاول الشيخ وحفنة من أخوته مقاومة الطائرات ببنادقهم ولكنهم لم يصمدوا ففروا جميعا الى الهور . واحتلت الشرطة كافة قلاع الشيخ

(١) نفس التقرير المذكور .

(2) Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the year 1925, Colonial Office, London, 1926, p. 34.

الطينية قرب الجبايش • ثم احتلت قرية الجبايش نفسها وفي السادس من الشهر ذاته انشئ مخفر للشرطة في الجبايش على الارض التي كانت موضع مضييف الشيخ سالم •

وفي الهور ، تلفت الشيخ سالم حوله ينشد عون ومساندة عشيرته التي اعتاد هو وآباؤه من قبله ان يقودوها الى الحرب والقتال ، ولكنه لم يجد منهم أحدا حوله • وحاول ان ينظم عصابات في الهور يقطع بها طرق مواصلات الحكومة ويقاومها ولكن ، للمرة الاولى في حياته ، بل وفي كافة تاريخ آل خيون ، انبرى له (سداوى) مسن ملك من الشجاعة ما مكتسه ان يقول له بوضوح وقوة (ان العشيرة اليوم ليست معك فلقد تركتها بيد اخوتك فدمروها وقضوا عليها ، فلم يبق اليوم أحد مخلص لك أو لهم) • ثم نصحه بصدق واخلاص ، (من الخير لك ان تنجو بنفسك) • وأخيرا اضطر الشيخ سالم على تسليم نفسه الى الضابط السياسى الانجليزى فى القرنة • والقى بعد ذلك القبض على اخيه غضبان وأجريت محاكمتها أمام المحكمة الكبرى فى البصرة حيث حكمت بتاريخ ٤-١٠-١٩٢٥ على الشيخ سالم بالحبس لمدة ثلاث سنوات ووضعه تحت مراقبة الشرطة لمدة سنتين وعلى أخيه غضبان آل خيون بالحبس لمدة عشرة أشهر • ثم قررت وزارة الداخلية نقل الشيخ سالم من سجن البصرة الى سجن الموصل • وصدرت بعد ذلك ارادة ملكية باطلاق سراحه شريطة ان يقيم فى المكان الذى تعينه له الحكومة طيلة ما بقى من مدة سجنه • وجعل مكان اقامته فى مدينة الموصل ذاتها ، ومنحته الحكومة راتبا شهريا قدره (٣٠٠ روية) ثم زيد الى (٥٠٠ روية) فيما بعد • وفى ٢٦-٤-١٩٢٧ سمح له بالاقامة ببغداد ولكن لم تمض فترة وجيزة على ذلك حتى خرج أخوه غضبان آل خيون نائرا يقود عصابات من اللصوص وقطاع الطرق فى الهور فأعادت الحكومة الشيخ سالم الى الموصل • وفى شهر نيسان عام ١٩٣٠ رفع عنه قيد الاقامة وقطعت مخصصاته وسمح له ان يقيم اينما شاء باستثناء ألوية المتفك والعمارة والبصرة

بمقتضى المادة (٤٠) من نظام دعاوى العشائر التي تخول ابعاد من يخشى منه
الخطر عن منطقه وفرض اقامته فى منطقة أخرى .

وفى أوائل سنة ١٩٣١ منحه الحكومة اراضى اميرية جيدة مساحتها
٩١٥١ دونما و١٥ أولكا فى منطقة كنعان (لواء ديالى) فاختار ان يعيش
فى أراضيه الجديدة ، واتخذ له بيتا فى بغداد فصار يقسم وقته بين مزارعه
فى كنعان وبيته فى بغداد .

ويلخص الجدول رقم (٩) حركات بنى أسد فى العراق والتبدلات
السياسية التى مرت عليها وحياتها الاقتصادية فى الفترات المختلفة التى
اجتازتها منذ أن دخلت العراق حتى الوقت الحاضر .

جدول رقم (٩)

التطورات السياسية والتنقلات والحياة الاقتصادية لبنى اسد منذ هجرتهم الى العراق فى القرن السابع

المرحلة رقم	التاريخ	التطورات السياسية	المسكن	الحياة الاقتصادية
١	من القرن السابع حتى القرن الثالث عشر	تحت حكم الامبراطوريات الاسلامية حتى سقوط الدولة العباسية فى سنة ١٢٥٨	بين البصرة وهيت على نهر الفرات وفى واسط على دجلة وخاصة فى مناطق البصرة والكوفة والقادسية	رعي الابل والزراعة
٢	من القرن الثالث عشر الى حوالي عام ١٦٧٠	امارات اسلامية ذات جيوش منظمة تحت حكم أمراء ، حتى دمرت آخر امانة من قبل اتحاد قبائل آل سعدون	منطقة الفرات الوسطى وبصورة خاصة منطقة الحلة	الزراعة
٣	من حوالي ١٦٧٠	مشيخة اقطاعية عسكرية ذات صفة مركزية قوية تتميز	التجوال على نطاق واسع فى أهوار العراق وايران من	السلب ونهب المحاصيل الزراعية فى منطقة الاهوار مع زراعة

تابع الجدول رقم (٩)

المرحلة رقم	التاريخ	التطورات السياسية	للمسكن	الحياة الاقتصادية
	الى عام ١٨٩٣	بعكثرة الحروب والغزوات . ظهور آل خيون كقوة سياسية فعالة للغاية . اندفاع عدد كبير جداً من العشائر وفصائل العشائر المحلية في بني اسد . اندحار الشيخ حسن آل خيون في حرب مع الجيش العثماني وفراجه الى الحويزة في ايران . تدمير قوة بني أسد العسكرية بصورة نهائية .	كرمة بني سعيد الى المدينة ومن الحافة الجنوبية لهور الحمار الى الحويزة مع اتخاذ اليساوي أولاً ثم الجبايش اخيراً كتمر ومركز عام .	مركزة في منطقة اليساوي .
٤	من ١٨٩٣ الى ١٩٢٤	مشيخة اقطاعية تحت امرة الشيخ سالم ال خيون وغيره مع ادارة عثمانية وبريطانية وعراقية ضعيفة غير فعالة . الغاء للمشيخة في عام ١٩٢٤ .	الاستقرار في الجبايش بعد أن فقدت العشيرة اليساوي وأراضيها الزراعية الاخرى .	حياكة الحصر التي تعلمتها العشيرة من المسدان في الهور . زراعة شتوية وصيفية حتى حلول الفيضانات المتكررة . تربية للماشية والهجرة للعمل باجرة الى منطقة الغراف فقط .
٥	من ١٩٢٤ الى الوقت الحاضر	حكم مباشر من قبل الحكومة العراقية . مركز اداري قوي . تقسيم الاراضي والسلطة في العشيرة بين السراكيل وتحت الادارة المباشرة للموظف الاداري في المنطقة .	استقرار القسم الاعظم من بني أسد في الجبايش مع استقرار أقسام قليلة العدد من العشيرة في حافة هور الحمار الجنوبية وكرمة علي وماركيل .	حياكة الحصر وتربية للماشية وزراعة صيفية عرضية وهجرة موسمية للمعمل باجرة الى منساطر الغراف والبصرة والى الهور لحياكة الحصر وصيد السماك .

٢ - النظام الجديد

عندما أُلقت الحكومة القبض على الشيخ سالم آل خيون كانت الاهداف الاساسية في سياستها في الجبايش :

- ١ - الغاء (مشيخة) بنى أسد واقامة سيطرة حكومية قوية في القرية .
- ٢ - الاعتراف بـ (المخاتير) كرؤوس سياسية لحمايلهم ، وتوزيع سلطة وأراضي الشيخ السابق بينهم .
- ٣ - قلب آل خيون الى مواطنين عاديين ليست لهم امتيازات أو حقوق خاصة .

لقد ظلت قرية الجبايش حتى عام ١٩٢٤ بدون ممثل حكومي^(١)، فلقد كان مركز الناحية في قرية الحمار . وحين فر الشيخ سالم من الجبايش احتلتها فصائل قوية من الشرطة وسيطرت على الوضع فيها . ثم بادرت الحكومة ليس الى نقل المركز الاداري من الحمار الى الجبايش فحسب بل انها قلبته من ناحية الى قضاء وعينت قائمقاما مع عدد من الموظفين . وفي تلك السنة عينها فتحت الحكومة في القرية مدرسة للبنين ومستوصفا .

وفي العهد الجديد أعيد تعيين رؤساء الحمايل الذين كانوا يسمون (مختارين) ، وكانوا يعملون وكلاء للشيخ في تلك الحمايل كـ (سراكيل) ، كل في حمولته ، بعد أن أفهموا وظائفهم تحت ظل النظام الجديد . وترك لكل (سر كال) حق اختيار (مختار) لكل فخذ من أفخاذ حمولته ، ليعاونه في تنفيذ أوامر الحكومة . ولقد سجلت كافة الاراضي التي كانت مسجلة باسم الشيخ سالم آل خيون باسم (السراكيل) الجدد ، كل أعطى الارض التي كانت تزرعها حمولته فعلا في ذلك الوقت .

وباستثناء عبدالهادي آل خيون لم يمنح أحد من آل خيون سلطة ولم يمكن من سيطرة^(٢) . فلقد حاول غضبان آل خيون ، أخ الشيخ سالم آل

(١) لدراسة مفصلة عن الادارة وتاريخها في الجبايش راجع الفصل التاسع .

(٢) انظر ما بعده .

خيون ، بعد اطلاق سراحه من السجن ، ان يحصل على قطع من الارض حول الجبايش ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل . وعندما لجأ ، نتيجة لعدم استجابة الحكومة لطلباته ، الى الهور ككثير وخارج على القانون فقاد فيه عصابات من آل خيون وخليط من اللصوص وقطاع الطرق انضموا اليه من مختلف العشائر والمناطق ، وسبب الكثير من الاضطرابات والقلق والاخلال بالامن ، أجابت الحكومة على تصرفه ذلك بقوة ، فبطشت بعصاباته وقضت عليها . وأضطر ، كوالده من قبله ، ان يفر الى الحوزة في ايران . وعاد بعد زمن مقدما خضوعه الى الحكومة فعفت عنه ، ثم أصدرت أمرا بمنعه هو وبعض أفراد آل خيون المخليين بالامن من السكنى في كافة ارجاء لواء المتفك . وكوسيلة لتحويل هؤلاء المشاغبين من آل خيون الى مواطنين مسلمين أعطيت لهم قطع من الاراضي في ألوية العمارة وبغداد ومنحوا هم وقليل من آل خيون الذين سمح لهم بالاقامة في الجبايش رواتب شهرية معقولة . والمهم ذكره هنا انه لم ينبر أحد من (بنى أسد) لمساعدة آل خيون بأى شكل من الاشكال في أعمالهم الثورية ضد الحكومة . وحين نظم غضبان آل خيون عصاباته في عام ١٩٢٧ لم يلتحق به أحد من (بنى أسد) . ولقد بذل قصارى جهده لاغراء بعض أفراد العشيرة للانضمام اليه في تلك الحركات ولكن لم يرغب أحد في ذلك مطلقا . وأخيرا لجأ غضبان الى ارسال رسائل تهديد الى الذين رفضوا الانضمام الى عصاباته ، وحين لم تجد هذه الطريقة نفعا صار يرسل بعض أفراد آل خيون لالقاء القبض على الرجال وجلبهم^(١) بالقوة لينظموا لعصاباته .

ولم يفقد الشيخ سالم الآمال في عودته شيخا لبنى أسد حتى وقت

(١) كان غضبان آل خيون يتخذ (ايشان الكبة) مركزا لحركات عصاباته ، وهي جزيرة صغيرة واقعة في وسط هور (العبد) قرب (بركة بغداد) .

متأخر • فبعد محاولات عدة^(١) نجح في عام ١٩٤٥ ان يحمل الحكومة على رفع المنع بدخوله الى الالوية الثلاثة المنتفك والعمارة والبصرة • فعاد الى الجبايش في شهر مايس ١٩٤٥ بعد غياب اجبارى دام احدى وعشرين سنة وبعد ان أخذت الحكومة منه تعهدا بانه لن يطالب أبان اقامته بين (بنى أسد) بأراض أو سلطة في منطقة الجبايش • ولكن ، ما كادت تتصرم شهور ثلاثة حتى زج الشيخ سالم (بنى أسد) ، نتيجة لتحريضه ودعاياته التي نشرها في القرية ، في صدام مسلح مع (آل حسن) ، وهى عشيرة مجاورة تقطن منطقة (گرمه بنى سعيد) ، بسبب نزاع حول أرض تدعى (ابو عجاج) • فكان من بين الاجراءات الصارمة التي اتخذتها الحكومة بصدد هذا الحادث اعادة فرض المنع على الشيخ سالم ان يدخل الالوية الجنوبية الثلاثة ، كما أمرته ان يترك الجبايش في الحال • ولقد نشر الشيخ سالم ، يعاونه في ذلك ولده وعدد قليل من آل خيون ، في غضون تلك الشهور الثلاثة التي أقام خلالها في القرية ، دعايات واسعة واشاعات كثيرة موهبا أهل القرية ان الحكومة قد غيرت سياستها تجاهه وانه سرعان ما سيستعيد أراضيه وسلطته اليباقتين • فذعر السراكيل لتلك الدعايات والاشاعات لانهم كافة ما كانوا مستعدين أن يتنازلوا عن الاراضى التي كانوا يستغلونها لعدد كبير من السنين ، وكانوا يخشون اشد الخشية مما قد يحل بهم لو أن الشيخ سالم يعود لسابق سلطته ومركزه • ولكن تلك الاشاعات والدعايات لم تلق جوا مناسباً • فلقد بادرت الحكومة للايضاح بان سياستها تجاه سالم آل خيون لم تتبدل وانه لن يسمح له بحال من الاحوال ان يمارس أية سلطة مرة أخرى • ولكن رغم هذا كله فان ولده ثعبان آل خيون بذل ما بوسعه منذ ان اتخذ الجبايش مسكنا دائما له في عام ١٩٤٥ ، مستعينا ببذل المال الذي كان يمدده به أبوه ، ان

(١) من جملة محاولات تنظيمه وفدا مكونا من سبع وستين وجيها من وجوه الجبايش احضرهم الى بغداد وتكفل بكافة مصاريف سفرهم واقامتهم ليرفعوا التماسا الى البلاط الملكى بالسماح لشيخهم السابق بدخول الجبايش •

يستعيد بعض أراضي والده عن طريق دفع اسعار فاحشة فى اراض يلتزمها أناس معدمون واحياء قطع من الاراضى المجدية وراء الحافة الجنوبية لهور الحمار . وكان يبذل قصارى جهده لتكوين مركز سياسى لنفسه فى القرية مستندا الى حقيقة كونه ابنا لسالم آل خيون^(١) ، ويقاوم بقوة وعناد سياسة عبد الهادى آل خيون ، سر كمال حمولة آل الشيخ ، الرامية الى التعاون مع الحكومة وتأييدها .

لقد تبين لبنى أسد بعد حادثة (ابو عجاج) ان الشيخ الذى ادعى عودة سريعة لد (مشيخة) والسلطة قد اخرج من القرية وحكم على مروجى الدعايات ومشعل نار الفتنة بالحبس والغرامات . ولذا فقد ظهر للعشيرة بشكل لا يقبل الشك انه (لا يمكن ان يوجد شيخ فى المكان الذى توجد فيه حكومة) .

ويقوم النظام السياسى الجديد فى القرية على أساس الحكم المباشر بواسطة (السراكيل) . وفى القضايا المدنية والجزائية يستطيع أفراد العشيرة مراجعة الحكومة التى تنظر فى تلك القضايا بموجب قوانين نافذة فى كافة أرجاء المملكة وفى القضايا الكبرى كالقتل أو القضايا التى لها مساس بالتقاليد القبلية ، ك (النهية) وما أشبه ذلك ، يستطيع أفراد العشيرة طلب حل القضية بموجب (نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩١٨)^(٢) . وفى مثل هذه الدعاوى تصدر التوصيات بالاحكام من قبل مجالس تحكيمية عشائرية تختار من قبل الطرفين المتنازعين وتصدر الاحكام ذاتها بناء على

(١) انظر ما بعده .

(٢) لقد سن (نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية) فى السابع والعشرين من شهر تموز سنة ١٩١٨ من قبل القائد العام للقوات البريطانية التى احتلت العراق فى الحرب العالمية الاولى ، لـ (حسم المنازعات المدنية والجزائية التى تقع بين افراد العشائر حسما سريعا وفقا لعادات العشائر) . ويقصد بافراد العشائر الذين يطبق عليهم هذا النظام كل (من كان منتسبا الى عشيرة معلومة أو فخذ من عشيرة معلومة من العشائر التى جرت على حسم منازعاتها بواسطة محكمين من اختيارها أو شيوخها بدلا من المحاكم النظامية) .

تلك التوصيات من قبل الموظف الادارى المختص الذى هو القائم مقام أو المتصرف • ولافراد العشائر الحرية فى أن يحلوا قضاياهم الصغيرة عن طريق السراكيل كما ان لهم دائما الحق فى مراجعة الحكومة فى القرية • ومن جهة أخرى فان (السركال) لا يستطيع ان يحل القضايا الكبيرة كالقتل وما اشبهه دون ان يطلع مدير الناحية على ذلك •

وتسيطر الحكومة فى النظام الجديد على الاراضى والتزامها وزراعتها سيطرة تامة ، وكل مشكلة ناجمة عن تلك الشؤون تحل من قبل الحكومة^(١) ولذا فان النظام الجديد لا يعطى السراكيل مجالا للسيطرة على اتباعهم عن طريق شؤون الاراضى ، وهو لذلك لا يمكنهم من أى استغلال مادى لافراد حمايلهم •

٣ - (السركال) و (المختار)

ان وظيفة السركال هى الوظيفة المهمة الوحيدة من الوظائف السياسية التقليدية فى العشيرة التى أبقي عليها النظام الجديد • و (السركال) يعين ويعزل من قبل متصرف اللواء بناء على توصية مدير ناحية الجبايش وموافقة وزير الداخلية •

وفى اختيار (السركال) يلجأ الى مزج عنصرى الوراثة والاختيار • فبناء على قاعدة خلافة الابن الاكبر لوالده فى المنصب Rule of Primogeniture المتبعة النافذة فى حياة أهل الجبايش فان الابن الاكبر لد (سركال) هو خليفته الطبيعى • ولكن مدير الناحية لا يوصى بتعيينه دون ان يتحقق من تحليله بصفات شخصية معينة • فيجب ان يكون بالغاً مشرفاً على الرجولة • وان يكون محبوباً لتمتعه بأخلاق حسنة ورأى صائب •

والاجراءات المتبعة فى تعيين (السركال) هى أن يرفع المرشح عريضة يلتمس فيها تعيينه للمركز الشاغر • ويكتب عدد من عيون الحملة وشيوخها (١) سندرست الاراضى وشؤونها فى الفصل العاشر ، الجزء الثانى •

(مضبطة) ويوقعونها شارحين فيها رغبتهم فى تأييد المرشح ، وانهم يعتقدون انه خير من يخلف السركال السابق فى مركزه ، ويبينون فيها انه اذا ما عين للمنصب فانهم سيؤيدونه ولا يقاومونه فى العمل . وتملاً ثلاث نسخ من استمارة معينة تبين اسم المرشح واسم حمولته والمنطقة التى تقطنها حمولته ونوع الارض التى تستغلها وعدد الاكواخ التى تشغلها ودرجة قرابة المرشح لد (سركال) المتوفى وغير ذلك من المعلومات . فيدرس مدير الناحية القضية ويرفع بها تقريراً مصحوباً بكافة الاوراق ومتضمناً توصيته التى تعتبر عاملاً مقررًا فى الموضوع . ويجب على مدير الناحية ان يدقق ويؤيد صحة كافة المعلومات الواردة فى الاستمارة . ويعين متصرف اللواء المرشح بناء على توصية مدير الناحية ويرسل الاوراق الى وزارة الداخلية ببغداد للمصادقة النهائية عليها .

ويؤخذ من (السركال) المعين حديثاً تعهد بأن يقوم بواجباته باخلاص ويدفع ضرائب الحكومة . ويتعهد (السركال) للحكومة أن يعتبر مسؤولاً عن كل عصيان أو اخلال بالامن يقع فى حمولته أو يقوم به شخص فيها وان يخبر الحكومة عن كل جريمة تقع فى منطقته .

وعندما يموت (السركال) تاركاً ولداً قاصراً ويرغب مسنو الحمولة وعيونها فى ان يخلف ذلك الابن حين يشب أباه المتوفى لعدم وجود شخص لائق لاشغال المنصب بين مسننى و (أجاويد) الحمولة ، يعين وصى على ابن (السركال) المتوفى حتى يبلغ سن الرشد ، على ان يوافق على هذا الاجراء مدير الناحية . ومن المهم أن نؤكد هنا بان ابن (السركال) سوف لا ينصب أو يشب رأساً ك (سركال) حال بلوغه السن القانونية ، بل يعاد النظر فى قضيته وفقاً للمبادئ المذكورة سابقاً . فان وجد غير لائق لعدم توفر كافة الشروط فيه فانه لا يعين . والوصى فى الغالب عم أو ابن عم للمرشح القاصر . فان لم يوجد قريب فيختار (خير) من (أجاويد الطائفة) ويعين وصياً .

إذا أساء (السركال) التصرف أو قصر في واجباته فإن الحكومة تبادر الى عزله • وأهم سبب لطرده (السركال) فشله في تنفيذ أوامر الحكومة • ويتم العزل على أساس اقتراح مدير الناحية وبنفس الاجراءات السابق ذكرها • وإذا استغل (السركال) أفراد حمولته أو أساء معاملتهم فيستطيع عدد من شيوخهم و (أجاويدهم) ان يقدموا عريضة يلتمسون فيها عزله • فيدرس مدير الناحية العريضة ويرفعها مع توصيته الى متصرف اللواء بواسطة قائمقام القضاء • ولقد حدثت أمثلة عدة على هذا الاجراء في الفترة التي طبق فيها نظام الحكم المباشر • ولكن مثل هذه القضايا تحل عادة بتدخل مدير الناحية ، اذ يدرس الشكوى فان ثبت ان (السركال) قد تجاوز حدوده فعلا فانه يردع وتتخذ الاجراءات الكفيلة بازالة أسباب الخلاف بين (السركال) واتباعه •

ولا تتخذ في تعيين (المختار) جراءات لانه في الواقع ليس له اتصال سياسي مباشر مع الحكومة فيكاد ينحصر دوره السياسي في تمثيل فخذه لدى (السركال) • ففي أغلب الحالات ، ويكاد ان يكون الامر بلا استثناء تقريبا ، يصبح أكبر الذكور سنا في الفخذ (مختار) له ما لم يكن غير محبوب من قبل رجال الفخذ • ويتمتع أكبر رجال الفخذ سنا بحكم كبر سنه وبحكم رئاسته لمجموعة قرابية Kinship group كبيرة في فخذه بأكثر اعتبار وأعظم سلطة في الفخذ ، فيرجع (السركال) اليه بصورة طبيعية في كل قضية تخص فخذه • فاذا مات (المختار) فان الرجل الذي يتمتع بأكثر حظ من الاعتبار والسلطة يعتبر (مختار) مكانه بصورة طبيعية وبدون ما حاجة الى اجراءات •

وواجب (السركال) تجاه الحكومة ان يحافظ على القانون والنظام بين اتباعه بان يحل كافة المنازعات والقضايا البسيطة بنفسه طبقا للقانون العشائري ويحيل القضايا الكبرى الى الحكومة في القرية • وعليه ان يدفع كافة ضرائب الحكومة ورسومها التي تكون بصورة رئيسية من ضرائب

الارض • وعليه أن يقدم وينظم العمل الجماعى الذى قد تطلبه الحكومة من رجال فخذة • وهو مسؤول عن تسليم اللاجئين والفارين من وجه العدالة الذين يلجأون الى حمولته كما يجب عليه ان يخبر عن ويعاون على القاء القبض على أفراد حمولته المتخلفين عن الخدمة العسكرية أو الهاربين وتسليمهم الى الحكومة •

وعلى (السركال) مسؤوليات جسيمة حيال أفراد حمولته لانهم يرجعون اليه فى كافة مشاكلهم ومعضلاتهم • فـ (السركال) لا ينظر اليه كرئيس سياسى للحمولة فحسب بل يعتبر أباً وحامياً لها • فعليه مثلاً ان يحل المنازعات التى تحدث فى الحمولة اما بتدخله بصورة شخصية أو بواسطة مجلس من (أجاويد) حمولته يرأسه هو ، أو بواسطة الحكومة • وفى كل الحالات يعتبر (السركال) مسؤولاً عن تعقيب القضية وملاحقتها حتى تحل بصورة نهائية • وعليه ان يمثل حمولته ويعبر عن وجهة نظر أفرادها ورغباتهم باخلاص لدى الحكومة ، كما أن من واجباته الاساسية ان يحمل السلطات الحكومية على اجابة مطالب حمولته • ويقوم (السركال) بتمثيل حمولته فى النزاعات التى تقع بينها وبين الحمايل الاخرى فى القرية وواجهه ان يدافع عن حقوقها ومصالحها • وعليه ان يبنى ويتكفل بمضيف يفتح كل صباح لأفراد الحمولة حيث يستطيعون ان يجتمعوا فيه ليتبادلوا الاخبار ويتدارسوا شؤونهم الهامة • وينتظر منه ان يكون كريماً فى كافة المناسبات وان يقوم فى الدور الرئيسى فى احتفالات وولائم الحمولة • وعليه ان يعاون كافة اعضاء حمولته الفقراء عن طريق القروض والهبات بالنقد أو الحبوب وبتجاوزه لهم عن حصته فى المحصول الزراعى كلاً أو جزءاً • ولد (سركال) أيضاً بعض الامتيازات والحقوق الاجتماعية والسياسية • فعلى اتباعه ان يحترموه كرئيس ورأس سياسيه • فله الحق ان يتدخل فى منازعاتهم ويحلها كما يعتقد صواباً من جهة قانونية وبحسب ما تفرضه التقاليد ويقتضيه القانون العشائرى أو ان يرفعها الى الحكومة • ويحترم

تدخله لدرجة كبيرة فى الامور الخاصة كالخطوبة والفصل والقضايا المشابهة وتستجاب فى العادة مطالبه وتلبى رغباته • ومن حقوقه ان له ثلثا فى محصول الارض التى تحت تصرفه^(١) • وله الحق ان يبيع لمنفعته الشخصية حق رعى كافة ما ينمو من عشب على الارض غير المزروعة فى اقليمه^(٢) • ويتقاضى بعض (السراكيل) رسوما من صيادى السمك الذين يخرجون الى الهور فرقا صغيرة (بربرة) وعن العمال الذين يهاجرون للعمل بأجرة خارج القرية •

ولا تترتب على (المختار) التزامات خاصة تجاه الحكومة غير التزامات الفرد العادى فى العشيرة • ويتصرف كحلقة وصل بين اعضاء فخذة وبين (السركال) • وعلى (المختار) ان يهتم بشؤون فخذة ويعاون (السركال) فى أية مسألة لها مساس فى تلك الشؤون • وله فى فخذة نفس الامتيازات الاجتماعية التى لد (سركال) فى حمولته ، باستثناء حق فض المنازعات ، كما انه ليست له أية امتيازات من امتيازات (السركال) الاقتصادية •

ولكل حمولة (سركال) واحد باستثناء حمولتى (آل غريج) و (الحدادين) وهما الحمولتان الثانية والثالثة فى حجمهما ، اذ ان للاولى اربعة (سراكيل) وللثانية ثلاثة • والسبب فى ذلك ان الحكومة لم تشأ ان تمكن رجلا واحدا من السيطرة على عدد كبير من الاتباع وتترك فى يده مساحات كبيرة من الاراضى الزراعية • ولكن حمولة آل الشيخ ، أكبر حمائل العشيرة ، تركت فى يد رجل واحد هو (السركال) عبد الهادى آل خيون وهو رجل ذو اعتبار اجتماعى كبير للغاية • وباستثناء حمولة آل الشيخ ، فان حمولة آل خاطر هى الحمولة الوحيدة التى يرأسها خيونى

(١) راجع الفصل العاشر فى الجزء الثانى •

(٢) هذا الامتياز فى الواقع خاص باولئك (السراكيل) الذين يتصرفون بأراض واقعة وراء الحافة الجنوبية لهور الحمار التى يكسوها العشب فى موسم انحسار الماء ، فيباع حق الرعى فيها ، ويسمى (شاة مرتع) ، لعشائر البدو الرعاة التى تأتى الى المنطقة كل عام لهذا الغرض •

هو حبيب آل فارس آل خيون • فلقد كان لهذه الحمولة حتى عام ١٩٤٢ (سر كال) يختار حسب الاصول المتبعة من بين أفراد الحمولة ذاتها • وحين توفي (سر كالهيا) كان ولده ، خيون آل يونس ، لم يبلغ السن القانونية بعد لينصب (سر كال) مكان أبيه • لذا فقد عين نعمة آل مطشر وصيا عليه • وحبيب آل خيون ، ابن أخ للشيخ سالم وزوج لاحدى بناته ومعروف بقدرته على تدبير المؤامرات • ولقد ظل هو وثمان آل خيون ، ابن الشيخ سالم ، يحاولان عرقلة جهود الحكومة فى فرض النظام والامن فى القرية مؤملان من وراء ذلك اظهار فشل النظام السياسى الجديد وعدم لياقته • ولقد كانت سياسة حبيب وجماعته مركزة دائما فى السيطرة على الموظف الادارى فى القرية لكى يتسنى لهم العبث فيها بحرية • فان كان الموظف الادارى قويا واعيا لا يمكنهم من السيطرة عليه ، فانهم كانوا يلجأون الى خلق الاشاعات الكاذبة وبث الدعاية المناوئة للحكومة واشاعة القلق والاضطراب فى القرية ، يهدفون من وراء ذلك كله الى نقله من القرية • وحدث ان مات الوصى على حمولة آل خاطر قبل ان يبلغ ابن (سر كالهيا) السابق السن القانونية • وكان مدير الناحية آنذاك رجلا ضعيفا وواقعا بالكلية تحت تأثير حبيب آل فارس وجماعته • وكان حبيب دائم التدخل فى شؤون حمولة آل خاطر منذ وفاة (سر كالهيا) أولا لان الحمولة (معدان) اصلا وهم لذلك ضعفاء وذوو مركز اجتماعى منخفض جدا فى القرية ، وثانيا لان حبيب خيونى ويسكن قريبا من اقليم الحمولة • فأهتبل حبيب هذه الفرصة وحصل بمساعدة مدير الناحية المذكور على (سر كلة) هذه الحمولة • والمهم ذكره هنا ان تعيين حبيب آل خيون لهذه (السر كلة) غير مكتمل من ناحية الاجراءات القانونية ، فان أمر التعيين لم يرسل الى وزارة الداخلية لتصادق عليه • ولكن رغم هذا فان حبيب آل خيون يتصرف منذ ذلك الوقت ك (سر كال) تام السلطة ومعترف به رسميا فى القرية •

وهناك رجل ذو مركز سياسي غريب في القرية هو ثعبان آل خيون ،
 الابن الحي الوحيد للشيخ سالم آل خيون . فلقد أراد والده ان يجعل منه
 (أفندى) مثقفا ويبعده عن الحياة العشائرية وتقاليدها ، فمكنه من أحسن
 الفرص الثقافية المتيسرة في القطر . فأتى دراسته حتى تخرج في كلية
 الحقوق ببغداد . ولكن رغم هذا كله ظل شديد الاتصال بالجياش وحياتها .
 ولقد شهد وهو لما يزل بعد صبيا له من العمر أحد عشر عاما فقط تحطيم
 (مشيخة) أبيه وتوزيع اراضيه وسلطته بين نفر من الناس . ثم شهد
 الفصول الاخرى من قصة أبيه كالمحاكمة والسجن والتفى في السنوات التي
 تلت ذلك . ولانه كان الولد الحي الاوحد للشيخ سالم ، فانه ظل يحلم بان
 يصبح يوما ما شيخا لبني أسد . ولقد كان منذ أن حل في الجياش فاتخذها
 مسكنا دائما له في سنة ١٩٤٥ ، يعمل بعزم وهمة لتحقيق حلمه ذاك .
 وكانت خطته ، على ما يظهر ، تلخص في ان يحصل على النفوذ والسلطة
 في القرية أولا فيعمل بعد ذلك على استعادة اراضى والده المفقودة ثم يصل
 عن ذلك الطريق الى (المشيخة) . ولكى يحقق طموحه ويصل الى اهدافه
 جرب طرقا عدة . فاعتمد أول الامر لحد كبير على الاثارة والتشويش
 السياسيين . فلما ثبت له عقم ذلك المسلك لجأ الى شراء الاراضى من المحتاجين
 الى اعمار قطع من ارض ميتة . وكان يبذل قصارى جهده لكسب ود أفراد
 العشيرة بكل وسيلة ممكنة كالولائم والهدايا ومعاونة ذوى المصالح فى الدوائر
 الحكومية . ولقد بنى ، كما أشرنا الى ذلك سابقا ، مضيئا واسعا للغاية وحافظ
 على عادة (الشيوخ) بتقديم القهوة لرواد المضيف كل صباح ، وهو يتدخل
 فى كل أمر يخص أفراد العشيرة ويلقب نفسه (شيخ ثعبان) .

والواقع ان ثعبان ليس (شيخ) ولا (سر كمال) . والقطع القليلة
 الصغيرة من الاراضى التى نجح حتى الآن فى شرائها أو الاستيلاء عليها لاتضفى
 عليه مركزا سياسيا . ورغم ان أهل القرية يقدرون عونه فانهم لا ينظرون
 له مطلقا كرجل ذى مركز سياسى . وهم يحترمونه لانه ابن الشيخ سالم ،

ولكنهم يعرفون حق المعرفة ان عهد (المشيخة) ولى منذ أمد بعيد • ويقف مدير الناحية لثعبان آل خيون دائما بالمرصاد ليحد من فعالياته وتصرفاته • ولقد نجح هو وابن عمه حبيب فى خلق زمرة صغيرة من المؤيدين ، ولكن ما دام كل من أهل الجبايش والحكومة شاعرين بأهداف تلك الزمرة ومقاصدها فان مجهوداتها فاشلة ولا يتوقع ان تؤدى الى شىء ذى بال •

٤ - سر كمال حمولة آل الشيخ

لقد ذكرنا سابقا أن حمولة آل الشيخ كانت شديدة الاتصال بالشيخ وبحمولة آل خيون ، بيت الرئاسة فى القرية • وكانت تلك الحمولة تحكم من قبل الشيخ مباشرة ولذا فلم يكن لها (مختار) كما كان لبقية الحمايل • وحين ثبتت الحكومة المخاتير ك (سراكيل) فى حمايلهم بعد الغاء (المشيخة) ، واجهت معضلة اختيار (سر كمال) لتلك الحمولة الواسعة القوية • ولقد ظهر جليا انه ليس عمليا ان يعين أحد أفراد تلك الحمولة (سر كمال) عليها لانه لم يكن هناك رجل واحد يستطيع ان يحظى باحترام وتأييد كافة أفرادها بشكل يكفى لفرض النظام والامن فيها • ففى تلك الفترة الحرجة الحاسمة من تاريخ العشيرة لا يمكن ضمان خضوع الحمولة وضبطها الا من قبل رجل خيونى • وكان الامر كله يتوقف على اختيار الخيونى اللائق الذى يمكن ان تتوفر فيه صفات تضمن خضوع الحمولة له وفى الوقت عينه تمكن الحكومة من فرض سياستها •

ولم تتردد الحكومة فى اختيار عبد الهادى آل خيون ، ابن ابن عم الشيخ سالم آل خيون • فأختر لتسلم السلطة بعد اقضاء الشيخ سالم أثر عصيانه وتمرده ضد الحكومة كما أختر جايده آل محمد آل خيون والد عبد الهادى ليحكم العشيرة بعد فرار الشيخ حسن آل خيون ، والد الشيخ سالم بعد اندحاره فى حربه ضد الجيش العثمانى •

ومن الحقائق التى يجب ان يؤكد عليها بقوة هنا انه لولا حكمة وكياسة

عبدالهادهى آل خيون وحسن نيته لوقعت اضطرابات كثيرة فى القرية ، بل وربما انهار النظام السياسى الجديد كله ، فلقد كان عبدالهادهى آل خيون بعيدا عن المسرح السياسى حين مثلت فوقه الاضطرابات والقلاقل بين سنتى ١٩١٤ و ١٩٢٤ . وكان معروفا دائما بين (بنى أسد) بانه رجل رحيم محب للسلام . وكان ، خلافا لبقية آل خيون ، معدما فقيرا لانه لم يستغل أحدا أو يفرض ضريبة أو رسوما . هذا بالاضافة الى انه كان شديد التمسك بتعاليم الدين . وكان يعتبر بين أهل الجياش أصدق الرواة وأوثقهم فى أخبار العشيرة وتقاليدها و (سوانها) . ولتحليه بهذه الصفات والمزايا فلقد اجتمع رأى العشيرة والحكومة فيه بانه خير خيوني يمكن ان يولى السلطة على أكبر وأقوى حمايل العشيرة . وكانت الحمولة كلها ، بصورة خاصة ، شديدة الرغبة فى الاجتماع والاتحاد تحت قيادته . فمن وجهة نظر الحكومة كان عبدالهادهى الرجل العاقل المتدين المحب للسلام الذى يتمتع باحترام كافة أفراد العشيرة ، ومن وجهة نظر آل الشيخ أنفسهم كان الخيوني الذى لم يؤذ أو يستغل احدا منهم مطلقا . ويطلق عليه أهل الجياش الآن (ابو) ويصفونه بانه (ابو الكل) ، وهم يقسمون ، كما المعنا سابقا بمضيفه الايمان .

وكان عبدالهادهى آل خيون بحكم عقليته وأخلاقه وميوله ضد النظام القديم . فلقد كان يمقت طرق (المشيخة) الاقطاعية القديمة وبصورة خاصة ما سببه آل خيون من مظالم فى سنى حكمهم الاخيرة ويظن ان ما قاموا به لا يتفق وتعاليم الدين مطلقا . ولهذا فقد أيد الحكومة عن اخلاص نية فى سياستها الجديدة . ولقد اعتقد عبدالهادهى ان الوسيلة العملية الوحيدة لصيانة العشيرة من التحطيم والتفكك المتسبب عن الاضطرابات والقلاقل المستمرة هى تدعيم النظام الجديد ومساندته . ولهذا فقد كان عبدالهادهى أداة فعالة فى اثباط كثير من المحاولات التى بذلها بعض آل خيون لاستعادة

نفوذهم ومركزهم^(١) . ولقد اوضح عبدالهادى لاتباعه آل الشيخ بان أول ما يتطلبه منهم الطاعة والاخلاص للحكومة . فلقبت سياسته الموالية للحكومة هذه مقاومة عنيفة من قبل كثير من آل خيون الذين بدأوا حملة دعاية وسلسلة من المؤامرات ضده ، فلم يحصلوا من وراء ذلك غير المزيد من كراهية أهل القرية .

ولقد نجح عبدالهادى آل خيون فى سياسته فى التعاون مع الحكومة ، وسرعان ما أعيد النظام الى نصابه واستتب الامن فى القرية . وأثبت عبدالهادى انه من طراز فريد من آل خيون ، اذ كان يعمل جاهدا لمصلحة اتباعه ولا يعير مصالحه ومنافعه الشخصية اهتماما مطلقا . فصار يكسب لذلك بصورة تدريجية اخلاص وحب العشيرة كلها . فابتدأ (السراكيل) الآخرون فى القرية يسألون رأيه وينشدون مشورته فى الشؤون الهامة ، خاصة تلك التى لها مساس فى أمور خارج نطاق حمايلهم . وبدأت العشيرة بصورة تدريجية تنظر اليه ك (سركال عام) أو ك (رئيس عمومى) للقرية . ولقد وضعت الحكومة فيه ثقة مطلقة وكان يسرها ان ترى العشيرة كلها تلتف حوله . فجمع عبدالهادى آل خيون فى ذاته شخصيتين طالما بدتا متنافرتين يستحيل الجمع بينهما ؛ شخصية الرئيس المخلص للنظام والتقاليد العشائرية ، والرئيس الموالى للحكومة والمؤيد لها .

وكان من مميزات النظام السياسى العشائرى فى أيام (المشيخة) القديمة المجالس العشائرية التى كانت على صنفين : الاول وهو ما كان يسمى (العمرة) وهو المجلس الحربى ويتكون من كافة أفراد العشيرة القادرين

(١) من ذلك مثلا انه كان لا يؤيد حركات غضبان آل خيون حين ثار وخرج الى الهور ، لدرجة اشتد معها الخلاف بينهما لحد كبير وتعاون مع الحكومة للقضاء عليها ، كما انه وقف موقفا صارما تجاه المشايخين من آل خيون فى القرية حين تركها موظفو الحكومة فى ثورة سوق الشيوخ . راجع الفصل التاسع .

على حمل السلاح • وكان مثل هذا المجلس يدعى للانعقاد للتحضير للحرب ولدراسة الخطط العسكرية والمواقف الناجمة من تهديد بغزو أو حرب • والثاني وهو مجلس (أجاويد الطايفة) ويتكون من (الاجاويد) فقط ، وكان يدعى للنظر فى أمور ذات أهمية عامة للعشيرة أو لخلق قاعدة جديدة فى القانون العشائرى •

ولانتفاء وقوع الحروب مع وجود سيطرة الحكومة فان المجالس الحربية لا يمكن ان تعقد الآن • ولكن الحاجة لمجلس (أجاويد الطايفة) تظهر من وقت لآخر • وفى مثل هذه المناسبات تنظر العشيرة كلها دائما الى عبدالهادى آل خيون لانه أقوى شخصية سياسية فى القرية ولانه (السر كال) الوحيد الذى يتمتع بثقة العشيرة والحكومة على حد سواء ، زد على هذا كله انه (سر كال) حمولة آل الشيخ ، أكبر وأقوى حمولة فى القرية • فاذا ما ظهرت حاجة لعقد مجلس عشائرى من هذا النوع فانه يعقد فى العادة تحت اشرافه وفى مضيفه •

ولا يعتبر مضيف عبدالهادى آل خيون مضيف حمولة آل الشيخ فحسب بل مضيف العشيرة كلها • وفى كل معضل ذى أهمية عامة يتشاور مدير الناحية معه ويطلب نصحه • وهو (السر كال) الوحيد فى القرية الذى يحمل ختمين^(١) • الاول ختمه بصفته (سر كال) حمولة آل الشيخ والثانى ، الذى كان يطلق عليه عبدالهادى اسم (المهر الجير) ، محفور عليه جملة (سر كال الجبايش) • وفى الامور التى تتعلق بأفراد حمولته يستعمل عبد الهادى ختمه الخاص المحفور عليه (سر كال حمولة آل الشيخ) ، اما فى الامور التى يراجعها فيها أفراد من العشيرة من غير حمولة آل الشيخ فيستعمل (المهر الجير) دائما •

ويجب ان ننوه هنا بانه رغم تمتع عبدالهادى آل خيون بسلطة كبيرة

(١) لكل (سر كال) فى القرية ختم (مهر) يحمل اسمه واسم حمولته •

على كافة حمايل القرية فانه لم يتجاوز حدوده ولم يستغل مركزه السياسى
القوى • فهو لا يتدخل فى شؤون (السراكيل) الاآخرين ، كما انه لم
يحاول ان يحقق لنفسه مصالح ومنافع شخصية عن طريق تلك السلطة
وذلك المركز كما لم يكن لديه أى طموح ان يصبح (شيخ) أو أن يحكم
العشيرة كلها •

الفصل التاسع

الحكومة المركزية والجبايش

١ - تاريخ الادارة فى الجبايش

لم تعرف منطقة الاهوار كلها ادارة فعالة متسلطة طيلة أيام الحكم العثمانى • فلم يتجاوز ما فعله العثمانيون فى هذا الصدد انشاء عدد قليل من مراكز (الجندرية) أقاموها هنا وهناك فى منطقة الاهوار الواسعة ابتداء من الاربعين أو الخمسين سنة الاخيرة من حكمهم ، وبصورة خاصة ما انشئ منها أيام مدحة باشا الوالى العثمانى المصلح الذى ولى العراق بين سنتي ١٨٦٩ - ١٨٧٢ ، وغير اقامة مراكز ادارية فى المدن والقرى الكبيرة فقط فى المنطقة • وحتى فى تلك المراكز كانت الادارة التركية غير فعالة ولا متنفذة بالمرّة • ولقد اعطانا ضابط انكليزى من ضباط الحملة البريطانية التى احتلت العراق فى الحرب العظمى الاولى صورة واضحة عن الادارة العثمانية فى أواخر أيامها فى ذلك الجزء من العراق فقال^(١) :

« لقد كان هناك ضبط فى المدن ، وسيطرة ضعيفة على القبائل المحيطة بها ، ورقابة واهية متلاشية سرعان ما تختفى بالمرّة فى مناطق الاهوار البعيدة • فالمنطقة التى عينت للعمل فيها بعد نهاية الحرب مباشرة فى الغراف الاوسط (لكش القديمة) الواقعة فى منتصف المسافة بين نهري دجلة والفرات لم تكن تدار فى السنوات العشر التى سبقت الحرب ، لعجز رجال الادارة العثمانيين عن جمع رسوم الحكومة ، وان ثلاثة من اسلافي من

(1) Bertram Thomas, The Arabs, London, 1937, p. 287.

رجال الادارة العثمانيين قد قتلوا لتشددهم فى جباية الضرائب » •
وكبقية اجزاء منطقة الاهوار ، ظلت منطقة الجبايش مقطوعة عن العالم
الخارجى أبان القرون الاربعة للاحتلال العثمانى • فلم يكن فى القرية موظف
ادارى حتى عام ١٨٩٣ • وترتب على هذا ان كانت السلطة الوحيدة المعترف
بها فى كافة ارجاء المنطقة هى سلطة الشيخ • وحتى عام ١٨٧٠ كان أقرب
مركز للشرطة العثمانية الى القرية فى الناصرية والقرنة اللتين تبعدان خمسا
وخمسين ميلا وعشرين ميلا غرب وشرق الجبايش على التوالي •

وابتدأ العثمانيون يولون منطقة الجبايش اهتماما متزايدا اعتبارا من عام
١٨٦٥ • فلقد انشئ عدد قليل من مراكز (الجندرمه) فيها ؛ واحد منها
فى سوق الشيوخ ، المركز الذى قلب الى قضاء فيما بعد • ولكن حتى بعد
أن قلبت البصرة ، التى كانت ترتبط فيها الجبايش اداريا ، الى ولاية مستقلة ،
وحتى بعد ان انشئ عدد قليل من مراكز (الجندرمه) ، فلقد كان الامن
أبعد من ان يوصف بالاستتباب • فلقد كانت الزوارق تسرق دائما فى هور
الجبايش ، ولا يستطيع المارون اجتياز ذلك الهور بدون حماية الشيخ •
وحتى ضباط الجيش العثمانى وموظفو الادارة كانوا يجتازون المنطقة تحت
حماية رجال الشيخ ، كما كانوا ينقلون من نقطة حراسة تركية لآخرى
ويسلمون فيها لقاء وصولات موقعة من الضباط القائمين على تلك النقاط^(١) •
وابتدأ الاتراك ، اعتبارا من عام ١٨٦٥ سياسة جديدة قائمة على أساس
تفكيك النظام العشائرى عن طريق توطين العشائر بصورة اجبارية Forcible
detrribalization • فكانت العشائر تشجع على الاستقرار والزراعة أحيانا
وتجبر على ذلك أحيانا أخرى • وكان الشيوخ يوظفون فى الادارة العثمانية •

(١) اطلعنى السيد قيس آل خيون على وصل من هذا القبيل ، مؤرخ
٢٩ ربيع الاول عام ١٣١٤ هجرية ومعنون الى « الشيخ » جناح آل محى آل
خيون ، وكيل الشيخ جايد آل محمد آل خيون الذى كان غائبا وقتئذ ببغداد •
ويعترف موقع الوصل بوصول (يوزباشى) فى الجيش العثمانى سائلا الى
نقطة (الجندرمه) العثمانية فى (حمار بنى حطيط) •

وكجزء من هذه السياسة عين الاتراك بعض الشيوخ الاقوياء موظفين اداريين . ففى حكم مدحة پاشا ، والى بغداد (١٨٦٩ - ١٨٧٢) ، أصبح ناصر پاشا آل سعدون ، الشيخ العام Paramount Shaikh لاتحاد عشائر آل سعدون فى منطقة الناصرية « الآلة الطبعة المختارة لترويض عشائر المتفك » (١) . ثم عين ناصر پاشا متصرفا للواء البصرة والشيخ محي آل خيون قائمقاما لقضاء سوق الشيوخ . وكانت هذه السياسة الرامية الى « نسف سلطة الشيوخ وتقويضها قد أدت ، فى المناطق التى تيسر فيها نجاحها ، الى حالة من الاضطراب والقلق ، كما سببت فى المناطق التى لم يتوصل الى تطبيقها أو بلوغ مراميها بشكل تام عداً ومناوأة زعماء القبائل الذين كانوا أقوى أو أبعد من أن يسيطر عليهم » (٢) .

وكان محي آل خيون أول شيخ من شيوخ آل خيون تعاون مع العثمانيين فى حوالى عام ١٨٦٥ . وتعاون بعده أخوه الشيخ حسن آل خيون مع ناصر پاشا آل سعدون ، متصرف لواء البصرة فى ذلك الوقت ، فى ادارة العشائر فى منطقة الجبايش . فأدى هذا التعاون بين الزعيمين العشائريين الى تحقيق أحد المشاريع النافعة جدا فى المنطقة ، « سدة ناصر پاشا » ، وهو سد واق من الفيضان أقيم على طول ضفة الفرات اليمنى من سوق الشيوخ حتى القرنة ، فأصبح من الميسور بواسطته صيانة كافة الاراضى الواقعة جنوب النهر بين تلك المدينتين من الغرق وزراعتها بمحاصيل شتوية وصيفية كل عام . ولقد بنى هذا السد تحت اشراف الشيخ حسن آل خيون بتسخير الآلاف من رجال العشائر (٣) .

(1) Longrigg, H.S. op. cit. p. 308.

(2) Review of the Civil Administration of Occupied Territories of Al 'Iraq, 1914-1918, Baghdad, Government Press, 1918.

(٣) حين ساءت العلاقة بين الشيخ حسن آل خيون وناصر پاشا آل سعدون خرب الشيخ حسن نفسه ذلك السد العظيم فعرض للغرق آلاف من المشارات من الارض التى تزرع محاصيل شتوية كل عام ، ولم يستفد من تلك الاراضى منذ ذلك العهد حتى الآن .

وبعد أن دحر الجيش العثماني الشيخ حسن آل خيون عام ١٨٩٣
 انشأ الوالي في قرية الجبايش نقطة (جندرمه) ودائرة برق تستخدم
 للاغراض الحكومية فقط ، كما انشأ قوة صغيرة من الشرطة المحلية (شبانه) .
 وعين الشيخ چايد آل خيون ، الذي نصب من قبل العثمانيين شيخا على
 (بنى أسد) بعد فرار الشيخ حسن آل خيون الى الحويزة ، ضابطا لد
 (شبانه) وأعطى قيادة (شبانه) القرية . وفي هذه الفترة كان المركز
 الاداري العثماني في قرية الحمار ، فقلب ذلك المركز بعد حوادث الشيخ
 حسن آل خيون الى قضاء . ويبدو ان الادارة العثمانية في هذه الفترة
 استطاعت ان تستقر وتتركز بحيث حين ألقى القبض على الشيخ چايد آل
 خيون وسجن بعد حادث مقتل الضابط العثماني وعائلته في الهور عام ١٨٩٦ ،
 لم ير الوالي العثماني ضرورة حكم المنطقة عن طريق شيخ . فأدخل لأول
 مرة في تاريخ القرية نوع من الادارة اليها حين عين لها الوالي مديرا مقيما
 يديرها بمعاونة (المخاتير) .

وفي عام ١٩٠٤ عين سالم آل خيون شيخا على العشيرة . فألغى المركز
 الاداري في الجبايش ، كما انزل المركز الاداري في الحمار من قضاء
 الى ناحية . ومن عام ١٩٠٤ - ١٩١٤ اتبع الشيخ سالم آل خيون سياسة
 موالية للعثمانيين لحد مفرط ، واستطاع بشخصيته القوية ونشاطه ان يفرض
 النظام والامن . وظل على صلاته الحسنة مع الموظفين الاداريين في الحمار ،
 ولكنه كان مسيطرا عليهم تمام السيطرة . زد على ذلك انه عين ضابطا لد
 (شبانه) التي كانت تعمل تحت قيادته في الجبايش .

وفي كانون الثاني عام ١٩١٥ عين ماجد آل حمود آل خيون شيخا
 على (بنى اسد) تحت الادارة البريطانية العسكرية ، وظل يشغل هذا
 المنصب حوالي اربع سنوات . ولكنه « اثبت عدم لياقة »^(١) وبعد فترة

(1) Report of Administration for 1918 of Divisions and Districts of Occupied Territories in Mesopotamia, Baghdad, 1918.

« ارتوى أن من الضروري تنحيته »^(١) . ولقد فشل الشيخ ماجد في تنفيذ رغبات الادارة البريطانية العسكرية ، كما انه أثار حفيضة العشيرة بضعفه وفساد حكمه . ولم تنجح السلطات البريطانية في ايجاد خلف لائق فلبجات الى الحكم المباشر . فعينت رجلا بارزا من أهل (الهوير)^(٢) اسمه سيد عبدالحسن كمدير للجبايش . ولكنه « لم يتصرف بمهارة كافية في معاملاته مع سكان القرية وكان قد اتهم بأخذ الرشوة من عدة أناس ولهذا فقد أثار سخط أهل الجبايش وهيجهم ضده فترتب على ذلك وجوب اقصائه »^(٣) .

فتقرر عندئذ تنصيب فالح آل حسن آل خيون ، الاخ الاصغر للشيخ سالم آل خيون نائبا للشيخ Vice-Shaikh لحين عودة الشيخ سالم من منفاه في الهند . وبما ان فالح آل خيون كان ولدا قاصرا في ذلك الوقت فلقد بذلت السلطات البريطانية جهدا في ايجاد « مستشار » له . فوق اختيارها على شخص يدعى صالح آل حجاج ، أحد أعيان البصرة وممن كانوا على صلة وثيقة بالجبايش . فهو « سداوى » بالمولد وكان يعتبر دائما وكيلًا للشيخ و آل خيون في مدينة البصرة يقضى لهم أشغالهم فيها ويزودهم منها بما يحتاجون اليه . ولقد تحسنت الاوضاع السياسية في القرية لان صالح آل حجاج أظهر « مقدرة في عمله ، وكياسة في معاملاته مع أهل الجبايش ، وسيطرة في تصرفاته مع نائب الشيخ القاصر الصغير »^(٤) .

وعاد الشيخ سالم من الهند في شهر آب ١٩١٩ وكانت الادارة في ذلك الوقت قد رست جذورها وتركزت تحت ظل الحكم العسكرى ، خاصة في الاقسام الجنوبية من القطر التي كانت قد مرت عليها فترة تقرب من

(١) نفس المرجع .

(٢) قرية تقع على منتصف المسافة تقريبا بين المدينة والقرنة على رافد صغير يسمى بنفس الاسم يجرى من الهور الى الضفة اليسرى من نهر الفرات .

(٣) نفس المرجع .

(٤) نفس المرجع .

خمسـة أعوام من الاحتلال العسكـرى • وكان الهدف الاساسى لسلطات الاحتلال فى حكمها تلك المنطقة ان تحدد مسؤولية الشيوخ عن طريق جمع وتوحيد العشائر التى سمح لها بل وشجعت من قبل الاتراك على التفكك والانحلال • أى أن تلك السلطات سارت على سياسة معاكسة تماما لسياسة الاتراك التى اتبعوها فى سنـى حكمهم الاخيرة • فكانت سياستهم تلك ، بقدر ما يتعلق الامر بمصالحهم ، ناجحة • واستطاع الشيوخ ان يحكموا عشائرهم بنصح ومعاونة الضباط السياسيين الانكليز الذين عينوا فى المدن والقرى الكبيرة • وأعيد الشيخ سالم الى « مشيخته » حال وصوله الجيايش بعد رجوعه من منفاه فى الهند واستعاد سلطته ونفوذه فى المنطقة •

وكانت الجيايش بين سنتى ١٩١٤ - ١٩١٨ ملحقة اداريا بمنطقة القرنة التابعة لقسم البصرة • ولكن ارتباطها بالقرنة فك فى عام ١٩١٩ والحققت بمنطقة سوق الشيوخ ، قسم الناصرية • وبعين الوقت « الحققت عشائر الجيايش وبنى حطيـط وعبادة وبنى مشرف وآل حسن بمنطقة سوق الشيوخ ووضعت تحت ادارة (Mudirship) الشيخ سالم آل خيون » (١) • ولقد جاء فى تقرير الضابط السياسى لتلك المنطقة انه « لم تحدث مشكلة واحدة فى الادارة تستحق التسجيل » (٢) •

وفى عام ١٩٢١ تشكلت الحكومة الوطنية العراقية فدخلت منطقة الجيايش تحت الادارة العراقية الجديدة • فجعلت المتفك لواء وسوق الشيوخ قضاء والحمار التى الحققت بها قرية الجيايش ناحية • وبعد تمرد الشيخ سالم على الحكومة العراقية والقاء القبض عليه عام ١٩٢٤ نقل المركز الادارى من الحمار الى الجيايش وقلب الى قضاء كذلك • ولقد كان هذا اجراء ضروريا وسديدا لمواجهة الحالة الجديدة الناجمة عن الغاء المشيخة • فلقد كانت

(1) Administrative Report of the Muntafiq Division for the year 1919. Appendix M.

(٢) نفس المرجع •

المنطقة تحتاج في تلك الفترة الى مركز ادارى أقوى وأكفاً • وحين استتب
الامن وثبتت قواعد النظام الجديد فى القرية ، قلبت الجبايش مرة أخرى
عام ١٩٢٩ الى ناحية والحقت بقضاء سوق الشيوخ • وبين الجدول رقم
(١٠) تاريخ الادارة فى الجبايش •

جدول رقم (١٠)

تاريخ الادارة فى الجبايش

مرحلة رقم	شكل الادارة	السلطة الادارية	التاريخ	التشكيلات الادارية	السلطة العليا
١	١٨٦٧ — ١٨٧١	شيخ خيون آل جناح	١٨٠٠ — ١٨٤٠		للشيخ العمومية لا آل سعدون
		شيخ محي آل خيون	١٨٤٠ — ١٨٦٥		
		شيخ حسن آل خيون	١٨٦٥ — ١٨٩٣		
٢	١٨٩٣ — ١٩١٤	شيخ چايد آل خيون	١٨٩٣ — ١٨٩٦	(جندرمه) تركية	مركز اداري عثماني (قضاء) في قرية الحمار.
		مدير ناحية تركي يعاونه (مختير) القرية	١٨٩٦ — ١٩٠٤	وقوة شرطة محلية (شبانه) ، ودائرة برق	
		شيخ سالم آل خيون	١٩٠٤ — ١٩١٤		

تكملة جدول رقم (١٠)

٣	البلدية : الدارة : ١٩٢١ - ١٩٢٤	شيخ ماجد آل خيون	١٩١٥ - ١٩١٨	قوة شرطة محلية (شبانة) ودائرة برق	ضابط سياسي بريطاني في القرنة (قسم البصرة) حتى عام ١٩١٩ ثم في سوق الشيوخ (قسم الناصرية) حتى عام ١٩٢١ .
		مدير	١٩١٨		
		نائب شيخ (فالح آل خيون) يعاونه مستشار	١٩١٨ - ١٩١٩		
		شيخ سالم آل خيون	١٩١٩ - ١٩٢١		
٤	الدارة : الحمار : ١٩٢١ حتى الوقت الحاضر	شيخ سالم آل خيون	١٩٢١ - ١٩٢٤	قائم مقامية مع قوة شرطة ومدرسة للبنين ومستوصف ودائرة بريد .	مدير ناحية في قرية الحمار
		قائم مقام	١٩٢٤ - ١٩٢٩		
		مدير ناحية	١٩٢٩ - حتى الوقت الحاضر		

٢ - حكومة الجبايش اليوم

الجبايش اليوم مديرية ناحية . وهي ، كوحدة ادارية ، تضم
بالاضافة الى قرية الجبايش قرى (الحمار) و (الفهود) ومجتمعات هورية
كثيرة أهمها (الجرباسي) و (الجبلعة) و (الشاطي) و (الشويمرية)
و (عبادة) و (بنى مشرف) و (العويدية) و (ابو سيابة) وكثير غير
ذلك . وتقع حدود الناحية من (الخرفية) شرقا الى (آل سماعيل) في
الغرب ومن (العبد) في الشمال الى خط السكة الحديدية وراء الحافة
الجنوبية لهور الحمار في الجنوب . ويبلغ سكان ناحية الجبايش حسب

تعداد النفوس الذى جرى عام ١٩٤٧ (٢٩١٠٠) نسمة^(١) وأهم العشائر التى تعيش فى الناحية هى (بنى أسد) و (آل فرطوس) و (الدبّات) و (ابو عايش) و (ابو شامة) و (بنى حطيط) و (العميرة) و (آل حول) و (آل سماعيل) و (عبادة) و (بنى مشرف) و (الفهود) . وتكون حكومة القرية من الدوائر الآتية :

١ - مديرية الناحية : وهى دائرة رئيس الوحدة الادارية ، مدير الناحية . وتتكون من مدير الناحية وكاتب ، وهى الدائرة المسؤولة عن الاشراف على كافة دوائر الحكومة فى القرية وتوجيهها . والمسؤولية الاساسية لمدير الناحية هى فرض النظام والامن وحسم المنازعات التى تقع فى دائرة اختصاصه وسلطاته واحالة التى لا يستطيع حسمها الى الدائرة الحكومية المختصة وهى عادة قائمقامية القضاء . ويجمع مدير الناحية ضرائب الحكومة عن الارض ورسوم البلدية . وعليه ان يحافظ على السدود وينبى ما تقتضيه حالة الفيضان منها ليقى قرى الناحية ومزارعها من الغرق . وبما انه رئيس البلدية فى القرية فهو مسؤول عن كافة أعمال وواجبات البلدية فيها من نظافة وتنوير وردم وتشجير وما يشبه ذلك . وكافة موظفى الناحية مسؤولون تجاهه بصورة مباشرة ، وعليه ان يفتش دوائرهم ويراقب أعمالهم ويرى انهم قائمون بواجباتهم كما يجب . ويعد كاتب الناحية الاوراق والتقارير الخاصة بالمعاملات الرسمية التى يبت فيها مدير الناحية ويحفظها فى سجلاتها . ويعمل الكاتب كسكرتير لمدير الناحية وينوب عنه فى بعض الحالات .

٢ - الشرطة : وتتكون من معاون ومفوض وستة عشر شرطيا . وأعمال الشرطة تنفيذ أوامر مدير الناحية فيما يتعلق فى المحافظة على النظام والامن كالقاء القبض على الاشخاص وتوقيفهم وارسال المكلفين بالخدمة العسكرية

(١) احصاء النفوس العام لسنة ١٩٤٧ . وزارة الشؤون الاجتماعية بغداد ١٩٥٤ .

والمتخلفين عنها وأى أفراد آخرين تطلبهم القائمقامية الى مركز القضاء ،
كما تنظر هذه الدائرة فى كافة الشكاوى التى يرفعها أهل القرية إليها •

٣ - المستوصف : ويدار من قبل مضمّد فقط • وهو مزود بكميات كافية من الادوية اللازمة لحاجات التداوى البسيط الذى يحتاجه أهل القرية • ويستفيد سكان القرية من الخدمات الطبية فى المستوصف ، خاصة أولئك الذين يعيشون قريبين منه • فلقد راجع المستوصف فى عام ١٩٥١ ، (١٤٩٣٢) مريضاً ؛ منهم (٩٧٥٧) ذكراً و (٥١٧٥) أنثى^(١) بمعدل شهرى يبلغ (١٢٤٤) مريضاً ؛ (٨١٣) منهم ذكور و (٤٣١) أنثى • وفى عام ١٩٥٢ بلغ عدد المرضى الذين راجعوا المستوصف (١٩٣٣٥) مريضاً ، كان منهم (١٥٠٨٩) ذكراً و (٤٢٤٦) أنثى • ونستطيع القول بان عدد المرضى الذين يراجعون المستوصف قليل اذا ما قيس بعدد سكان القرية وانتشار الامراض فيها •

ويمتنع كثير من أهل الجبايش عن مراجعة المستوصف لعدة أسباب • فهم بصورة عامة يؤمنون ايماناً قوياً بالطب العشائرى المحلى القائم بصورة أساسية على (الدك) بالابرة والكى وشرب أدوية مستخرجة من بعض الاعشاب الى جانب (الخرز) والتمايم وما أشبه ذلك • والبعد بين المستوصف وبين مساكن أهل القرية ، وهى مسافة تبلغ الميلىن فى حالة بعضهم ، كثيراً ما يمنع بعض المرضى من مراجعة المستوصف • وأغلب النسوة يعتقدن أن من العيب مراجعة المستوصف وهن لذلك يعتمدن بصورة أساسية على الطب المحلى • ولقد وجدت أن أكثر من ٨٠٪ من الاناث المريضات اللواتى راجعن المستوصف فى عام ١٩٥٢ كن أما بنات صغيرات أو عجائز مسنات •

(١) تمتنع كثير من نسوة القرية عن مراجعة المستوصف حيث يفحصن ويداوين من قبل رجل • فلقد كانت نسبة الذكور الى الاناث فى المعدل الشهرى لعدد المرضى الذين راجعوا المستوصف فى سنة ١٩٥١ : ١٠٦٥٣/٠ ذكور و ٠٣٤٧/٠ اناث • ولو وجدت فى مستوصف القرية دكتورة أو ممرضة لازداد عدد الاناث المراجعات للمستوصف زيادة كبيرة •

٤ - المدرسة : لقد أسست مدرسة للبنين في القرية عام ١٩٢٤ بعد الغاء (المشيخة) • وبدأت المدرسة عملها أول الامر في عدد من أكواخ قصيبة • وهي الآن تشغل بناية من الآجر مكونة من ثمانى غرف • والمدرسة مفتوحة للاولاد والبنات على حد سواء ولكن عدد البنات فيها عادة قليل جدا • فلقد كان فيها في العام الدراسى ١٩٥٢ - ١٩٥٣ خمس فتيات فقط من بين عدد طلابها البالغ (١٨٣) وفى العام الدراسى ١٩٥١ - ١٩٥٢ كانت فيها طالبة واحدة فقط من بين طلاب المدرسة البالغ عددهم (١٦٧) ، وكانت هى أول فتاة تدخل المدرسة فى الجياش • وتكون المدرسة الآن من ستة صفوف كان عدد طلابها و طالباتها المسجلين للسنوات الدراسية الثلاث الماضية كما هو مبين فى الجدول رقم (١١) •

جدول رقم (١١)

عدد طلاب وطالبات مدرسة القرية للسنوات (١٩٥٣ - ١٩٥٠)
(الارقام المحصورة فى أقواس تشير الى عدد الطالبات فى الصف)

الصف	١٩٥١-١٩٥٠	١٩٥٢-١٩٥١	١٩٥٣-١٩٥٢
الاول	٦٠	٣٥ (١)	٤٧ (٣)
الثانى	٣١	٣٠	٢٦ (١)
الثالث	٢٤	٣٠	٢٢ (١)
الرابع	٢٨	٢٤	٣٦
الخامس	٣٠	٢٨	٢٧
السادس	١٢	٢٠	٢٥
المجموع	١٨٥	١٦٧	١٨٣

ولقد اتم اثنان وتسعون طالبا دراستهم فى مدرسة القرية منذ افتتاحها فى عام ١٩٢٤ حتى نهاية العام الدراسى ١٩٥٢ - ١٩٥٣ • ولكن قسما صغيرا من هؤلاء الطلبة استطاعوا ان يواصلوا دراساتهم فى المدارس المتوسطة والثانوية ودور المعلمين • وبين الجدول رقم (١٢) الاعمال التى يزاوئها ست وثمانون من اولئك الطلبة المتخرجين من مدرسة القرية كما كانوا فى نهاية عام ١٩٥٣ •

ولقد عمل اربعون (٤٦٣ /) من هؤلاء الطلبة المتخرجين فى خدمة الحكومة كمعلمين وموظفين ومستخدمين وجنود وضباط فى الجيش • وتخلف واحد وثلاثون متخرجا (٣٦ /) فى القرية ولم يستطيعوا مواصلة دراستهم بعد الابتدائية • ولقد كان انعدام الامكانيات المادية ، فى أغلب الحالات ، هو السبب الوحيد الذى منع أولئك الواحد وثلاثين طالبا من مواصلة دراستهم اذ انهم يحتاجون الى أجور دراسية وأجور اقامة ومصاريف أخرى لعدة سنوات فى مركز اللواء أو فى بغداد •

ولقد كانت الهيئات التدريسية للمدرسة مكونة فى عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ من مدير وخمسة معلمين كلهم متخرجون من دار المعلمين الابتدائية أو مدرسة الزراعة • وكانت أغلبية الطلبة فقراء ؛ يأتون المدرسة بـ (الدشاديش) ، وحوالى عشرة منهم فقط يلبسون الاحذية بصورة مستمرة وقراءة اربعين فقط يلبسونها بصورة عرضية أو فى المناسبات • وكان قرابة مائة منهم ، ومجموعهم ١٨٣ طالبا ، يستخدمون (المشاحيف) للوصول الى المدرسة طيلة السنة ، وكلهم تقريبا يضطر على استعمالها لنفس الغرض فى موسم ارتفاع الماء ، وأمدد اربعة شهور تقريبا • وتطول بعضهم ، خاصة الطلاب الذين يقطنون اقليم آل غريب ، الرحلة بين البيت والمدرسة حتى تصبح ساعة أو تزيد •

٥ - البلدية : تكون بلدية القرية من مجلس مكون من ستة من أعيان

الجدول رقم (١٢)

خريجو مدرسة القرية للسنوات من ١٩٣٦ - ١٩٣٧ الى

١٩٥٢ - ١٩٥٣ والاعمال التي يزاولونها (١)

السنة الدراسية	م.م	موظف	تاجر أو صاحب مكان	فلاح	جندي	صا بيطحيش أو شريطة	صانع ماهر	تلميذ في مدرسة بعد الابتدائية	بطل	متوفي	غير معروف	الاجموع
١٩٣٦-٣٧	٣	١	١									٥
١٩٣٧-٣٨	٢	١	١	١	١							٦
١٩٣٨-٣٩	١	٣			١	١					١	٧
١٩٣٩-٤٠		٢	١	٢	٢						١	٨
١٩٤٠-٤١	١	١	٣	١	١		٢			١		١٠
١٩٤١-٤٢					١		١					٢
١٩٤٢-٤٣	٢		٢		٢		٢					٨
١٩٤٣-٤٤												
١٩٤٤-٤٥		١					١					٢
١٩٤٥-٤٦			١				١					٢
١٩٤٦-٤٧					٢							٢
١٩٤٧-٤٨			٢		١			١				٥
١٩٤٨-٤٩		١	١		٣		٢					٧
١٩٤٩-٥٠			١		٤			٣				٨
١٩٥٠-٥١								٢	٢			٤
١٩٥١-٥٢			١	١	١			٣				٦
١٩٥٢-٥٣					١			٣				٤
الاجموع	٩	١٠	١٢	٧	٢٠	١	٩	١٢	٣	١	٢	٨٦

(١) لم استطع الحصول على معلومات عن الطلبة الذين تخرجوا من المدرسة بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٦ فى مديرية معارف لواء المفتك • ولكن المعروف ان ستة طلاب فقط تخرجوا فى تلك الفترة من المدرسة وكلهم يعمل فى القرية أو خارجها بالتجارة أو الزراعة •

القرية ينتخبون^(١) لمدة اربع سنوات ، ويستبدل نصف الاعضاء كل سنتين •
ويجتمع المجلس الذى يرأسه مدير الناحية حسب الحاجة وبشكل غير
منتظم ، لبيت فى كافة الشؤون البلدية ويتوصل الى قراراته عن طريق
التصويت • وتضم البلدية بالاضافة الى المجلس كاتين وستة مستخدمين •
والبلدية مسؤولة عن تنظيف وتنوير القرية كما تستخدم ثلاثة حراس ليلين
لحراسة سوق القرية ودوائر الحكومة والبيوت المبنية فى قسم (الناحية)
منها •

ومن بين واجبات البلدية تثبيت أسعار بعض المأكولات التى تباع فى القرية
كالفواكه والسماك والخضر وما يشبه ذلك وتعين أجور النقل فى الوسائط
المائية • وتوزع البلدية مساعدات مالية محدودة على المحتاجين فى بعض
المناسبات كما تدفع رواتب شهرية بسيطة الى خمسة عشر فقيرا فى
القرية • وكانت أهم المشاريع التى حققتها البلدية فى القرية حتى عام ١٩٥٣
هى بناء رصيف من طابوق على حافة النهر وعلى طول قسم (الناحية) وبناء
عدة بيوت عصرية لسكنى بعض موظفى القرية وانشاء قنطرين حجريتين
فى نهايتى الرصيف •

٦ - مأمور الاستهلاك ، يعاونه عدد من السعاة فى جمع ضريبة
الاستهلاك عن الحبوب واصناف أخرى من المواد الغذائية التى تباع فى
القرية • وترتبط هذه الدائرة فى وزارة المالية ولكن موظفيها يعملون
تحت رقابة مدير الناحية •

(١) من المهم ان نؤكد هنا حقيقتين ؛ الاولى ان الانتخاب لا يمكن ان
يقع عمليا بل ان المجلس يختار ويعين من قبل مدير الناحية وذلك لجهل اهل
القرية من جهة ولعدم اهتمامهم فى هذا الامر من جهة أخرى • والحقيقة
الثانية هى ان الاختيار لا يراعى فيه تمثيل الطبقات الاجتماعية العليا ولا
مبدأ الاعتبار الاجتماعى النافذ فى القرية • فخمسة من الاعضاء الستة أثرياء
وتجار واصحاب دكاكين وواحد منهم صاحب اراض •

٧ - البريد : ويدار من قبل موظف واحد هو كاتب البريد ؛ يوزع الرسائل ويحزم البريد ويقوم ببيع الطوابع وتسجيل الرسائل والرزم وكافة الاعمال البريدية الاخرى . وينقل البريد بين الجبايش وسوق الشيوخ مرتين فى الاسبوع فقط . فيترك القرية فى (مشحوف)^(١) كل يوم أحد واربعاء صباحا ويصل سوق الشيوخ مساء كل يوم ثلاثاء وجمعة ، بعد ان يقضى نوتية (المشحوف) ليلة فى احدى القرى الواقعة على طريق الرحلة فى كل سفرة . وحين كانت الجبايش قضاء كانت فيها مصلحة للتلفون تربطها بالقرنة ، ولكن أعمال البريد قلصت حين قلبت الجبايش الى ناحية فالغيت مصلحة التلفون وأعمال بريدية أخرى مثل الحوالات .

ولا يستعمل أهل القرية دائرة البريد كثيرا وأغلب أعمالها تتوقف على دوائر الحكومة . ويزيد عدد الرسائل والرزم الواردة للقرية عادة على عدد الصادرة منها وهذا مسبب عن صعوبة ايجاد اشخاص يستطيعون كتابة الرسائل ولفقر أهل القرية . وبين الجدول رقم (١٣) أعداد الرسائل والرزم الصادرة والواردة فى السنوات العشر الاخيرة .

٨ - النفوس : تدار من قبل كاتب فقط مسؤول عن تعداد النفوس وتسجيل الولادات والوفيات واعطاء دفاتر النفوس وشهادات الزواج وما الى ذلك من الاعمال . واحدى أعمال كاتب النفوس الهامة تحضير قيد وكشوف المكلفين بالخدمة العسكرية الذين يدعون للخدمة .

٩ - البيطرة : وتدار من قبل مضمّد بيطرة ، وهى مزودة بأدوية كافية لتداوى الحيوانات بشكل بسيط وعلى نطاق محدود كما انها مزودة بأدوية الوقاية ضد بعض الامراض الكثيرة الانتشار بين حيوانات المنطقة .

(١) تملكه دائرة بريد القرية ويسيره بالتعاون ساعيا بريد من اهل الجبايش . ويمر (مشحوف) البريد فى طريقه على قرى الحمار والفهود وينهى رحلته فى كرمة بنى سعيد . ومن هناك ينقل البريد الى سوق الشيوخ بالسيارة .

جدول رقم (١٣)

الرسائل والرزم الصادرة والواردة من وإلى دائرة بريد
القرية خلال السنوات من ١٩٤٤ إلى ١٩٥٣

السنة	الرسائل		الرزم	
	صادرة	واردة	صادرة	واردة
١٩٤٤	٢٢٣	٣٣١	١	١
١٩٤٥	٢٢٤	٣٩٢	٦	٢
١٩٤٦	٣٤١	٤٥٣	٢	٣
١٩٤٧	٣٥٠	٦١٥	٢	٤
١٩٤٨	٢٨٢	٥٦٣	٤	٢
١٩٤٩	٣١٣	٣٩٢	—	١
١٩٥٠	٣٦٧	٢٨٣	—	—
١٩٥١	٣٠٩	٣٧٦	—	—
١٩٥٢	٣٨٧	٤٣٧	—	١
١٩٥٣	٥٠٦	١٠٠٩	٢	٦

واحدى الوظائف الرئيسية لهذه الدائرة السيطرة على الاوبئة بين الحيوانات ، خاصة الجاموس والماشية ، ولذا فالمرکز يحتوى على كمية من بعض الامصال الوقية • ولكن أهل الجبايش يجدون صعوبة كبرى فى التصديق بان الحيوانات يمكن ويجب ان تداوى وتطلب • وهم لا يعرفون فى هذا الصدد غير طرق قليلة بسيطة محلية لتداوى الحيوانات فى حالة اصابتها بأمراض معينة أغلبها أمراض الماشية • وتكاد تنحصر تلك الطرق بالكى • لكل هذا فان دائرة البيطرة ذات فعاليات محدودة وتستطيع فى الوقت الحاضر ان تؤدى لاهل القرية خدمات محدودة للغاية •

٣ - سلطة الحكومة واعتبارها

لقد ذكرنا سابقا أن أهل الجياش كانوا راغبين أشد الرغبة في التخلص من ظلم آل خيون وقساوتهم • فلما أصبحوا تحت السيطرة المباشرة للحكومة رحبوا كثيرا بالنظام الجديد لانه أفعم نفوسهم بأمل الخلاص من الاستعباد والتمتع بالعدل والطمأنينة في ظل الحكم الجديد • لقد ترتب على حكم آل خيون (بنى اسد) زمنا طويلا بلغ عدة قرون ان اعتادت العشيرة الطاعة العمياء ، وهي أول صفة تتطلبها الدولة من مواطنيها • ولقد ثبت أن (بنى أسد) محبوبون للسلام بالاضافة لكونهم مطيعين للنظام • وسرعان ما تبين لاهل العشيرة أن السيد الجديد ، الحكومة ، يهب كثيرا جدا ولا يأخذ الا النزر اليسير ، على القبيض مما ألفوه من اسيادهم السابقين ، آل خيون • ومن جهة أخرى فلقد اتضح للعشيرة ان الحكومة التي استطاعت ان تقضى على سلطة الشيخ سالم آل خيون وتهدم وتحرق قلاعه ومضيفه وتسجنه ، والتي تمكنت من خنق حركة غضبان آل خيون وعصاباته واقصاء كافة مسببي الاضطرابات والمخلين بالقانون من آل خيون خارج القرية ، لا بد وان تكون حكومة قوية جدا • ولذا فان أهل القرية رحبوا بالحكومة ورهبوا جانبها بعين الوقت • ولقد هيأ هذا الوضع جوا مثاليا وملائما للغاية لاقامة النظام الجديد •

لقد تعاون (السراكيل) لحد كبير مع الحكومة • فلقد كانت لديهم ، بالاضافة الى الاسباب العامة التي جعلت أهل الجياش يرحبون بالنظام الجديد ، أسباب خاصة حملتهم على التعاون الفعال مع الحكومة لتثبيت النظام الجديد وضمان دوامه • فلقد خلق لهم ذلك النظام اعتبارا اجتماعيا واضفى عليهم قوة لانه صنع منهم رؤساء لحمايلهم • ومنح كل واحد منهم حق التصرف بالاراضي التي كانت تزرعها حمولته • فكانت مصلحتهم ليس في

الابقاء على ذلك النظام فحسب ، بل وفي تقويته ونجاحه • فلو تقوض النظام الجديد فانهم سيضيعون الاراضى التى كانوا يستغلونها والسلطة التى كانوا يتمتعون بها • ولقد كان هذا التعاون أحد العوامل فى نجاح الادارة الحكومية فى الجبايش • وفى الازمات الكثيرة التى مرت بها الادارة العراقية الحديثة العهد فى القرية كنورة سوق الشيوخ^(١) وفى الاضطرابات الطويلة التى سببها غضبان آل خيون وبعد ذلك ابان الشهور الثلاثة التى أقام خلالها الشيخ سالم آل خيون فى القرية عام ١٩٤٥ ، وفى أزمات أخرى مشابهة ، لم يقف (السراكيل) الى جانب الحكومة فحسب بل انهم ساندوها مساندة فعالة • وكان أحد الامثلة الرائعة على هذا التعاون ما حدث فى ثورة سوق الشيوخ • وفى تلك الفترة الحرجة أراد بعض آل خيون ان يستغلوا غياب الحكومة من القرية فيستولوا عليها ويعيشوا فيها فسادا • ولكن عبدالهادى آل خيون ، (سركال) حمولة آل الشيخ ، كان لهم بالمرصاد فأفسد عليهم خطتهم • فاستولى على دار الحكومة وحال دون ايقاع أى تلف أو تخريب فيها كما حافظ على الاسلحة التى خلفتها الشرطة وراءها وعلى بقية محتويات دار الحكومة • ولقد هدد بعض آل خيون عبدالهادى وحاولوا الاستيلاء على دار الحكومة بالقوة ، ولكنه وآخرين من (السراكيل) الذين ادركوا ان الحكومة لابد عائدة سريعا صمدوا وحرسوا دار الحكومة وحافظوا عليها ببسالة • وحين استولى الجيش على سوق الشيوخ وارسلت مفارز قوية من الشرطة الى الجبايش فاحتلتها ، سلم عبدالهادى آل خيون دار الحكومة بكافة

(١) ثارت عشائر منطقة سوق الشيوخ فى اوائل شهر مايس عام ١٩٣٥ ضد الحكومة فاحتلت مراكز الشرطة ودوائر الحكومة وقتلت حوالى خمسين شرطيا • والى ان وصل الجيش قبيل نهاية الشهر نفسه فاعاد النظام الى نصابه وفرض سيطرة الحكومة مرة أخرى حكمت العشائر الثائرة مدينة السوق • فانتشر السلب والنهب وشاعت الاضطرابات حتى شملت اجزاء كثيرة من القضاء بما فى ذلك الجبايش حيث هرب موظفو القرية ورجال الشرطة فيها تاركين مراكزهم واسلحتهم خوفا من أن يفتك بهم رجال العشائر •

محتوياتها لقائد الشرطة • فلولا مساندة (السراكيل) وعلى رأسهم عبد الهادي آل خيون للحكومة ، تلك المساندة المبنية على بعد النظر ، لتعرضت القرية لكثير من القلاقل والاضطرابات • وفي حركات غضبان آل خيون في الهور وقف السراكيل ضده وأيدوا الحكومة في مجهوداتها لقمع ثورته • فمنعوا أفراد حمايلهم من الالتحاق به وحالوا دون ارسال الطعام والاسلحة اليه •

وعندما حققت الحكومة أكثر مما كان أهل القرية يتوقعون منها اكتسبت اعتبارا عظيما • لقد كانت الوحدة الادارية في السنوات الخمس الاولى من الادارة الحكومية في القرية قضاء • ولقد قام الموظفون بواجباتهم ، بروح الانشاء التي سادت كافة موظفي القطر بصورة عامة في السنوات العشر الاولى من الحكم الوطني العراقي ، باخلاص وبدون استغلال لمراكزهم • ولقد حققت الحكومة كثيرا في هذه الفترة في مجال اقامة سلطة واعتبار لها ، ولحمل أهل القرية على التعلق بالنظام الجديد • فنشر السلام والامن والعدالة وفرض القانون في ارجاء المنطقة واقامة الخدمات الحكومية العامة مثل المدرسة والمستوصف والبلدية والبيطرة في القرية ، كل هذا ا زاد اعتبار الحكومة • وسرعان ما أصبح أهل الجبايش شديدي الثقة في هذه الحكومة التي تحمي حقوق اتباعها وتقدم لهم خدمات جلي • فصاروا يصفونها بانها (رب ثاني) ، وهو وصف يجمع بين تصويرهم لقوتها العليا وسلطانها الكبيرة وبين انها مصدر الخير والبركات •

ولكن كثيرا من هذا الاعتبار تبدد في العشرين سنة الماضية من حياة الادارة في القرية خاصة في سنوات الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلتها • ولم يقف الامر في السنوات القليلة الماضية عند حد انعدام اعتبار الحكومة فحسب بل كان في القرية تدمير قوى من تصرفات الحكومة

وممثلها • وأسباب ذلك التدمير كثيرة ولكنها يمكن ان تجمع كلها فى : عدم كفاية الجهاز الحكومى وفساد موظفى القرية • وسنقدم فيما يلى أمثلة قليلة تصور المدى الذى يؤثر فيه كل من هذين العاملين على اعتبار الادارة وهيئتها ويخلق رد فعل عنيف ضدها • ولنأخذ الشرطة أولا :

كانت شرطة القرية مثلا من أمثلة الفساد الذى أشرنا اليه • وهذا الفساد ، بقدر ما يتعلق الامر باعتبار الحكومة وسلطتها ذو نتائج خطيرة للغاية لان اتصال أهل القرية بالشرطة أكثر من اتصالهم بأى فرع آخر من فروع حكومة القرية • فكانت الشرطة تتهم دائما بأخذ الرشوة ، وأحيانا بشكل مكشوف جدا • ولقد كان أهل القرية متألين ومستأئين لدرجة انهم كانوا يضحون بوضوح وفى كل مناسبة بان (اليوم كل شى يمشى بالحكومة بالبرطيل مخصوص وبه الشرطة) • ولم يقف الاثر السيئ لاختذ الرشوة عند حد تأثيره على استعداد الاهالى لتنفيذ أوامر الحكومة ، ولكنه أثار فى كثير من الحالات احتقارهم • فلقد كان الشائع فى القرية ان المكلفين فى الجندية يرشون سلطات الشرطة ليتجنبوا الخدمة العسكرية • وطبيعى ان النظام الاقتصادى فى القرية ، وهو قائم بصورة اساسية على حياكة الحصر ، لا يسمح بتجريد العوائل من اعضاء عاملين كالشباب المشمولين بالخدمة العسكرية • فحياكة الحصر فعالية اقتصادية يستهلك ثمن الانتاج اليومى فيها ، وهو غالبا أقل من كفاية المنتج ، يوما بيوم • وهو ما سسمى Hand to mouth economy فكانت الشرطة ، على ما يقال فى القرية ، تأخذ الرشوة من (السراكيل) وتسمح لهم بالتظاهر بان المطلوبين للخدمة العسكرية فارين من القرية ولا تعرف أماكن اقامتهم • ولقد نشرت الشرطة قوائم المكلفين بالخدمة مرارا وكانت فى كل مرة تحمل (السراكيل) على دفع الرشوة عن نفس الاسماء • وكان (السراكيل) بدورهم يجنون من رؤوس العوائل المختصة ما يدعون انه المبلغ الذى فرض عليهم من قبل الشرطة • ولقد جاء مرة شرطى الى

مضيف حمولة آل الشيخ يحمل قائمة قديمة من أسماء المكلفين بالخدمة العسكرية قيل في حينه ان الرشوة دفعت عنها مرات عدة ، وطلب من ابن (السركال) ان يبادر بارسال الاشخاص المثبتة اسماؤهم في القائمة الى مركز الشرطة . فاستشاط الجالسون في المضيف غضبا وامتعصوا أشد الامتعاض لانهم سبق وان دفعوا عن تلك الاشياء رشاوى عدة مرات وان القائمة قديمة جدا . فانبرى أحدهم يسخر من الشرطى والحكومة كلها قائلا (لموله عشر فلوس عن كل اسم) .

وفى حادثة وقعت فى سوق القرية أهين احد افراد الشرطة وصفع على وجهه اثناء قيامه بواجباته الرسمية من قبل صاحب حانوت . ولقد توقع الكل ان تتخذ الشرطة اجراءات فعالة صارمة ضد الذين أهانوا الشرطى وخاصة ضد صاحب الحانوت الذى صفعه ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . ثم أدعى بعد فترة ان معاون الشرطة استلم مبلغا مناسباً من المال كـ « حشم » ، ردا لاعتبار الحكومة المهذور وشرفها الذى أهين .

ورغم ان واجب الشرطة منع القمار فى القرية وبصورة خاصة فى مقاهيها ، فلقد كان انشط مركز للعب القمار فى القرية بيت مفوض الشرطة . فكان معاون الشرطة يترأس فى ذلك البيت حلقة قمار يومية وينعث فى طلب مقامرى القرية ، يجمعهم ويحثهم على ان يلعبوا معه . وكتيجة طبيعية لهذا السلوك لم يكن معاون الشرطة فى مركز يخوله منع القمار فى القرية . فكان يلعب فى المقاهى علنا وفى المدرسة وفى بيت مديرها وغير ذلك من الاماكن . ومن المهم ان نذكر هنا بان القمار ، بالإضافة الى كونه محرما بموجب أحكام الدين الاسلامى فانه عمل بغيض ومنكر للغاية فى أعين أهل القرية .

ومدرسة القرية هى مثلنا الثانى على سوء الادارة وتردى اخلاق

الموظفين • فأهل الجبايش يقدرّون مزايا التعليم ويريدون لأولادهم ثقافة تمكنهم من شق طريقهم في المستقبل بشكل أفضل مما تسمح به بيئتهم الضيقة وحياتهم الحاضرة • ولا تعتبر الثقافة في الجبايش من البدع التي تنافي وتقاليد العشيرة • ولكن لأن إرسال الأولاد إلى المدرسة له علاقة بالوضع الاقتصادي ، إذ لا تستطيع كافة العوائل أن تستغني عن مساهمة أولادها في كسب عيشها كجرد القصب وحياسة الحصر وغير ذلك ، فإن عدد العوائل التي تسمح بإرسال كل أو بعض أولادها إلى المدرسة قليل جدا ، إذ يقتصر ذلك على ذوي الكفاية الاقتصادية أو على من لهم عدد كبير من الأولاد فيستطيعون الاستغناء عن خدمات واحد أو اثنين منهم • فلمرفهين اقتصاديا كالتجار وأصحاب الأراضي والدكاكين وآل خيون كلهم يرسلون أولادهم إلى المدرسة ليتعلموا • هذا بالإضافة إلى وجود الدافع الاقتصادي في فتح مجال للعمل أمام الأولاد المتعلمين خاصة في وظائف الحكومة كمعلمين وموظفين •

ويبدو أن وضع المدرسة أخذ يسوء بصورة تدريجية بعد بضعة سنوات من تأسيسها حتى وصل أفقع مراحل في السنوات الأخيرة • يضاف إلى ذلك وجود هوة واسعة بين مدير المدرسة ومعلميها من جهة ومدير الناحية من جهة أخرى • فبالإضافة إلى عدم التعاون التقليدي بين هذين الفرعين من حكومة القرية فلقد كانت في عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ علاقات غير ودية مطلقا بينهما • فكان مدير الناحية يتجاهل المدرسة ومديرها ومعلميها إلى أقصى حد وكان في الواقع لا يقابلهم ولا يتحدث إليهم • ولم يزر مدير الناحية المدرسة مرة واحدة خلال سنة كاملة فيتعرف على مشاكلها وحاجاتها ، فكانت المدرسة مهملة تماما من قبل رأس الإدارة ، وهو الشخص المسؤول عنها وعن تسيير أدايتها لرسالتها •

الى جانب هذا الاهمال من قبل الادارة فى القرية فان المدرسة كانت مهملة من قبل مديرية معارف اللواء • فلم يزرها مفتش معارف اللواء غير مرة واحدة فقط خلال عام دراسى كامل • وكانت الزيارة قصيرة للغاية بل وخاطفة ، لم يفهم المفتش فيها عن المدرسة الا قليلا ، بل انه ما فهم عنها الا ما اراده مديرها ان يفهم •

وكان مدير المدرسة ومعلموها أسوأ مثل لموظفى الحكومة • فصفات الخمول وعدم الشعور بالمسؤولية بارزة واضحة فى تصرفاتهم وطريقة أدائهم لواجباتهم • وباستثناء معلمين اثنين فقط ، كانت هيئة المدرسة كلها تقامر كل يوم فى المقاهى وفى المدرسة ذاتها ، مع أناس منحطين فى مستواهم الاجتماعى فى القرية لدرجة لا تليق ، من وجهة نظر العرف المحلى فى القرية ، بمعلم ان يتصل بهم أو يجالسهم • وبما ان حلقات قمار المدير والمعلمين تمتد اعتياديا حتى الساعات المبكرة من الصباح ، فان صفوف المدرسة الستة كانت تدار فى كثير من الايام من قبل المعلمين اللذين لا يقامران فقط حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة صباحا^(١) لان المعلمين المقامرين لا يستطيعون الحضور الى المدرسة مبكرين • ولم تفتح صفوف مسائية لمكافحة الامية بين البالغين فى القرية لان تلك الصفوف تتضارب فى اوقاتها مع اوقات لعب القمار رغم ان اسبابا أخرى ادعت لعدم فتح تلك الصفوف • ولقد ترتب على ذلك الانغماس فى القمار ان اصبح كافة المعلمين المقامرين مدينين بديون ثقيلة لاصحاب الحوانيت • ويستجذب بعض المعلمين عند الحاجة باصحاب الحوانيت بتذاكر يرسلونها بيد فراشى المدرسة يحاولون بها استقراض مبالغ تافهة تصل فى بعض الاحيان الى بضعة دراهم • فكانت تلك التذاكر ترد مع كثير من التعليقات المزرية وتتخذ وسيلة للسخرية بالمعلمين والمدرسة حين يدور بها الفراش من حانوت لآخر • وكان مدير

(١) يبدأ الدوام فى مدرسة القرية فى الساعة الثامنة والنصف صباحا •

المدرسة مدينا بقرابة مائة دينار بينما ما كان يتجاوز مجموع راتبه الشهري بما في ذلك مخصصات غلاء المعيشة والمخصصات المحلية الاثنى عشر ديناراً •
وحين نقل ذلك المدير من الجبايش فى نهاية العام الدراسى ١٩٥٢ - ١٩٥٣ جاء القرية خلصة فى ليلة من الليالى فشحن ما يملك من أثاث ولوازم بيتية فى زورق وهرت سرا دون أن يدع أحدا يشعر به خوفا من الذين لهم عليه ديون •
وحين شعروا بذلك لحق أحدهم به حتى مدينة الناصرية ليستعيد دراهمه منه •
واقترف أحد المعلمين جريمة الزنى بفتاة فى القرية ،
وحين شعر انه معرض للقتل ترك القرية سرا وهرب تاركا مكانه فى المدرسة فارغا أكثر من شهرين حتى نهاية العام الدراسى •
ولقد تركت فعلة المعلم تلك أثرا سيئا فى نفوس أهل القرية •

لم تكن فى القرية فى عام ١٩٥٣ مساكن للمعلمين •
فلقد كان اربعة منهم يعيشون فى غرفة واحدة من غرف المدرسة فى ظروف غير صحية بالمرة ،
وواحد منهم فى كوخ قصصى خلف المدرسة ،
وكان المدير وحده يعيش فى بيت صغير مبنى من آجر •
ولم تكن فى مدرسة القرية مرافق صحية كما انها لم تكن محمية من الفيضان والغرق •
ورغم فقر التلاميذ المدقع الواضح لم يفعل لا مدير المدرسة ولا مدير الناحية شيئا بصدد تزويدهم بالقرطاسية والاقلام •
ولقد علمت ان أغلب تلاميذ الصفين الخامس والسادس كانوا لا يستطيعون عمل وظائفهم المدرسية البيتية لعدم استطاعتهم شراء القرطاسية والاقلام •
ولا مجال للتفكير طبعا بوجبات غذاء مجانية وملابس توزع على الطلاب رغم ان توزيع الملابس ممكن جدا خاصة وان بلدية الجبايش غنية وكان لديها فائض من المال ولها ديون تبلغ عشرة آلاف دينار على بلديات أخرى فى اللواء •
فلثمائة دينار كل عام تساهم فى تديرها وزارة المعارف وبلدية القرية تكفى لتزويد كل واحد من تلاميذ المدرسة بـ (دشداشتين) واحدة صيفية وأخرى شتوية ، وبزوجى (نعال) كل عام ،

وبكل ما يحتاج اليه من قرطاسية وأقلام طيلة السنة الدراسية^(١) .

وكتيجة لهذه الظروف والاحوال كانت المدرسة فاشلة فى تأدية رسالتها تمام الفشل . فلم ينجح فى الامتحانات العامة للدراسة الابتدائية عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ من طلاب الصف السادس البالغ عددهم خمسة وعشرون تلميذا غير أربعة ، فتكون نسبة النجاح المئوية ١٦ فقط . ولم ينجح فى بقية صفوف المدرسة ، رغم ان الامتحانات كانت صورية ، غير عدد قليل من التلاميذ . وكان تأثير سلوك مدير المدرسة ومعلميها أوضح من أن يشرح أو يعلق عليه . لقد شعر أهل القرية بخيبة أمل شديدة تجاه المدرسة وكانوا مستعدين نفسيا لتقبل نتائج امتحانات أولادهم وفشلهم فى الدراسة . ولقد أثير هذا الموضوع مرات عدة فى مضايف القرية ، فكان الآباء يرددون بمرارة (هذوله المعلمين ما يعلمون ولدنه ، هذوله يفسدوهم . كون بيهم خير چا علمو ارواحهم)^(٢) .

وكان سلوك أغلب موظفى القرية الآخرين غير مرض . فكان الموظف الصحى يستغل المرضى فى طرق عدة احداها بيع أدوية الحكومة باعتبارها ملكه . ويوهم كل مريض يتوسم فيه قدرة على الدفع ان مرضه مهما كان نوعه ، يحتاج الى (أبر) يحققه بها لو رضى أن يدفع ثمنها ، والا فان عليه ان يذهب الى مكان آخر كالبصرة وغيرها للعلاج . وكان أحد كتاب الناحية المرتشين يستخدم ولده الصغير فى جمع الرشوة له ويمتنع ، حين ناب عن مدير الناحية زمنا ، عن توقيع أى كتاب دون ان يتقاضى أجرة عنه . وكان

(١) اننى أقدر معدل حاجة التلميذ الواحد فى مدرسة القرية من هذه الضروريات كما يلى : أ - ١٥٠ فلسا للقرطاسية والاقلام ب - (دشدشتين) واحدة شتوية كلفتها ٧٥٠ فلسا واخرى صيفية كلفتها ٥٠٠ فلسا ج - زوجا (نعال) ب - ٣٠٠ فلسا . فيكون مجموع كلفة التلميذ الواحد ١٧٠٠ / ١ دينار . وتكفى الثلثمائة دينار على هذا الاساس ١٧٦ تلميذا وهو عدد مقارب جدا لمعدل عدد تلاميذ المدرسة المسجلين فى السنوات الثلاث الاخيرة . (٢) يشيرون بذلك الى السلوك الشخصى وليس الى العلم .

قليل من موظفي الناحية يتقيدون بالدوام الرسمي ؛ يذهبون الى دوائرهم متى يشاءون ويتركونها متى يشاءون . ويأتى كثير منهم دار الحكومة فى أغلب الاوقات للعمل وهم يرتدون (الدشاديش) ويلبسون (النعل) .

وبالاضافة الى ما كان يسببه هذان العاملان المهمان ، وهما عدم كفاية الجهاز الحكومى وفساد موظفى القرية ، من التأثير على اعتبار الحكومة وهيتها ، فهناك عامل هام اخر يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار ، وهو اهمال الحكومة لبعض المشاريع والاصلاحات الضرورية للغاية والتي يجب ان تعطى اسبقية وتعار أهمية كبيرتين ، والتي لو نفذت لساعدت كثيرا على رفع مستوى المعيشة لاهل القرية ولازادت اعتبار الحكومة . ولا يكف أهل القرية عن التذمر والشكوى من هذا الاهمال لانهم يعتقدون اعتقادا راسخا بان (الحكومة تكدر كلشى تسوى) ، ولذا فانهم لا يستطيعون ان يجدوا لهذا الاهمال تبريرا اسلم ولا تفسيرا أصح غير ان (الحكومة ما تريد خيرنه) . وأقل ما يوصف به رد الفعل الحاصل عند أهل الجبايش نتيجة لهذا الاعتقاد بانه خيبة أمل مريرة . ولنأخذ أمثلة بسيطة على ذلك .

فأول وأهم شئ فى حياة هؤلاء الناس هو الفيضان المقرون دائما بالغرق وتعذر الزراعة وبالتالي الجوع . لقد بينا سابقا^(١) كيف ان مياه الفيضان تفرق كافة المنطقة كل عام فتعذر الزراعة الشتوية بالمرة وتمتنع الزراعة الصيفية أيضا فى كثير من الاعوام . وحين تصبح الزراعة الصيفية ممكنة فانها تحدث ، لعدم انحسار الماء فى وقت مناسب ، متأخرة فتكون بصورة حتمية غير مربحة بالمرة لقلّة واردها ال (أفلى) . فاذا ما اقترنت هذه الحقائق بوجود شراء شتلات البذور من مناطق أخرى لتعذر بذر البذور فى الجبايش بسبب الفيضان أيضا ، واذا ما أدخلنا فى حسابنا الربى الفاحش الذى يضطر الفلاح على دفعه لمرابى القرية بسبب اقتراضه مبلغا من المال لشراء هذه

(١) فى الفصل الثالث من هذا الجزء . يراجع كذلك الفصل الحادى عشر من الجزء الثانى .

الشتلات من خارج الجبايش ، واذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تعرض الزراعة المتأخرة الى (أفلى) دائما الى البرد والى آفات أخرى تقلل من وادها ، اذا تدبرنا هذا كله قدرنا ان الزراعة ليست مطلقا مصدر ربح وهى لا يمكن ان تعتبر لكل ذلك فعالية أساسية فى اقتصاديات أهل القرية^(١) . ومن الواضح انه لولا الفيضان لامكن زرع محاصيل شتوية وصيفية ولتغير الوضع الاقتصادى تغيرا كليا . فلو قامت الحكومة بمشروعين بسيطين أولهما (مشروع الحفار) وثانيهما (مشروع ناظم گرمة حسن) لقل تأثير الفيضان فى منطقة الجبايش كثيرا . وكلا المشروعين يسير سهل التنفيذ ولا يحتاج الى الكثير من المال والجهد . و (الحفار) بالذات ، ليس هاما من وجهة نظر الفيضان والزراعة فحسب ، اذ ان تحقيقه يصير زراعة آلاف من (المشارات) ممكنا فى المنطقة المحيطة به ، بل هو بالغ الاهمية من ناحية المواصلات أيضا . فهو ارتفاع فى قعر الهور فى منطقة تقع بين (الحمار) و (گرمة بنى سعيد) يتعذر على كافة وسائط النقل المائية اجتيازه لمدة اربعة اشهر من السنة ، الا المشاحيف الصغيرة فقط اذا سحبت باليد فوق قعر الهور الضحل جدا^(٢) . والمواصلات بين الجبايش وبين (گرمة بنى سعيد) و (سوق الشيوخ) وغيرها من القرى غير ممكنة بالمرّة لكافة وسائط النقل الكبيرة طيلة السنة الا فى الشهور الاربعة التى يرتفع فيها الماء فى موسم الفيضان ، وهى ممكنة للوسائط المتوسطة الحجم فقط فى اربعة شهور أخرى ومتعذرة تماما فيما بقى من السنة من موسم انحسار الماء . وبقدر ما يتعلق الامر بفتح طرق المواصلات بين الجبايش وبين بقية المدن الواقعة على النهر ، الامر الذى تحتاجه القرية حاجة ماسة للغاية لانعاش اقتصادياتها ولربطها بالعالم الخارجى ، فان المشروع لا يحتاج غير حفر مسافة قليلة لا

(١) يراجع الفصل الحادى عشر فى الجزء الثانى .

(٢) لذا تسمى المنطقة (المزلك) لان المشاحيف (تزلك) فوق

قعر الهور .

تعدو الثلاثين ياردة طولاً والخمس عشرة ياردة عرضاً • وهو عمل ممكن ان تكلف بالقيام به العشائر القريبة من (المزلگ) مثل (آل سماعيل) و (بنى مشرف) و (بنى حطيط) و (ابو شامة) وغيرها ويمكن ان ينجز بايام معدودة • وبسبب بساطته المتناهية ولان أهل المنطقة طلبوا انجازها مرات عديدة وبطرق شتى ، فان أهل الجبايش وغيرهم من العشائر التى يهملها الامر لا يجدون تفسيراً أو تعليلاً لهذا الامتناع عن تنفيذ هذا المشروع البسيط غير ان الحكومة ، لاسباب تعرفها هى وحدها ، تعتمد اهمال المشروع •

ومثل آخر هو بلدية القرية • لقد المعنا سابقا ان بلدية القرية ثرية تملك مالا فائضا غير مستوظف يقرب من عشرة آلاف دينار • وواضح ان البلدية تستطيع ان تحقق بهذا المبلغ كثيرا من المشاريع النافعة • فستطيع مثلا ان تبني عددا من الدور للمعلمين ولبقية موظفى القرية • وتستطيع ان تقيم عددا من القناطر والجسور الصغيرة فوق العدد الكبير من الترع والقنوات المائية ، كما تستطيع بسد بعض القنوات والمجارى المائية واتباع خطة منظمة فى الردم على نطاق واسع ان تستحدث قطعاً من الارض حول قسم (الناحية) فتوسعه • ولماذا لا تستفيد بلدية الجبايش من العشرة آلاف دينار التى تملكها بدلا من ان تقرضها الى بلديات أخرى فى اللواء ؟ بل وما الذى يمنع من التوسع فى الاصلاحات بحيث تنقلب بلدية الجبايش الى مدينة بدلا من ان تكون دائنة لتحقيق الكثير من المشاريع التى تحتاجها القرية بصورة مستعجلة للغاية ؟ ففي كل من المدرسة والبريد والمستوصف وفى الواقع كل فرع من فروع الحكومة فى القرية مجال واسع وامكانيات كبيرة لمشاريع نافعة يمكن ان تؤدى الى اسعاد أهل القرية وتزيد كثيرا فى اعتبار الحكومة •

ومهما يكن من أمر ، ورغمنا عن كثرة المعايير التى المعنا الى بعضها ،

فلقد كان تأثير الاتصال بين الحكومة وبين أهل الجبايش كبيرا فى أكثر من ناحية واحدة من حياة أهل العشيرة • ومن المهم ان نؤكد انه لم يتسن لهذا الاتصال ان يكون قويا مجديا لولا الغاء (المشيخة) ذلك الالغاء الذى هز الحياة العشائرية من جذورها ولزلزل قواعدها • ويمكننا ان نشير هنا ، من باب المعارضة ، الى سكان أهوار العمارة الذين لم يكن الاتصال بينهم وبين الحكومة المركزية قويا مطلقا ولم يكن بشكل من الاشكال مشمرا بسبب قوة الشيوخ هناك وتسلطهم ورسوخ النظام الاقطاعى الذى يفرضه وجودهم •

لقد حققت الحكومة فى الجبايش فى مجال القانون والنظام كثيرا من الاصلاحات • فوضعت حدا للتأثر بمبادرتها لاختذ تعهدات ملزمة من الجهة المعتدى عليها بوجوب الامتناع عن التأثر ولزوم اللجوء الى التقاضى لدى الحكومة أو بموجب الطرق العشائرية التى تقرها الحكومة • ولا تدفع النساء كغرامات عن الجرائم فى القضايا التى تحل عن طريق الحكومة ، ومعنى هذا انها تدفع فى جرائم محدودة • وحتى فى هذه الحالات لا يمكن اجبار عائلة المعتدى على تقديم امرأة أو أكثر ك (فصل) اذ بمقدور تلك العائلة مراجعة الحكومة التى تفرض على مستحق (الفصل) قبول المال فقط • ولذا فقد اصبح اعطاء النساء فى الفصول اختياريا بحثا رغم ما معنا اليه سابقا من اصرار المعتدى عليهم على أخذ نساء (فصليات) فى جرائم معينة ك (النهيبة) • وكثير من العادات العشائرية الاخرى مثل (النهوة)^(١) و (الدگه)^(٢) ، التى كانت تسبب كثيرا من الازعاج والمشاكل منعت من قبل الحكومة وصار مقترفها يعاقب بشدة •

وبسبب هذا الاتصال بالحكومة المركزية صار شعور أهل الجبايش بوجود الحكومة اشد بكثير من شعورهم بعشيرتهم • فلا شيخ فى القرية

(١) يراجع الفصل الرابع •

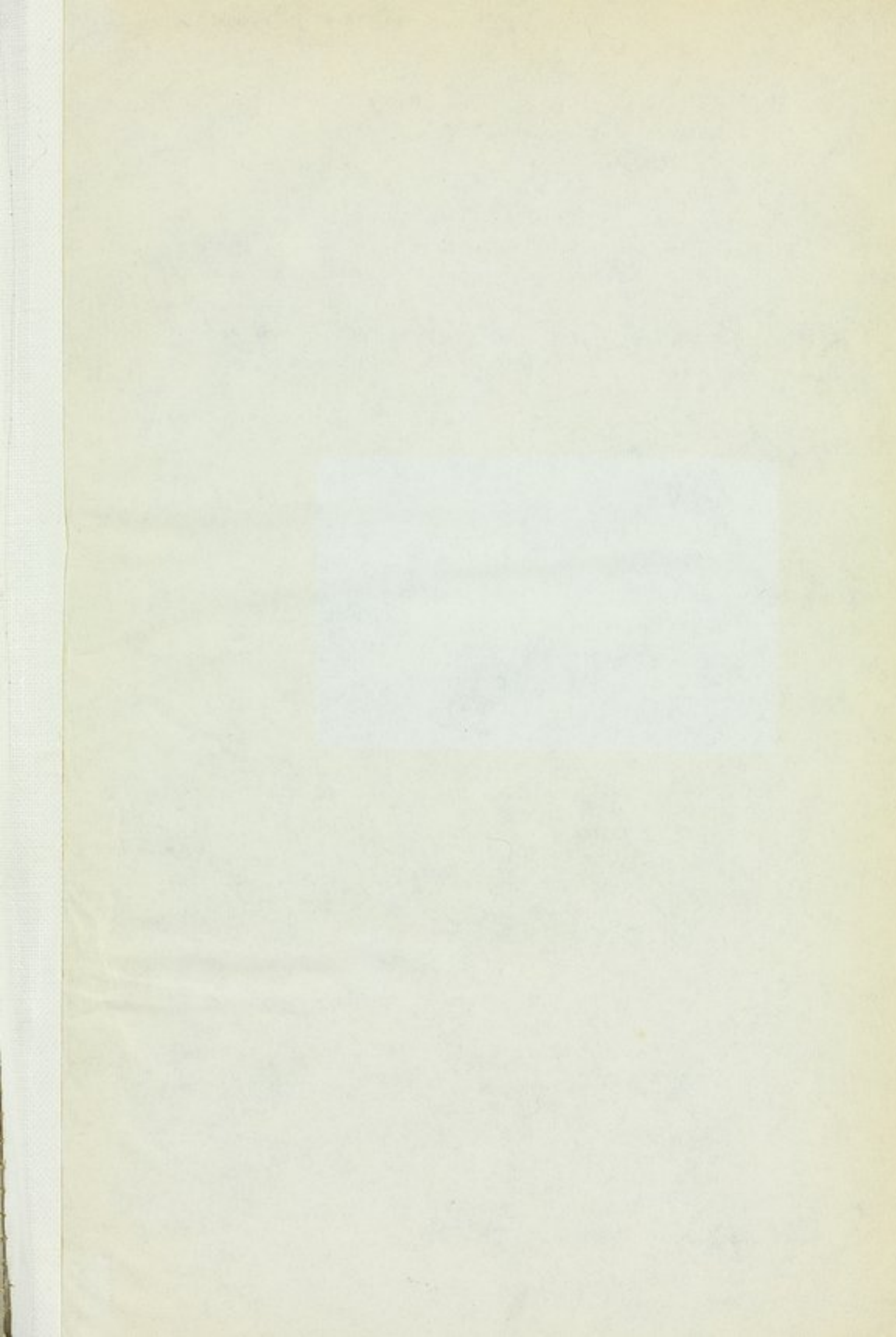
(٢) يراجع الفصل الخامس •

اليوم يرجع اليه كرئيس سياسى وكأب وقائد للعشيرة • و (السراكيل) لا يختلفون من حيث علاقتهم بالحكومة وبأفراد العشيرة ، عن الموظفين الا قليلا • ولا توجد حروب عشائرية تذكى شعور أفراد العشيرة بنظمتهم وتقاليدهم وروحهم الجماعية Esprit de corps • ومن جهة أخرى يذهب أولاد القرية كل يوم الى مدرسة الحكومة كما يستفيد أهل العشيرة من مستوصف الحكومة كلما احتاجوا أو ارادوا ذلك • ويستطيع الواحد منهم ان يرفع الشكوى فى دار الحكومة ضد من يسىء اليه من أفراد القرية حتى لو كان ذلك المسىء (سر كال) حمولته •

ولم يكن الاتصال بين الحكومة وأهل القرية أقل تأثيرا فى النواحي الاخرى من حياة أهل العشيرة • ففي النواحي الاقتصادية ، كان لاستبواب الامن وفتح طرق المواصلات أبلغ الأثر فى زيادة الاتصال بالعالم الخارجى وخلق طبقات اقتصادية جديدة ، كالتجار واصحاب المخازن الذين جازفوا بخرق النظم الاقتصادية القديمة والخروج عليها واتباع أخرى حديثة لا عهد للعشيرة بها من قبل • ولقد شجعت التجارة نفسها الاتصال بالمدن المجاورة فادت الى ادخال كثير من معالم الحياة الحضرية الى القرية • وقد خلق ادخال التعليم الى القرية ، رغم انه ابتدائى وفيه كثير من المعايير والنواقص ، طبقة تعرف القراءة والكتابة وشجع كثيرا على الانخراط فى خدمة الحكومة وجعل أولئك الذين يحرمون فرصة العمل فى الحكومة فيضطرون على البقاء فى القرية يميلون دائما الى اتباع اساليب حديثة فى كسب معاشهم هى فى أكثر الحالات التجارة أو ادارة الدكاكين عوضا عن تمسكهم بالاساليب الاقتصادية القديمة للعشيرة كحياكة الحصر والزراعة وما الى ذلك •

ان الظروف التى تهأت للاتصال بين الحكومة المركزية والجبايش ظروف مثالية للحصول على أطيب الثمرات من اتصال حكومة حديثة بمجتمع

عشائري ، ولذا فكان المتوقع ان يؤدي ذلك الاتصال الى نتائج خطيرة فعالة
في ميدان التطور الحضارى • فعدم وجود شيخ فى القرية ، وتعرض أفراد
العشيرة الى الظلم وتعودهم على الخضوع لمدة طويلة أيام حكم الشيوخ
الاقطاعيين ، والفقر والعوز الاقتصاديين التى كانت العشيرة تعيش فيهما فى
السنين الاخيرة لد (مشيخة) نتيجة للحروب والجلاءات العسكرية وعدم
الاستقرار ، كل هذه هيات ظروف طيبة لاتصال حضارى كان يمكن أن
يساهم كثيرا فى تحسين أحوال العشيرة • ولكن الكثير من آثار هذا الاتصال
ضاع وتبدد نتيجة لعدم كفاية وفساد الجهاز الحكومى فى القرية •



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY



ECH-CHIBAYISH

An Anthropological Study of A Marsh Village In Iraq

By

SHAKIR M. SALIM, *Ph. D. (London).*

Lecturer in Anthropology,
College of Arts and Sciences, Baghdad.

VOLUME 1

*Physical Environment, Social Structure
and Political Organization*

الثمن ٥٠٠ فلس